مدخل إلى علم اللغة

الدكتور محمود فهمي حجازي

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الكتـــــــاب : مدخل إلى علم اللغة

المـؤلـــــــف : د. محمود فهمى حجازى

تاريخ النشـــــر :

الناشـــــــر : **دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع**

شركة مساهمة مصرية

عبده غريب

المركز الرئيسى والمطابـــــع : مدينة العاشر من رمضان المنطقة الصناعية (C1)

ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز – عمارة برج آمون الدور الأول – شقة٦

ت ، ف : ٢٤٧٤٠٣٨

رقـم الإيـــــداع : ٩٧/١٠٧٧٠

الترقيـم الـدولـــى : I. S. B. N.

977-5810-69-8

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يطيب لى أن أقدم للقارئ المثقف وللباحثين فى علوم اللغة هذا الكتاب فى طبعته الجديدة الموسعة. يعرف الكتاب بطبيعة اللغة ووظيفتها المجتمعية، ويتناول بإيجاز مناهج البحث اللغوى. ويقدم تعريفا بأهم قضايا البحث الصوتى فى العربية، بالإفادة من مناهج حديثة وربط المصطلحات الحديثة بالأصول التراثية، مع عرض مركز لأصوات العربية واتجاهات التغير فيها. وفى الفصول الخاصة ببنية الكلمة وبنية الجملة والدلالة نجد القضايا الأساسية والمصطلحات الحديثة، مع التطبيق على العربية، والنظر فيها فى ضوء المقارنات والواقع المعاصر. تتسم هذه الطبعة الجديدة بإضافة هذه الفصول، لتلبى حاجة القارئ والباحث إلى تعريف مركز وواضح.

لقد احتفظت هذه الطبعة بالفصول الخاصة بالأسرات اللغوية مع تحديث المعلومات واستكمالها. وهذه الفصول تتناول ـ على وجه الخصوص ـ الأسرة اللغوية الأفرو أسيوية، ثم الأسرة الهندية الأوربية، ثم الأسرة الأورالية الألتائية، ثم اللغات الإفريقية. كان الاهتمام فى توزيع اللغات بالحقائق الأساسية، مع الربط ـ بقدر الإمكان ـ بالعربية لغة وثقافة وحرفا.

والأمل كبير فى أن تكون هذه الطبعة الجديدة أكثر شمولا وربطا بالتراث العربى وأكثر وضوحاً فى تقديم مصطلحات علم اللغة الحديث من أجل تأصيل البحث اللغوى العربى.

والله ولى التوفيق

محمود فهمى حجازى

المحتويات

الفصل الأول

اللغة طبيعتها ووظيفتها

أولاً : اللغة والبحث اللغوى :

عرف المجتمع الإنسانى اللغة فى أقدم صوره، فاللغة ظاهرة تميز الإنسان عن الكائنات الأخرى، واختص بها فأتاحت له أن يكون المجتمع وأن يقيم الحضارة، ولذا فاللغة والمجتمع والحضارة ظواهر متداخلة متكاملة. لقد أثار كثير من المفكرين على مدى القرون قضية أولية اللغة أم المجتمع أم الحضارة، وطرحوا أيضاً قضية اللغة والفكر أيهما سبق الآخر، ولكن البحث الحديث يحاول أن يبتعد عن هذه الدائرة المفرغة من التساؤلات حول مراحل يصعب الوصول إليها ليثبت تلازم اللغة مع فكر الإنسان وضرورة اللغة لقيام المجتمع وضرورة وجود مجتمع إنسانى يتعاون فى إقامة الحضارة.

إن الإنسان مارس اللغة منذ آلاف السنين هى عمر الإنسان على الأرض، ثم فكر فى أن يدون اللغة ويخلدها بذلك للأجيال التالية. كان هذا فى مصر والعراق منذ نحو خمسة آلاف سنة فقط، وظلت أكثر الشعوب على مدى العصور لا تكتب، فاللغة قديمة قدم المجتمع الإنسانى، ولكن كتابتها ظاهرة حديثة نسبياً، وهناك شعوب كثيرة لم تدون لغتها إلا فى السنوات الأخيرة. وكثير من أبناء هذه الشعوب أميون، وبعضهم لا يتصور أن تلك العبارات التى ينطق بها يمكن أن تدون. فاللغة توجد، سواء أكتبت أم لم تكتب، فالإنسان يحتاج اللغة فى حياته اليومية، ولكن تدوين اللغة لا يأتى عادة إلا فى مرحلة من الرقى الحضارى.

أما البحث العلمى فى اللغة فهو ظاهرة حديثة نسبياً، وشبيه بهذا أمر البحث العلمى فى فروع المعرفة المختلفة. الإنسان يتنفس منذ وجد، ولكن المعرفة الحقيقية بالجهاز التنفسى وبعملية الشهيق وبعملية الزفير وما يرتبط بهما من عمليات فسيولوجية

فى داخل جسم الإنسان تعد من الحقائق التى أتى بها البحث العلمى منذ وقت قريب نسبياً. إن الإنسان عرف الماء وأحس به وأفاد منه فى حياته اليومية، ولكن التحليل العلمى لمكونات الماء وخصائصه ودوره الحيوى فى جسم الإنسان عمل علمى لا يعرفه بالضرورة كل من يستخدم الماء أو يشربه. وشبيه بهذا أمر اللغة، فاللغة قديمة قدم المجتمع الإنسانى، ولكن البحث فى اللغة لم ينشأ إلا فى إطار التقدم العلمى، ولذا فهو أمر حديث نسبياً فى تاريخ الإنسان.

ثانياً : طبيعة اللغة :

لقد عرف اللغوى العربى ابن جنى (المتوفى ٣٩٢ هـ) اللغة بعبارته : "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". وهذا التعريف يتضمن العناصر الأساسية لتعريف اللغة ويتفق مع كثير من التعريفات الحديثة للغة، فهو يوضح الطبيعة الصوتية للغة ويؤكد أن اللغة أصوات، وهو بهذا يستبعد الخطأ الشائع الذى يتوهم أن اللغة فى جوهرها ظاهرة مكتوبة. ويوضح تعريف ابن جنى طبيعة اللغة من جانب ووظيفتها من الجانب الآخر.

وتوضح التعريفات الحديثة للغة أولاً وقبل كل شئ أن اللغة نظام من الرموز، ومعنى هذا أن اللغة تتكون من مجموعة من الرموز تكون نظاماً متكاملاً. واللغة أكثر نظم الرموز التى يتعامل بها الإنسان تركيبا وتعقيدا، فإشارات المرور رموز ضوئية، ولكنها محدودة وبسيطة. والإشارات الضوئية الصادرة من السفن وأعلام الجيوش والكشافة والفرق الرياضية رموز بسيطة أيضاً. أما الصيحات التى تطلقها الحيوانات بأنواعها ولا سيما الطيور فإنها أيضاً محدودة وبسيطة. ولكن الإنسان وحده يتعامل باللغة التى تقوم على عدد من الرموز ولكنها تكوّن نظاماً مركبا معقداً. الأصوات التى تصدر عن أعضاء النطق عند الإنسان محدودة نسبياً، واللغات تشترك فى كثير من الأصوات، وأكثر اللغات الإنسانية تفيد من عدد من الأصوات يقل عن أربعين صوتا، ولكن هذه الأصوات المحدودة تتخذ أنساقاً كثيرة فتكون آلاف الكلمات فى اللغة

الواحدة، وتتخذ هذه الكلمات عدة ترتيبات متعارف عليها في البيئة اللغوية فتكون ملايين الجمل. وتعبر بذلك عن الحضارة الإنسانية والفكر الإنساني ولذا فاللغة الإنسانية تختلف عن نظم الاتصال البسيطة الأخرى الموجودة عند الإنسان وعند الحيوان في أن اللغة الإنسانية نظام مركب معقد من الرموز.

إن الرموز اللغوية لا تحمل قيمة ذاتية طبيعية تربطها بمدلولها في الواقع الخارجي فليست هناك أية علاقة بين كلمة 'حصان' ومكونات جسم الحصان. والعلاقة كامنة فقط عند الجماعة الإنسانية التي اصطلحت على استخدام هذه الكلمة اسما لذلك الحيوان. ومعنى هذا أن قيمة هذه الرموز اللغوية تقوم على العرف أي تقوم على ذلك الاتفاق الكائن بين الأطراف التي تستخدمها في التعامل. ولذا فالرموز اللغوية وسائل اتصال في إطار الجماعة اللغوية الواحدة. وتقوم عملية الكلام على وجود استخدام هذه الرموز اللغوية المركبة بقيمها العرفية، وبعبارة أخرى هناك اتفاق على ترجمة هذه الرموز في العقل إلى دلالاتها التي يعنيها المتحدث أو الكاتب فيفهمها المستمع أو القارئ

ثالثاً : عملية الكلام بين الفرد والمجتمع :

إن عملية الكلام تتم نتيجة وجود مؤثرات خارجية أو داخلية مرئية أو مسموعة، يستجيب لها الجهاز العصبي للمتكلم فيصدر أوامره إلى أعضاء النطق فترسل بدورها هذه الأوامر على شكل موجات صوتية، وتمضي هذه الموجات في الهواء فتتلقاها أعضاء السمع عند السامع ناقلة إياها إلى الجهاز العصبي، وقد يصدر أوامره بعد ذلك إلى أعضاء النطق، وهكذا تحدث عملية الكلام. وهناك عدة تخصصات تهتم ببحث عملية الكلام، فالعمليات العقلية عند المتحدث والمتلقي موضوع بحث في علم اللغة النفسي، وهو تخصص جديد أخذ في الاستقلال. أما علم اللغة فهو يبحث تلك الرموز الصوتية التي نقلت الفكرة من المتحدث إلى المتلقي ويبحث أيضاً كيفية تكوين هذه الرموز الصوتية للكلمات في تلك اللغة، وكيفية تكوين الكلمات للجمل، ويربط

لبحث اللغوى كل هذا بالمعنى الذى تحمله هذه الرموز. وعلى هذا فوجود اللغة يشترط وجود مجتمع، وهنا يصح الطابع الاجتماعى للغة، فليس هناك نظام لغوى يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتعامل به فاللغة ليست هدفا فى ذاتها، وإنما هى وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة الإنسانية. إن الفرد الواحد يشارك فى عملية الكلام فى مواقف الحياة، وباختلاف المواقف الكلامية التى يعيشها الفرد تختلف مشاركته فى استخدام اللغة. وهنا يجد الباحث من الضرورى أن يميز بين اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية والاستخدام الفردى لها باعتباره يختلف باختلاف الأفراد واختلاف المواقف الكلامية التى يستخدمون فيها اللغة.

لقد ميز اللغوى السويسرى دى سوسير de Saussure بين ثلاثة مصطلحات أساسية فى نظرية اللغة، وهى مصطلحات Langue ويعنى اللغة الواحدة مثل اللغة العربية أو اللغة الفرنسية أو اللغة الانجليزية إلى آخره، و Parole وتعنى الكلام أو الاستخدام الفردى للغة الواحدة عند الفرد، و Langage القدرة اللغوية عند الإنسان بصفة عام. ولهذا التمييز أهمية فى البحث اللغوى المعاصر، فالبحث اللغوى يتجاوز الاستخدام الفردى للغة إلى ظاهرة اللغة فى أبعادها العامة المشتركة عند أفراد الجماعة اللغوية. فالإنسان الواحد مهما أوتى من المهارة اللغوية والقدرة البيانية والتنويع فى أسلوب الكتابة لا يستخدم كل المعجم الذى تعرفه لغته ولا يفيد من كل إمكانات البنية اللغوية المتاحة له عندما يتحدث أو يكتب اللغة. وإن بحث الاستخدام اللغوى عند الفرد الواحد هو مجرد مرحلة تليها مراحل كثيرة حتى يصل اللغوى إلى تعرف بنية اللغة موضع البحث. وهناك فرق واضح بين الأداء اللغوى Performance عند الفرد وهو محدود نسبيا وبين الملكة أو الكفاءة اللغوية Competence لديه حتى يفهم الآخرين وأن يكون جملا جديدة لم يسمعها من قبل، ولكنها ممكنة فى إطار البنية اللغوية الكامنة عند أبناء الجماعة اللغوية. ولذا لا يكتفى الباحث ببحث الأداء اللغوى عند فرد بعينه وإنما عليه أن يتجاوزه إلى بحث البنية اللغوية الكامنة وراء استخدام آحاد الأفراد.

وبعد التمييز بين الأداء اللغوى والكفاية اللغوية فى نظرية اللغة عند شومسكى Chomsky تطوير لرأى دى سوسير فى اللغة والكلام.

رابعاً : وظيفة اللغة ومستويات الاستخدام

إن بحث اللغة لا يكتفى بالتعرف على ملامح البنية اللغوية، ولابد أن يكتمل بالتعرف على الوظيفة فى إطار المجتمع. ومن هنا يجب فى بحث اللغة تعرف مستوى الاستخدام لكل نظام لغوى. لقد استقرت فى السنوات الأخيرة مجموعة من المصطلحات للتعبير عن مستويات الاستخدام اللغوى، ويتضح محتوى هذه المصطلحات فى إطار فرع جديد من أفرع علم اللغة هو علم اللغة الاجتماعى، وأهمية هذه المصطلحات أنها تفيد فى وصف العلاقات اللغوية فى داخل الجماعة اللغوية الواحدة بدرجة عالية من الوضوح.

ومن هذه المصطلحات مجموعة كبيرة تصف العلاقات اللغوية فى داخل المجتمع الواحد، وتعد مصطلحات التصنيف اللغوى بمستويات مثل :"اللهجة، و"الفصحى، و"العامية" أكثر هذه المصطلحات شيوعا. وفى الدول التى لم تتخذ فيها اللغة الوطنية، حجمها الكامل فى الحياة اللغوية نجد هذه المصطلحات مثار جدل كبير وتستخدم غالبا مصحوبة بمواقف سياسية وبشحنات من الانفعال تحول فى حالات كثيرة دون التفكير الدقيق.

إن أى نظام لغوى يتكون من أصوات تكون كلمات تؤلف جملا لأداء معنى، ومن هذا الجانب نجد أية لغة وأية لهجة داخلة فى هذا الإطار. والشئ الأساسى الذى يجعل نظاما لغويا ما يصنف باعتباره لهجة أو لغة فصيحة هو موقف أبناء الجماعة اللغوية منه، ومعنى هذا أنه ليس فى بنية اللهجة أو اللغة ما يحتم تصنيفها -بالضرورة- هذا التصنيف، ولكن مجالات الاستخدام عند أبناء الجماعة اللغوية هى التى تفرض هذا التصنيف. فالنظام اللغوى الذى يستخدم فى مجالات الثقافة والعلم والأدب الرفيع هو ما يصنف اجتماعيا بأنه فصيح، والنظام اللغوى الذى يقتصر استخدامه على مجالات

الحياة اليومية هو بالضرورة ما يصف اجتماعيا بأنه لهجة أو بأنه "عامية". وهذه الثنائية لا تستوعب كل ملامح الحياة اللغوية فهناك مستويات لغوية كثيرة بين هذه وتلك، ففي حديث المثقفين نجد "العامية" تقدم عناصر كثيرة في الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة، وإلى جانب هذا نجد من "الفصحى" عدد كبير من الكلمات، أوضحها تلك الكلمات التي تكونت في المستوى الثقافي واستقرت في مجالات الثقافة والعلم. وعلى هذا فليس من الصحيح أن نتصور الحياة اللغوية مجرد ثنائية لهجات محلية وفصحى، فهناك مستويات لغوية كثيرة.

وفي أكثر المجتمعات الأوربية الراقية يدور حديث المثقفين بلغة هي الفصحى في أصواتها وصرفها ومعجمها، وإن كانت أبسط منها في نحوها، ويحاول كل مثقف الارتفاع عن اللون المحلي في لهجته ليتوسل في حديثه باللغة الفصحى. إن مجالات استخدام اللغات الفصحى في الدول المتقدمة أكثر منها في دول العالم الثالث، ففي الدول الأوربية الكبرى نجد اللغة المشتركة في حديث المثقفين وفي وسائل الإعلام وفي الأفلام وفي الكتب الثقافية والعلمية وفي الإدارة وفي المجالس النيابية، ونجدها إلى حد كبير جدا في التعامل اليومي في داخل المتاجر والمؤسسات العامة. وفي بعض العواصم الأفريقية يتم التعامل اليومي بلغتين أو أكثر، كأن يكون مثلاً لغة الهوسا واللغة الإنجليزية في نيجيريا أو لغة الولوف وباللغة الفرنسية في السنغال. وفي بعض المجتمعات تستخدم لغة للتعامل اليومي في داخل الجماعة ولغة أخرى للتعامل اليومي في خارج الجماعة، وهذه حالة أكثر الأقليات اللغوية في العالم، فأبناء واحة سيوة في مصر يتعاملون مع بعضهم البعض بلغتهم السيوية البربرية ويتعاملون مع الآخرين بالعربية، وكذلك النوبيون في جنوب مصر وشمال السودان، والمهرة في إحدى محافظات اليمن. وهنا يتحدث الباحثون عن الازدواج اللغوي، أو الثنائية اللغوية، ولكن مجرد التسمية لا تكفي فلابد من تحديد مجالات استخدام كل مستوى من المستويين.

إن المصطلحات المستخدمة في هذا المجال كثيرة، ويدل مصطلح "لغة التعليم" على اللغة التي تستخدم وسيلة للتعليم في المدارس، فعندما يدرس علم التاريخ أو الجغرافيا - مثلا - في إحدى المدارس باللغة الإنجليزية فهي هنا لغة التعليم.

وقد تكون هذه اللغة لغة وطنية أو لغة أجنبية. وينبغي هنا ملاحظة أن بعض الدول تميز بين لغة التعليم في المدارس ولغة التعليم في الكليات الجامعية، كما هي الحال في عدد من الدول العربية التي تدرس بعض كلياتها بلغة أجنبية. وفي بعض الدول نجد التعليم العالي والتعليم العام مشتركين في لغة التعليم، بينما نجد البحوث العلمية تكتب بلغة أخرى تكون وسيلة التعامل بالعالم الخارجي. ففي الدول العربية التي تعلم باللغة العربية في التعليم العالي وفي عدد من الدول الوطنية الصغيرة في أوربا نجد اللغة الوطنية هي لغة التعليم في كل مراحله ونجد إلى جانبها لغة أجنبية تكتب بها أكثر البحوث العلمية.

وهناك عدة مصطلحات تستخدم في المجال السياسي على المستويين المحلي والدولي، أهمها مصطلحات "اللغة الوطنية" و"اللغة الرسمية" و"اللغة الدولية".

أما "اللغة الوطنية" فهي لغة جماعة كبيرة من المواطنين في داخل الدولة الواحدة، ولا يعني بالضرورة أنها لغة الأغلبية، فهناك دول كثيرة ليست بها أغلبية لغوية بالمعنى الحقيقي للكلمة بل تسودها عدة لغات وطنية، ففي باكستان نجد اللغات الأردية والبنجابية والسندية ولغة الباشتو واللغة البلوشية جنباً إلى جنب، وهذه لغات وطنية في باكستان وليست هناك لغة من هذه اللغات يمكن أن توصف بأنها لغة الأغلبية.

أما "اللغة الرسمية" فهي اللغة التي ينص عليها في الدستور، وتوجد أنظمة دستورية في أكثر دول العالم. وينص الدستور في كل دولة من هذه الدول -بعد أن يذكر اسم الدولة ونظمها وغير ذلك- على تسمية لغة معينة هي "اللغة الرسمية" في الدولة. والمقصود باللغة الرسمية تلك اللغة التي تستخدم في الإدارة وفي المجالس النيابية والتي تصدر بها مراسيم الحكومة وتقدم بها الصلات إلى الوزارات المختلفة وتتعامل بها المؤسسات والوزارات المختلفة.

وفوق هذا كله، فهناك لغات محدودة العدد استقرت في السنوات الأخيرة في إطار التعامل بين الدول. ففي منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة مثل اليونسكو نجد مجموعة لغات توصف بأنها "لغات العمل" لقد كانت لغات العمل في منظمة الأمم المتحدة عقب إنشائها بعد الحرب العالمية الثانية هي اللغات: الانجليزية والفرنسية والروسية والصينية والأسبانية، ولم يحدث بعد ذلك إلا تعديل واحد وذلك بإضافة اللغة العربية إلى تلك اللغات الخمس فأصبحت لغات العمل في الأمم المتحدة ست لغات، ومعنى هذا أن أي متحدث فيها يستطيع أن يستخدم إحدى هذه اللغات فيترجم كلامه إلى اللغات الخمس الأخرى، ويستطيع أيضاً أن يتابع المداولات والمناقشات عن طريق الترجمة العربية.

وهكذا تنوع مجالات استخدام اللغات ومستوياتها تنوعاً كبيراً. وعلم اللغة وإن كان يهدف إلى بحث البنية اللغوية، فإن الرؤية الوظيفية للغة تجعل بحث مجالات الاستخدام أمراً ضرورياً.

الفصل الثانى

علم اللغة : مجالاته ومناهجه

عـم اـلغة Linguistics في أبسط تعريفاته هو دراسـة اللغـة عـى نحـو عـمـى، ويعى هد التعريف أن الدراسات اللغوية موضوعية وليسـت انطباعيـة ذاتيـة. وقـد أدت هذه الموضوعية المنشودة إلى استقر ر كثير مـن الحقـائق وتكـون كثير مـن المنـاهج وخلق مناخ علمى يتيح لدى اللغويين، فى كل انحاء العالم، المتخصصين فـى مختلـف اللغات درجة عالية في التعاون وتبادل الخبرة.

أولاً : مجالات علم اللغة الحديث

يدرس عـم اللغه الحديث بنية اللغة من الجو نب التالية :

١- الأصو ت Phonetics, Phonology

٢- بناء الكلمة Morphology

٣- بناء الجملة Syntax

٤- الدلالة Semantics

وهذا التقسيم ينطلق من الوحدات الصغيرة فى اللغة إلى الوحدات الأكبر، فاللغـة الواحدة تتكون من عدد محدود من الوحدات الصوتية يتراوح عددها في أكـثر اللغـات بين الثلاثين والأربعين. هذ العدد المحـدود مـن الوحـدات الصوتيـة يمكـن أن تتـألف ملايين الكلمات، وذلـك عـن طريـق الأنسـاق المختلفـة لهـذه الوحـدات الصوتيـة فـى المواقع المختلفة، فالكلمات (كتـب)،(بكـت)،(تكـب)، (بتك) (تبـك)،(كبـت) ممكنـة من الناحية النظرية، تتكون من الوحدات الصوتية نفسـها، ولكنهـا تختلـف فـى ترتيـب هذه الوحدات فى داخل الكلمة، وبعض هذه الكلمات موجـود فعـلاً فـى واقـع العربيـة وبعضها غير موجود فى الواقع، مع أنه ممكن من الناحية النظريـة. وهكـذا نجـد العـدد

المحدود من الوحدات الصوتية في أية لغة يمكن أن يكون ملايين الكلمات. ولكن كل لغة من اللغات تختار من هذه الكلمات الممكنة ـ نظريا ـ عدة آلاف فقط.

وهذه الكلمات تنتظم وفق مجموعة من الضوابط الصرفية مثل الأبنية والسوابق واللواحق فتكون لكل مجموعة سماتها البنيوية ومحتواها الدلالي. وزن فَعيل يعد في العربية أحد الأبنية الصرفية وهو يعبر عمن قام بالشئ. والسوابق مثل الميم في العربية تؤدى عدة وظائف، منها مثلاً أنها تكون لاسم الفاعل من غير الثلاثي مثل: مُكرِم واسم المفعول منه مُكرَم وغير هذا وذلك من الصيغ واللواحق مثل تاء التأنيث تعطى هذه الأصوات إمكانية تكوين ملايين الكلمات الأخرى

ولكن بنية اللغة لا تكتفي بمجرد وجود هذه الكلمات، فالفرق الأساسي بين (ضرب موسى عيسى)، و(ضرب عيسى موسى) لا يرجع إلى اختلاف الكلمات بل إلى اختلاف ترتيب الكلمات في داخل هذا النمط من أنماط الجملة. وصيغة الماضي (قرأ) تتجاوز هذا المعنى إذا ما كانت في الجملة: (إن قرأتَ هذا الكتاب وجدتَه سهلا)، الفعلان هنا ماضيان. ومعنى هذا أن تحديد الصيغة الماضي لا يكفي لمعرفة المعنى، ولابد في هذا السياق من دراسة الأنماط المختلفة التي تتحدد الجملة في كل لغة من اللغات. وهكذا تتيح الأنماط المختلفة لبناء الجملة أن تعبر بالآف الكلمات الموجودة فيها عن ملايين المعاني التي تكاد تصل إلى عدد لامحدود.

إن الوحدات الصوتية تكون الكلمات، والكلمات تكون الجمل، والجمل يسعى لها أن تحمل دلالات. وقد يتناول البحث الدلالي كل ما يحدد معنى الكلمات والعبارات، وتعد المعاجم نتيجة تطبيقية للبحث الدلالي.

ترتيب هذه المجالات: الأصوات، بناء الكلمة، بناء الجملة، والدلالة، على هذا النحو متفق عليه عند كثير من اللغويين المحدثين والمعاصرين وهو ترتيب مخالف لما كان عند سيبويه وجمهور النحاة العرب، فقد انطلقوا من قضية الجملة والإعراب إلى قضية الأبنية الصرفية إلى قضية الأصوات، أي من الوحدات الأكبر إلى الوحدات

لأصغر. وقد ظهرت في سنوت الأخيرة اتجاهات عند بعض اللغويين الأمريكيين والأوربيين تنطلق في لتحليل اللغوى من الوحدات الكبيرة إلى لوحدات لأصغر، ولذا فهي تبدأ - أيضا - بتحليل الجملة وتنتهي بالتحليل الصوتي.

ثانياً : مناهج علم اللغة الحديث:

عرف علم لغة لحديث منذ نشأته في لقرن التاسع عشر إلى اليوم عدة مناهج، هي على لترتيب.

١ علم لغة المقارن Comparative Linguistics

٢ علم لغة الوصفي Descriptive Linguistics

٣ علم لغة لتاريخي Historical Linguistics

٤ علم لغة تقابلي Contrastive Linguistics

١- علم اللغة المقارن :

يتناول علم اللغة المقارن مجموعة لغات تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة بالدراسة مقارنة وعلم اللغة لمقارن أقدم مناهج علم اللغة الحديث، وبه بدأ البحث اللغوى عصر ازدهاره في القرن التاسع عشر. يعتمد لبحث المقارن على وجود تصنيف واضح للغات إلى أسرات لغوية، ولم تكن القرابة بين اللغات معروفة على نحو علمي دقيق إلى أن اكتشفت اللغة السنسكريتية في الهند. لقد قورنت السنسكريتية باليونانية واللاتينية، وثبت من هذه المقارنات وجود قرابة لغوية بين هذه لغات وأنها ترجع إلى أصل قديم بائد. وتقدم البحث شيئا فشيئا فقورنت اللغات الأوربية المختلفة واللغات الإيرانية و لغات الهندية، وثبت بهذه المقارنات أن كثيرا من هذه اللغات تحمل أوجه شبه في البنية والمعجم، وبذلك اتضحت معالم أسرة لغوية كبيرة تضم لغات كثيرة في الهند وإيران وأوربا. وأطلق لباحثون على هذه الأسرة اسم اللغات الهندية الأوربية، ويسميها باحثون الألمان أسرة لغات الهندية الجرمانية. وقام الباحثون في للغات سامية أيضا بتطبيق المنهج المقارن، كما تطور في مجال اللغات الهندية الأوربية، وبدأت

ظهر علم اللغات السامية المقارن الذى يبحث مجموعة اللغات العربية والعبرية والآرامية والأكادية والعربية الجنوبية والحبشية. وقد ازدهر البحث المقارن فى اللغات السامية في فترة كانت الكشوف الأثرية قد أظهرت لغات قديمة مكتوبة على النقوش، وهى اللغات الأكادية في العراق والعربية الجنوبية فى اليمن والفينيقية فى منطقة ساحل الشام. وأضيف إلى اللغات السامية فى القرن العشرين اللغة الأجريتية التى اكتشفت فى ساحل الشام بالقرب من مدينة رأس شمرا سنة ١٩٢٦. إن البحث المقارن يتناول أسرة لغوية كاملة أو فرعا من فروع هذه الأسرة اللغوية. ولذا يعد علم اللغة المقارن فرعا مستقلا من أفرع البحث اللغوى.

يتناول علم اللغة المقارن المجالات المذكورة بعلم اللغة. فيبحث من الناحية الصوتية الأصوات الموجودة فى هذه اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة محاولا التوصل إلى قواعد مطردة تفسر التغيرات الصوتية التى طرأت على مدى الزمن، فانقسمت اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات كثيرة، انقسمت بدورها إلى لغات أخرى وقد اتضح فى إطار البحث الصوتى المقارن أن مجموعة من الأصوات مستمرة دون تغير يذكر فى كل لغات الأسرة الواحدة. فكل اللغات السامية - مثلا - بها صوت الراء دون تغير. وعلى العكس من هذا فهناك أصوات خضعت لتغيرات بعيدة المدى منها مثلا صوت الضاد الذى اختفى بمضي الوقت من كل اللغات السامية باستثناء اللغة العربية - وله فيها مشكلة تاريخية. وكل هذه البحوث فى مجال الأصوات، وتعد بمنهج مقارن.

أما من ناحية بناء الكلمة فيتناول علم اللغة المقارن كل ما يتعلق بالأوزان والسوابق واللواحق ووظائفها المحتملة، وعلى هذا فدراسة الضمائر فى اللغات السامية تعد من دراسات علم الصرف المقارن، لأنها فى مجال بنية الكلمة وتتم بمنهج مقارن. وكذلك البحوث فى أبنية الأفعال فى اللغات السامية، أو اسم الفاعل فى اللغات السامية، أو المصدر فى اللغات السامية. فكل هذه البحوث تدخل فى علم الصرف المقارن للغات السامية.

ويعد البحث المقارن في بناء الجملة مجالا ثالثاً من مجالات البحث في علم اللغة المقارن. إن دراسة الجملة بحرية فعلية كانت أو اسمية في اللغات السامية يعد موضوعا أساسيا من موضوعات البحث. وكل القضايا المتعلقة ببناء الجملة في اللغات السامية تدخل أيضاً في هذا الإطار. من هذه الموضوعات : الاستفهام في اللغات السامية، الاستثناء في اللغات السامية، المطابقة بين الفعل والفاعل في اللغات السامية، المطابقة بين العدد والمعدود في اللغات السامية

ويتناول علم الدلالة المقارن في اللغات السامية كل ما يتعلق بتاريخ الكلمات وتأصيلها فهناك عدد من الكلمات السامية المشتركة نجدها في كل اللغات السامية تارة بالمعنى نفسه وأخرى بمعنى مقارب، وبحث هذه الكلمات مما يدخل في علم الدلالة المقارن. وهناك كلمات كثيرة في اللغات السامية تكونت من مواد مشتركة. وبحث هذه الكلمات الجديدة، والتغير الدلالي الذي طرأ عليها مما يدخل كذلك في علم الدلالة المقارن. وأهم جانب تطبيقي لعلم الدلالة المقارن هو تأصيل المواد اللغوية في المعاجم، وتأصيل المواد المعجمية العربية يكون بردها إلى أصولها السامية إن وجدت، ويعد من الإضافات المهمة التي نجدها ــ مثلا ــ في المعجم الكبير الذي يصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهذه التأصيلات تقوم على علم الدلالة المقارن للغات السامية.

٢– علم اللغة الوصفي :

يتناول علم اللغة الوصفي بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة في زمن بعينه ومكان بعينه. ومعنى هذا أن علم اللغة الوصفي يبحث المستوى اللغوي الواحد. لقد ظل علماء اللغة في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين يبحثون اللغات بالمنهج المقارن، وكان البحث المقارن هو الشكل الوحيد المتصور للبحث اللغوي. ولكن الباحث السويسري دي سوسير أثبت بدراسته في نظرية اللغة إمكان بحث اللغة الواحدة بالتعرف على بنيتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وهذا البحث يرتبط

عنده بمستوى لغوى بعينه فى زمن واحد، ومعنى هذا أن البحث الوصفى لا يجوز له أن يخلط المراحل الزمنية أو أن يخلط المستويات المختلفة. لقد بدأ الاتجاه بعد دى سوسير فى تطوير مناهج البحث فى البنية اللغوية، وزاد اهتمام الباحثين بالمنهج الوصفى فى النصف الثانى من القرن العشرين، وتكونت فى هذا الإطار عدة مدارس تختلف فى تقنيات الوصف اللغوى، ولكنها تنطلق من الأسس التى تكونت عند دى سوسير، وعند من جاءوا بعده. لقد أصبح علم اللغة الوصفى سائدا عند أكثر المشتغلين ببحث اللغة فى العالم، حتى إن البعض يتحدث عن علم اللغة الحديث ويعنى علم اللغة الوصفى، وكأنه هو المنهج الحديث الوحيد فى علم اللغة.

إن كل البحوث التى تتناول مستوى واحداً من مستويات اللغة بالدراسة الشاملة أو الجزئية لأحد جوانبه تعد من موضوعات علم اللغة الوصفى. فدراسة البنية الصوتية للعربية المعاصرة، ودراسة المقاطع فى لهجة عمان، تعد من الدراسات الصوتية الوصفية. أما علم الصرف الوصفى فيبحث موضوعات مثل: أبنية الأفعال فى لهجة القاهرة، أبنية الأسماء فى العربية الفصحى المعاصرة، المشتقات فى القرآن الكريم، المصدر فى الشعر الجاهلى. وهذه أمثلة لدراسات تتناول بناء الكلمة فى مستوى لغوى بعينه من مستويات اللغة. وتدخل قضايا تحليل بناء الجملة أيضاً فى علم اللغة الوصفى، ومن أمثلة بناء الجملة بالمنهج الوصفى: الجملة العربية فى الشعر الجاهلى، الجملة الخبرية فى القرآن الكريم، الجملة الطلبية فى الأصمعيات، الجملة الشرطية عند الهذليين، جملة الاستفهام فى النثر العربى الحديث. وفى الجانب المعجمى - أيضاً - مجالات كثيرة لتطبيق المنهج الوصفى. وهناك معاجم أعدت لمستوى لغوى بعينه مثل: معجم ألفاظ القرآن الكريم. وأعدت فى إطار خطة الرسائل الجامعية فى كلية الآداب جامعة القاهرة عدة معاجم يختص كل منها بشاعر بعينه أو بكاتب بعينه من كتاب العربية، وهى جهود تهدف إلى تسجيل الواقع المعجمى فى هذه النصوص. وهكذا فإن مجالات البحث الوصفى كثيرة، وأية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية لأحد مستويات العربية قديما أو حديثا تعد دراسة وصفية.

٣- علم اللغة التاريخى :

يبحث علم اللغة التاريخي تطور اللغة الواحدة عبر القرون، أو بمعنى أدق التغير فى اللغة الواحدة على مدى الزمن. وهناك باحثون يرفضون كلمة التطور فى هذا الإطار باعتبارها تحمل دلالة الارتقاء، أى تغير إلى أفضل. وهذا حكم تقويمي، وهو غير ممكن فى مجال التغير اللغوي، فليست هناك صيغة أفضل من صيغة، وليس هناك صوت أفضل من صوت. ولذا يفضل أكثر الباحثين المعاصرين وصف ما يحدث بأنه تغير. وثمة فرق بين أن يقال بأن اللهجات نتيجة تغير لغوي أو أنها نتيجة تطور لغوي.

لقد كانت البحوث اللغوية المقارنة ذات سمة تاريخية، ولكنها كانت تحاول أن ترتب المستويات اللغوية واللغات المختلفة المنتمية إلى أسرة واحدة ترتيبا يهتم فى المقام الأول بالصيغ والمستويات المعرقة فى القدم، والتى يمكن أن يتعرف منها الباحث الصيغة الأصلية أو الشكل الأقدم الذى خرجت عنه باقى الصيغ، ولهذا فقد وصف هذا العمل بأنه تاريخي مقارن. وقد ظل بعض الباحثين يتصور أن علم اللغة التاريخي يمكن أن يكتفى بالمراحل المبكرة فى تاريخ كل لغة من اللغات، أى أقدم المراحل المتاحة وأقربها من اللغة الأقدم. ولكن الوضوح المنهجي فى علم اللغة يتيح وجود دراسات وصفية للمستويات اللغوية المختلفة عبر القرون، ويتيح أيضاً أن تتكامل هذه الدراسات الوصفية الكثيرة لتمهد الطريق أمام البحث التاريخي اللغوي بالمعنى الدقيق للكلمة، أى البحث فى تاريخ لغة من أقدم نصوصها المدونة إلى وقتنا هذا.

وهناك قضايا كثيرة فى مجالات الأصوات وبناء الكلمة والجملة والدلالة تدخل فى إطار علم اللغة التاريخي. فدراسة التغير الصوتي فى العربية تعد دراسة صوتية تاريخية، ودراسة صيغ الجموع فى العربية بتتبع توزيعها ونسبة شيوعها فى المستويات اللغوية المختلفة عبر القرون موضوع من موضوعات علم الصرف التاريخي، ودراسة جملة الاستفهام فى العربية عبر القرون تعد دراسة نحوية تاريخية، وكذلك الجملة الشرطية فى العربية وجملة الاستثناء فى العربية. وتعد دراسة التغير الدلالي وما يرتبط

بها من إعداد المعاجم التاريخية من أهم مجالات علم اللغة التاريخي. والمعجم التاريخي هو ذلك المعجم الذى يعطي تاريخ كل كلمة من كلمات اللغة الواحدة ويؤرخ لها ابتداء من أقدم نص وردت به إلى آخر نص، يتتبع دلالتها وتغيرها. ويعد معجم اكسفورد التاريخي للغة الانجليزية من أهم المعاجم التاريخية للغة من اللغات. وتهدف الدراسات المعجمية الوصفية التى تعد للعربية إلى أن تكون لبنات في تكوين معجم تاريخي للغة العربية.

هناك مجالات كثيرة للبحث اللغوى التاريخي، فالتاريخ اللغوى بأبعاده الكاملة من شأنه أن يعطي صورة واضحة لتاريخ الحياة اللغوية. ولا يقتصر هذا البحث على تغير البنية اللغوية من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، بل يتناول بالضرورة مستويات الاستخدام اللغوى في البيئات المختلفة وتغير ذلك عبر الزمن، كما يتناول الانتشار اللغوى ودخول اللغة إلى مناطق جديدة ويبحث أيضاً الانحسار اللغوى عن مناطق محددة. فالعربية مثلا كان لها على مدى عدة قرون وجود في الأندلس وفي إيران، وكانت لغة ثقافة في شبه القارة الهندية، ودراسة موجات التعريب من جانب ثم انحسار مجالات استخدام العربية في بعض هذه المناطق يعد من الدراسات اللغوية التاريخية. وعلى ذلك فالتاريخ اللغوى يتناول دراسة التغير في البنية اللغوية ويبحث التغير في مستويات الاستخدام.

٤- علم اللغة التقابلي :

علم اللغة التقابلي أحدث فروع علم اللغة، نشأ بعد الحرب العالمية الثانية. يقوم علم اللغة التقابلي على فكرة بسيطة لا شك أن الكثيرين ممن تعلموا لغات أجنبية أو علموها قد أدركوها فالصعوبات التى تواجه متعلم لغة جديدة ترتبط في المقام الأول بالاختلافات بين هذه اللغة الأجنبية واللغة الأم. ويطلق مصطلح 'اللغة الأم' أو 'اللغة الأولى' على اللغة التى نشأ عليها الفرد أى اللغة التى اكتسبها في طفولته، في بيئته وفي علاقاته الأسرية والاجتماعية المحلية وعلى عكس هذا فإن مصطلح اللغة الثانية يعبر

عن اللغة التي يكتسبها الإنسان بعد ذلك، ويدخل في هذا بالضرورة كل اللغات الأجنبية التي يكتسبها الانسان في المراحل التعليمية المختلفة، أو في أثناء التعامل المباشر مع أبناء تلك اللغات. ولذلك يطلق على اللغات الأجنبية في أكثر البحوث الخاصة بتعليم اللغات - مصطلح اللغة الثانية. وفي المجال التعليمي يطلق مصطلح اللغة المنشودة على اللغة التي يراد تعلمها، وذلك على عكس اللغة المصدر وهي اللغة الأم أو اللغة الأولى.

وبقدر الاختلاف بين اللغة الأولى واللغة المنشودة تكمن الصعوبات، فالأصوات التي توجد في اللغة المنشودة ولا توجد في اللغة الأولى تشكل بالضرورة صعوبات ينبغي العمل على تذليلها. وموضوع علم اللغة التقابلي هو المقابلة بين نظامين لغويين مختلفين، هما بالتحديد النظام اللغوي للغة الأولى والنظام اللغوي للغة المنشودة. وقد تجنبنا هنا استخدام كلمة المقارنة لئلا يختلط علم اللغة التقابلي وعلم اللغة المقارن، فعلم اللغة المقارن يقارن اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة ويهتم في المقام الأول بالاستخدام الأقدم للوصول إلى اللغة التي خرجت عنها كل هذه اللغات، ولذا فعلم اللغة المقارن ذو هدف تاريخي يحاول كشف جوانب من الماضي البعيد. أما علم اللغة التقابلي فلا شأن له بهذه الاهتمامات التاريخية، ودراساته ذات هدف تطبيقي في تعليم اللغات. ولذلك فالدراسة التقابلية ممكنة بين لغتين من أسرة واحدة أو من أسرتين مختلفتين، ليس بهدف تعرف الأصل القديم ولكن بهدف تعرف الفروق الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية بين النظامين اللغويين، فيمكن مثلاً أن تتم الدراسة التقابلية بين العربية والتجرينية - لغة إريتريا - وكلتاهما من اللغات السامية، ومن الممكن أيضاً عمل دراسة تقابلية بين العربية والأردية، وهما من أسرتين لغويتين مختلفتين.

ولا يقتصر البحث اللغوي التقابلي على دراسة الفروق بين لغتين اثنتين فيمكن أيضاً أن يكون بين لهجة محلية واللغة الفصيحة المنشودة، فالصعوبات الموضوعية التي تواجه أبناء تلك اللهجة في محاولاتهم تعلم اللغة الفصيحة تنجم في المقام الأول عن الفروق بين هذه اللهجة وتلك اللغة. فالصعوبات التي يواجهها أبناء مصر في تعلم

لأصوات بين الأسنانية وهي لثاء والدال و لطاء في الفصحى والصعوبات التي يواجهها أبناء العراق والجزيرة العربية في التمييز بين الصاد والطاء والصعوبات التي يواجهها عدد من الفلسطينيين في تمييز بين القاف والكاف إنما ترجع إلى الفروق بين اللهجة المحلية واللغة المنشودة. ولا يقتصر البحث اللغوى التقابلى على مجال الأصوات، بل يتناول أيضاً بناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة. الأبنية الصرفية قد تختلف بين اللغة الأم واللغة المنشودة، والتراكيب قد تختلف بينهما والكلمات قد تختلف دلالتها بين المستويين ويمكن تعرف ذلك كله بالدراسة التقابلية، فيكون تذليل هذه الصعوبات بمراعاتها في برامج تعليم اللغات. فإذا كانت اللغة الأولى تفتقد بعض الأصوات التي توجد في اللغة الثانية وجب العناية بالتدريب النطقي على هذه الأصوات. وإذا كانت بعض الكلمات تستخدم في اللهجة المحلية بدلالات تخالف اللغة المنشودة كان من الضرورة الاهتمام بالتدريبات التي توضح المعنى الفصيح المنشود. وهكذا يمكن أن تقدم الدراسات التقابلية أساساً لغوياً موضوعياً لتذليل الصعوبات في تعلم اللغات

ثالثاً : علم اللغة العام :

يرجع مصطلح علم اللغة العام إلى المحاضرات التي ألقاها اللغوى السويسرى دى سوسير. لقد حاول دى سوسير أن يتناول طبيعة اللغة ووظيفتها. تناول علم اللغة الوصفي، ثم علم اللغة التاريخي ثم علم اللغة الجغرافي، ثم بعض القضايا التي تربط اللغة بالعلوم الإنسانية. وتتابعت مؤلفات كثيرة بعد ذلك تناولت نظرية اللغة ومناهج التحليل اللغوى. وفي مقدمة هذه الكتب ما كتبه بلومفيلد Bloomfield وجليسون Gleason، وهوكيت Hockett، ومارتينيه Martinet، وياكوبسون Jakobson، وتشومسكي Chomsky، وروبينز Robins، ولاينز Lyons وهذه الكتب تصدر عن فكرة أساسية هي أن اللغة ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها كل البشر، وتتألف اللغة من أصوات تصدر من أعضاء النطق وهي مشتركة أيضاً بين كل البشر،

ثـم تـتـألف هـذه الأصـوات فـي أنسـاق مختلفـة لتكـون الكلمـات، ثـم تـتـألف الكلمـات فـي عـدة أنسـاق لتكـون الجمـل. وهـدف علـم اللغـة العـام أن يطـور النظريـة العامـة للغـة والوسـائل الدقيقـة لتحليـل الأصـوات والكلمـات والجمـل والدلالـة. ويهتـم علـم اللغـة العـام أيضـاً ببيـان العلاقـة بيـن علـم اللغـة والعلـوم الإنسـانية الأخـرى.

رابعاً : اللغة بين العلوم الإنسانية

تشترك العلوم الإنسانية في اهتمامها باللغة بوصفها أهم مظاهر السلوك الإنساني ووسيلة الاتصال المكونة للجماعة الإنسانية. وهناك أفكار كثيرة عن اللغة نجدها عند المفكرين اليونان والعرب والهنود، وكذلك عند علماء الاجتماع من ابن خلدون ودور كايم إلى المدارس الاجتماعية المعاصرة، وكذلك عند علماء النفس. ولكن التوجه إلى التخصص الدقيق - في عصر حدث فيه انفجار معرفي - جعل الاستيعاب الشامل مستحيلا. فكان من الضروري أن تنشأ تخصصات جديدة تهتم ببحث اللغة في مقدمتها علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي.

يهتم علم اللغة الاجتماعي بقضايا العلاقة بين اللغة والمجتمع، وما أكثر القضايا التي تدخل في هذا الإطار : الازدواج اللغوي، مستويات الاستخدام، تعدد اللغات في المجتمع الواحد وغير ذلك. وهناك مجال كبير للبحوث اللغوية الاجتماعية في دول العالم الثالث حيث تتعدد اللغات في داخل الدولة الواحدة، مما يفرض على الباحثين الاهتمام بالمشكلات اللغوية الاجتماعية في محاولة لفهمها ولإيجاد الحلول المناسبة لها في إطار الجهود الهادفة إلى إقامة الدولة الحديثة.

أما علم اللغة النفسي فيتناول بصفة عامة القضايا التي تتناول العلاقة بين اللغة والقدرات عند الإنسان. ويدخل في هذا : التمكن اللغوي، واكتساب اللغة، واللغة والمعرفة، واللغة والفكر، وغير ذلك. وكل العمليات العقلية عند المتحدث قبل صدور اللغة وعند المتلقي عقب صدور اللغة يدخل بحثها في إطار علم اللغة النفسي.

وفوق هذا كله فإن تكامل المعرفة الإنسانية ضرورة للنمو العلمي. وعلم اللغة مرتبط بعلمي التشريح والفسيولوجيا من حيث تعرف أعضاء النطق وأعضاء السمع وقيامها بوظائفها. وعلم اللغة يفيد أيضاً من علم فيزياء الصوت ووسائل التحليل الصوتي المختلفة وفي مقدمتها الأجهزة الدقيقة التي طورها علماء فيزياء الصوت. وعلم اللغة يفيد أيضاً من الحاسبات الالكترونية في الحصول على المعلومات الإحصائية اللغوية وفي مقدمتها إحصاءات المفردات. ويشترك علم اللغة مع بعض العلوم الطبية فيما يتعلق بعلاج أمراض الكلام. وهكذا أدى تنوع المعرفة الإنسانية وانفجار المعرفة إلى زيادة حجم المعلومات المتاحة من جانب وإلى ضرورة التعاون بين التعاون بين اللغويين وغيرهم من أصحاب التخصصات الأخرى، فنشأت تخصصات جديدة.

الفصل الثالث

الأصوات

أولاً : الأصوات والكتابة :

هناك خلط غير يسير يقع فيه كثيرون لا يميزون الأصوات والكتابة، أو بمعنى آخر بين اللغة في صورتها المسموعة وبين اللغة وقد كتبت بحروف. ويعتقد كثيرون أن الكتابة بصفة عامة صورة صادقة للغة المنطوقة، وفي هذا نظر. المتفق عليه أن اللغة ظاهرة صوتية، ومعنى هذا أن الأصل في اللغة أنها نظام من الرموز الصوتية المنطوقة التي يتعامل بها الإنسان. وقد تعامل الإنسان باللغة آلاف السنين قبل أن يكتبها. وبعد مرحلة طويلة بدأت المحاولة الأولى لتدوين هذه اللغة المنطوقة المسموعة لتصبح شيئا مقروء. وهناك لغات كثيرة لا يكتبها أبناؤها إلى يومنا هذا، فاللغة المهرية لا يكتبها أبناؤها وكذلك النوبية ومئات اللغات الافريقية فضلا عن لغات السكان الأصليين في أمريكا وأستراليا. فاللغة تقوم أساسا على الصوت، وأما الكتابة فهي ظاهرة حضارية لها أهميتها. ولكن ينبغي ألا تختلط بظاهرة أخرى وهي اللغة.

الكتابة في أفضل صورها محاولة للتعبير عن اللغة المنطوقة، ولكن الكتابة العربية بتقاليدها المعروفة والكتابة المستخدمة في تدوين اللغات الأوربية على النحو المعروف لنا، وكذلك كل الكتابات المتداولة في العالم قديما وحديثا هي مجرد محاولات تقريبية لتسجيل الواقع الصوتي لهذه اللغات. فالقارئ العادي لا يقرأ الكلمات المكتوبة حرفا حرفا، ولكنه ينظر إلى الرموز المكتوبة فيتذكر الكلمة فينطق لسانه بها، ولو كان القارئ العربي مثلا يقرأ الكلمة المدونة حرفا حرفا لما استطاع أحد قراءة كلمة عربية غير مضبوطة بالحركات، بل لما استطاع الأقدمون قراءة كلمة مدونة بحروف دون نقط، وفي كل هذه الحالات يكفي الرمز المكتوب لأن يذكر القارئ

بالصورة الصوتية للكلمة مدونة، ويبلغ الاختلاف بين لغة المنطوقة ومحاولة تدوينها بالكتابة في بعض اللغات الأوربية المعاصرة مدى بعيداً، ففي الكلمات الانجليزية التالية نجد ثلاثة أصوات مختلفة والحرف واحد، والكلمات هي : Sir,in,I فالأصوات مختلفة والحرف واحد. وعلى العكس من هذا نجد الصوت الواحد يدون بأكثر من رمز، ففي تدوين اللغة الانجليزية نجد في الكلمتين for, Photo صوت معين تبدأ به كلتا الكلمتين، ومع هذا فتدوين هذا الصوت يختلف في كلتا الكلمتين، ويرجع هذا الاختلاف إلى تاريخ كلتا الكلمتين، فكلمة for في الانجليزية كلمة أصيلة موروثة، ولكن كلمة Photo دخلت الانجليزية من اللغة اليونانية، فالكتابة في حالات كثيرة لا تمثل النطق تمثيلا مباشرا، ولكنها تعكس جوانب من تاريخ الكلمة. والمقصود هنا بالتمثيل المباشر أن يكون لكل صوت من أصوات اللغة رمز واحد يكتب به، وألا يعبر هذا الرمز الواحد إلا عن ذلك الصوت المنطوق ولكن كل الكتابات المستخدمة في تدوين اللغات الحديثة تختلف من هذا الجانب اختلافا بعيدا في بعض الأحوال ومحدودا في أحوال أخرى. ويتحقق من هذا حقيقة كون القارئ لا يقرأ الحروف المكتوبة حرفا حرفا، إلا إن كان طفلا يتعلم القراءة.

إذا نظرنا في الخط العربي كما نكتبه اليوم محاولين معرفة مدى اختلاف الواقع المنطوق وجدنا عدداً كبيرا من الأمثلة. فالخط العربي يقوم أساسا على كتابة الكلمة مفردة، ومعنى هذا أننا عندما نكتب كلمة 'ابن' نكتب الألف كما لو كانت هذه الكلمة مستقلة قائمة برأسها في النطق، ويصدق هذا إن كانت هذه الكلمة في أول الكلام، أما إذا سبقت بحركة فلا مبرر لهذه الألف من الناحية الصوتية. ولبعد لقارئ بسمعه إلى نطقنا لهذه الكلمة مسبوقة بحرف الفاء 'فابن'. وهنا نلاحظ أننا نطقنا بالفاء ثم بفتحه ثم بالباء .. الخ. ومعنى هذا أن ما بين الفاء وباء الكلمة ليس ألفا بحالة من الأحوال، إن هي إلا فتحه فقط. وهنا نذكر إدراك النحاة العرب في القرن الثاني

اللغويون هذه الظاهرة، فقد أطلقوا على الألف التي لا تظهر في سياق الكلام مصطلح "ألف الوصل" تمييزا لها عن همزة القطع، وهي الهمزة المنطوقة الثابتة التي لا تختفي وتظل دائما في الكلمة العربية طالما كان الانسان ينطق بالعربية الفصحى. وهناك فرق بين نطقنا لعبارة (قال أحمد)، وعبارة (قال اخرج) ففي العبارة الأولى نلاحظ أننا نطقنا الكلمة (قال) التي تنتهي بحركة قصيرة هي الفتحة، ثم جئنا بعد ذلك بكلمة (أحمد) ونطقنا الهمزة باعتبارها أول أصوات الكلمة. وعلى العكس من هذا قولنا (قال اخْرج) فنطق الفصيح بهذه العبارة يجعلنا ننطق بعد اللام والفتحة التالية لها صوت الخاء مباشرة، أي دون أن ننطق بالألف، وهذا معناه أن هذه الألف نسميها ألف وصل، أي لا تنطق في السياق. ورب معترض يقول هنا بأن الخط العربي التقليدي يفرق بين همزة القطع وألف الوصل، بجعل علامة الهمزة تستقر فوق الألف للدلالة على همزة القطع وبجعل علامة الوصل فوق الألف للدلالة على الوصل. وهذا صحيح ويصدق على واقع الخط العربي منذ قرون، فهذه العلامات الإضافية زيدت في مرحلة تالية في تاريخ الخط العربي في محاولة لإبراز فروق النطق ومع هذا فوجود الألف في كلمة (اخرج) يرجع إلى أن هذه الكلمة تحدث شكلها المكتوب كما لو كانت مستقلة.

ولنلق نظرة ثانية إلى ما يسمى بأداة التعريف العربية "أل" لنلاحظ أن اللام تظهر في النطق أحيانا، وتختفي مدغمة في أحيان أخرى. فنحن نقول: الجامعة، الأعلام، الكتاب، فننطق لام التعريف واضحة. ونقول: الشّمس، فلا ننطق إلا بشين مشددة وفي كل الحالتين تكتب اللام ولكن نطق هذه اللام أو إدغامها يخضع لضوابط، فقد بحث اللغويون العرب هذه الظاهرة وعرفوها باسم الإدغام، تعبيرا عن كون الصوت الناتج مشددا، وهو هنا الشين المشددة، كما نقول: الرجل والسيارة فالإدغام يظهر في تشديد الراء وتشديد السين. ولكي لا نمضي طويلا متوسعين بمصطلحات الخط وبين مصطلحات الأصوات، نشير إلى أن مصطلح التشديد أو التضعيف يعبر من ناحية الكتابة عن العلامة التي توضع فوق الحرف لتفيد تكراره، أما من ناحية النطق ـ

وهو الأسس - فيعنى مصطلح التشديد أو التضعيف أن الصوت المعنى يستغرق نحو ضعف الزمن الذى يستغرقه الصوت دون تشديد، وكأن الصوت المشدد يعبر عن صوتين متتابيين.

ولكى نوضح ما بين الخط العربى والنطق العربى من جوانب اختلاف واتفاق نذكر شيئ آخر. فنحن نكتب بعد واو الجماعة في الفعل الماضي ألفا، مثل خرجوا، ذهبوا. وليس لهذه الألف أى مبرر صوتي، وقد دونت لعوامل لا تتعلق بالنطق. وعلى العكس من هذا نجد في أمثلة كثيرة اختلافا بين النطق والكتابة على نحو مغاير. ويكفي أن ننظر في صفحة واحدة من المصحف، فيها عشرات الكلمات المكتوبة دون تدوين حروف دالة على الفتحة الصوتية أى دون تدوين مد الألف. ولرسم المصحف أهمية كبرى في دراسة تاريخ الخط العربي، هو أكبر وثيقة تتضح منها خصائص الخط العربى في صدر الإسلام. وفيه نجد الكلمات (الرحمن، طه، إسماعيل، اسحق، هرون، سليمن) مكتوبة دون حروف مد. وتعكس طريقة كتابة هذه الأسماء النهج العربى القديم في تدوين الصوامت فقط وعدم تدوين الحركات الطويلة والقصيرة.

لكن كتابة هذه الأسماء على هذا النحو لا تعكس كيفية نطقها، فهذه الأسماء لم تكن تنطق آنذاك إلا كما وصلت إلينا في القراءات القرآنية، أى أن هذه الأسماء كانت تنطق كما ننطقها اليوم. ونحن نكتب بعض هذه الأسماء اليوم في العربية الفصحى الحديثة كتابة أقرب إلى النطق من الخط الذى عرفه العرب وقت كتابة المصحف العثماني، مثل اسم العلم اسحق يكتب اليوم اسحاق، غير أن عددا منها لا يزال يحتفظ برسمه القديم.

وإذا كانت ثمة أقاصيص بأن زيدا ضرب عمراً لأن عمرا سرق واو داود، فالعلم الحديث لا يتعامل بمثل هذه الحكايات. اسم العلم داود كتب في العربية بواو واحدة، لأنه كتب في كل اللغات السامية التى عرفتها منطقة الشام بواو واحدة، وعندما تعلم العرب الخط من الآراميين أخذوا كتابة بعض الكلمات عنهم أيضا وكتبوا الكلمة بتلك

الحروف، ولم يطابقوها مع لنطق العربي. كان الكنعانيون والآراميون قد كتبوا هذا الاسم بواو واحدة وفعل العرب الشئ نفسه، فكتابة هذه الاسم على هذا النحو إرث تاريخي. أما عمرو فلم يكتب اسمه بواو لعلاقته الحسنة أو السيئة مع أحد، بل للتمييز بينه وبين عمر، ولذا يكتب اسم عمرو هكذا بالواو في حالتي الرفع والجر أما في حالة النصب فيكتب عَمراً، لأن وجود الألف معناه أنه معرب منون على عكس عُمَر. فهو ممنوع من الصرف، ولذا تكون صيغته في حالة النصب: عُمَرَ. وهكذا نلاحظ للكتابة ضوابطها في التمييز بين الكلمات، وهي ضوابط لا تطابق الواقع الصوتي في حالات كثيرة، ولذا لا نعتمد في الدراسة الصوتية على الكلمة برسمها المكتوب، بل نبحثها في ضوء مكوناتها الصوتية الحقيقية.

ثانياً : أعضاء النطق وعملية الكلام :

يعتمد تصنيف الأصوات اللغوية من الناحية الفسيولوجية أو النطقية على المعرفة الدقيقة بأعضاء النطق وعلى الفهم العلمي لعملية الكلام ولذا يفيد البحث الصوتي من علم التشريح في التعريف بأعضاء النطق ومن علم الفسيولوجيا في معرفة وظائف هذه الأعضاء وكيفية قيامها بهذه الوظائف. لقد اصطلح الباحثون في علم اللغة على تسمية الأعضاء التي تشترك في عملية النطق باسم أعضاء النطق أو أعضاء الكلام أو الجهاز الصوتي، وهذه الأعضاء تقوم بأداء هذه الوظيفة عند الإنسان فقط، ولها وظائفها الأساسية الأولى التي نجدها عند الإنسان وعند الكائنات الحيوانية الأخرى. إنّ الوظيفة الفسيولوجية للسان هي التذوق، كما أن هواء الزفير المكون للأصوات اللغوية يخرج من الرئتين في إطار عملية التنفس. وهي عملية فسيولوجية أساسية، أضيفت إليها عند الإنسان وظيفة ثانوية هي تكوين الأصوات اللغوية.

يتكون الصوت اللغوي على نحو يشبه حدوث الأصوات في آلات النفخ مثل الناي والمزمار. ووجه الشبه بين حدوث الصوت اللغوي من جانب وصوت آلات النفخ من الجانب الآخر أن كليهما يصدر بأن يتحرك عمود من الهواء في اتجاه محدد

خلال ممر مغلق فحدث له في طريقه درجات محتملة من الإيقاف أو الاعتراض في مواضع مختلفة فيسوغ لصوت تبعاً لذلك. ولهذا تتكون الصوت اللغوي في ظل ثلاثة شروط

١- وجود عمود هواء متحرك.

٢- وجود ممر مغلق.

٣- إيقاف أو اعتراض مؤقت لحركة عمود الهواء.

وفي نطق الأصوات اللغوية، فإن عمود الهواء هو ذلك الهواء الذي تطرده الرئتان في عملية الزفير. وكل الأصوات العربية وأصوات اللغة المعروفة تنطق عن طريق هواء الزفير. يمضي عمود الهواء خلال فراغ أو ممر مغلق، يتكون هذا الممر من الحلق ثم التجويف الحلقي ثم الفم أو الأنف. وتتنوع الأصوات اللغوية لأن عمود الهواء لا يخرج دون أن يعترض سيره في نقاط محددة محتملة في حين يتغير شكل الممر المغلق وفقاً لنظام محدد، وبذلك يصدر كل صوت لغوي وفق أوضاع معينة تتخذها أعضاء النطق.

وهناك عدد من أعضاء النطق تستطيع بحكم تكوينها أن تتحرك، فاللسان من أعضاء النطق المتحركة لأنه يتحرك إلى أعلى وإلى أسفل ويتحرك كذلك إلى الأمام أو إلى الخلف، وحركيته جزء أساسي في تكوين الأصوات اللغوية. وعلى العكس من هذا فهناك أعضاء نطق ثابتة منها الأسنان العليا. ويوصف الصوت اللغوي وفق عدة معايير تقوم أساساً على بيان عضو النطق المتحرك الذي يشترك في تكوين الصوت وكذلك في تحديد النقطة التي يتحرك في اتجاهها عضو النطق المتحرك.

تتكون الأصوات عند المتحدث في منطقة معينة توجد فيها أعضاء النطق، وترتبط عملية النطق بعمليات فسيولوجية أخرى. الصوت يتكون من هواء الزفير، ولابد أن يوجد تيار الهواء خارجاً من الرئتين عبر القصبة الهوائية لكي يتم النطق. وعندما يمضي تيار الهواء يعبر الوترين الصوتيين ويتج عن وجود هذا التوتر أو عدم وجوده

تمبيز بين الأصوات لغوية. وتختلف الأصوات باختلاف لموقع الذي يتخذه اللسان في الفم. وتختلف أيضاً باختلاف وضع لشفتين. ففي نطق بعض لأصوات تكون الشفتان في وضع مستديرة مثل نطق لضمة. وفي نطق أصوات أخرى تكون لشفتان منفصلتين مثل نطق الكسرة.

وعملية النطق عملية مركبة بمعنى أن الصوت لا يكون إلا نتيجة عمليات متكاملة، فلا تكفي استدارة الشفتين لنطق الصوت، ومجرد وضع اللسان في أي موضع من لفم لا يكفي لنطق أي صوت. ولذا فهناك مقومات أساسية لنطق لأصوات لغوية، وإذا كانت عملية ترفير تمد عملية لنطق بتيار الهواء فإن الأعضاء نطقية من الحنجرة إلى لشفتين والأنف تكوّن هذا لممر لضيق، أما لأعضاء النطقية المتحركة وأهمها لسان ثم اللهاة ثم الوترين الصوتيان فتقوم باعتراض تيار لهواء لخارج بكيفيات مختلفة فتتميز الأصوات اللغوية، فلكل صوت خصائصه النطقية التي تفهم بدراسة لجهاز لصوتي وفسيولوجية لكلام.

وعندما يصدر الصوت اللغوي يمضي في لهواء فيحدث ذبذبات وتكون له عدة خصائص فيزيائية. وهنا مجال لدراسة ذلك الصوت اللغوي بأجهزة القياس الصوتي التي يتعامل بها المختصون في فيزياء لصوت. وما أن يصل لصوت لغوي إلى أذن المتلقي حتى تتلقاه لأذنان وهنا أيضاً مجال لدراسة الصوت من حيث وقعه على أعضاء السمع فلكل صوت خصائصه النطقية وخصائصه الفيزيائية وخصائصه السمعية. ولذا يميز الباحثون ثلاثة مداخل لدراسة لصوت للغوي :

(أ) علم لأصوات النطقي

(ب) علم الأصوات الفيزيائي.

(جـ) علم الأصوات السمعي.

ويفيد البحث لصوتي من نتائج علوم التشريح و لفسيولوجيا في علم الأصوات النطقي وعلم الأصوات السمعي، كما يفيد من علم فيزياء الصوت في علم الأصوات الفيزيائي.

ثالثاً : التحليل الفونولوجي

يتناول التحليل الفونولوجي أصوات اللغة باعتبارها عناصر رمزية تتكون منها اللغة. فلا يهتم علم الفونولوجي بالخصائص النطقية والفيزيائية والسمعية للأصوات باعتبارها هدفا في ذاتها، بل يهتم بها اعتبارها مجرد وسيلة لتحديد الصوت اللغوي في إطار اللغة الواحدة. يتضح الفرق بين البحث الصوتي والبحث الفونولوجي من الفرق بين ما تسجله أجهزة القياس وما يؤثر في المعنى. فالكاف في العربية لا تنطق النطق نفسه في كل سياق صوتي، فالكاف التي بعدها كسرة في كلمة "كِتاب" يختلف مخرجها عن الكاف المضمومة في كلمة "كُل". ولكن هذا الاختلاف ليس بذي دلالة في تغير المعنى، وكذلك اللام العربية فإنها تنطق تارة بالترقيق في "بالله" وأخرى بالتفخيم في "والله".

إن البحث الصوتي بوسائله المعملية التجريبية يكشف في اللغة العربية عن عدد كبير جداً من الأصوات. فالكاف التي بعدها كسرة صوت يختلف عن الكاف التي بعدها ضمة، واللام المرققة صوت يختلف عن اللام المفخمة وهناك باء مفخمة وباء مرققة، وهناك واو مفخمة وواو مرققة. وإذا كان ثمة خلاف بين المتحدث الواحد على نحو ما ذكرنا فإن الاختلاف يزيد بتعدد الأشخاص فلا ينطق كل إنسان مثل الآخر، فكل فرد له خصوصيته في النطق. ولذا يصعب الاعتماد على الأجهزة لتحديد الأصوات المكونة للغة من اللغات. ويزيد الأمر تعقيداً أن الانتقال من نطق صوت لآخر ليس انتقالا مباشرا أو واضح الحدود، بل يحدث تتابع الأصوات المنطوقة في سلسلة، بين كل عنصر من عناصرها مرحلة انتقال. فأعضاء النطق في الكلام العادي لاتنطق كل صوت مستقلا، بل يتأثر نطق الصوت الواحد بالأصوات السابقة عليه والتالية له. وتستطيع الدراسة الصوتية المعملية التمييز بين الخصائص الفيزيائية لكل صوت ينطق، ولهذا يكون عدد الأصوات من هذا الجانب بلا حدود.

ولكن اللغة باعتبارها مجموعة من الرموز المحددة الحاملة للمعاني لا يمكن أن تتكون من عدد غير محدود من الأصوات، فكل نظام من الرموز لابد أن تكون عناصره الحاسمة محددة، حتى يكون فعلا عند مستخدمي هذا النظام.

يهدف البحث الفونولوجي إلى تحديد العناصر المكونة للنظام اللغوى فى ضوء التمييز الموضوعى بين الوحدات الصوتية والصور الصوتية المختلفة. وترجع فكرة التمييز الموضوعى بين الوحدات الصوتية وصورها الصوتية المختلفة إلى مدرسة براغ في البحث الفونولوجي، وأهم أعلام هذه المدرسة اللغوى الروسي تروبتسكوى واللغوى البولندى الأمريكي ياكوبسون، وقد بدأت آراؤهما المنهجية تتضح بعد سنة ١٩٢٩. ويقوم التمييز بين الوحدات الصوتية والصور الصوتية فى التحليل الفونولوجي عند تروبتسكوى على أساس التقابل. فإذا ما اختلف صوتان من ناحية الخصائص النطقية أو الفيزيائية أو السمعية فإن هذا الاختلاف يمكن أن يكون مؤثرا في تغيير الدلالة ويمكن ألا يكون كذلك. فإذا قارنا كلمتين تشتركان فى كل الأصوات عدا صوتا واحدا، على نحو الكلمتين العربيتين (سائر، صائر) فإننا نلاحظ أن معنى الأولى يخالف معنى الثانية، والعنصر الرمزى الصوتي الذى جعل دلالة الكلمة الأولى تختلف عن الثانية هو وجود صوت السين في إحداهما والصاد فى الأخرى. ومعنى هذا أن إحلال أحدهما محل الآخر يعني تغيير المعنى، ومن ثم نقول بأن السين وحدة صوتية والصاد وحدة صوتية أخرى. وقد استخدمنا هنا مصطلح الوحدة الصوتية فى مقابل ما يطلق عليه في اللغات الأوربية Phonem، وهكذا حددنا عن طريق التقابل وجود السين وحدة صوتية متميزة ووجود الصاد وحدة صوتية متميزة أخرى فى العربية. هذا التمييز على أساس اختلاف الصوت واختلاف المعنى، والمعنى أمر مرتبط بالنظام اللغوى الواحد. فالكلمة لا تؤدى إلى معناها إلا في لغتها. شبيه بهذا مقارنة الكلمتين (تين، طين)، اختلافهما في المعنى يقوم على اختلاف الكلمتين فى الصوت الأول، ومعنى هذا أن إبدال أحدهما محل الآخر يغير المعنى، لأن ذلك يؤدى إلى تكون كلمة أخرى بمعنى مغاير. ولو قال أحد الناس تين وهو يريد الطين أو العكس لحدث لبس فى

لفهم. ومن هنا نقول بأن التاء في العربية وحدة صوتية مستقلة والطاء وحدة صوتية مستقلة أخرى. ليس معنى هذا أن ينطق كل الأفراد الصوت التاء هو نفس النطق نفسه تماما، وليس معنى هذا أن ينطق كل الأفراد صوت الطاء متفق اتفاقا كاملا، فأجهزة القياس الصوتي تسجل درجات من الاختلاف في نطق التاء وكذلك في نطق الطاء. ولكن الحد الفاصل بين التاء والطاء موضوعي بمعنى أنه يقوم على معيار لا يختلف باختلاف الأفراد. والتفاعل معيار موضوعي لأن أبناء الجماعة اللغوية الواحدة متفقون على استخدام كلمة (تين) بمعنى يغاير كلمة (طين)، واستخدام كلمة (سائر) بمعنى يغاير كلمة (صائر).

ويتضح الفرق بين الوحدة الصوتية والصورة الصوتية عند العرب المعاصرين في نطق اللام والراء والتاء وغير ذلك من الأصوات. فنحن نقول: (والله) فننطق لاما مفخمة، ونقول (بالله) فننطق لاما مرققة ونحس في وضوح بالفرق النطقي بين اللام المفخمة واللام المرققة، ولكن اللامين صورتان صوتيتان لوحدة صوتية واحدة ولا يمكن اعتبارهما على الرغم من وضوح الفرق النطقي بينهما وحدتين صوتيتين متميزتين، وذلك لأننا لو جربنا بأنفسنا وجعلنا أحدنا ينطق اللام في (بالله) دون ترقيق فهذا النطق غير مألوف في العربية، ولكن المعنى يظل مفهوما لأن إبدال صورة صوتية محل أخرى لا يغير المعنى.

يختلف تحديد الوحدات الصوتية من لغة لأخرى. وقد بينا فكرة الوحدة الصوتية بأمثلة عربية لأنها تناسب هذا الكتاب، ولو ألف لغوي شارحا هذه الفكرة بأمثلة يابانية لكان الأمر مختلفا. فما نسميه بالعربية لاما يكوّن مع ما نسميه بالعربية راء وحدة صوتية واحدة في اللغة اليابانية، ومن ثم يجد أبناء اليابانية صعوبة في تمييز الراء عن اللام في اللغات التي تميز بينهما. فكل الأصوات التي يمكن تصنيفها ــ كما لو كانت في العربية ــ إلى راء مرققة وراء مفخمة ولام مرققة ولام مفخمة تدخل في اليابانية في إطار وحدة صوتية واحدة. وإذا كانت الراء بكل صورها الصوتية تكون

وحده صوتية في اعربية فإن عدداً من للغات لأوربية لا تمير الراء عن اعين من الناحية الفونيمية. وبذا يجد أبناء اللغة الألمانية مثلاً صعوبة في تمييز بين الراء والغين عند تعلمهم للغة العربية، ويصعب هذا الأمر لو التقى الصوتان في كلمة واحدة مثل كلمة (معرب) فنسمع هذه الكلمة عند كثير منهم كما لو كانت بغين مشددة. كل إنسان يسمع وفق مجموعة عاداته الصوتية المكتسبة ولكل لغة نظامها الفونيمي، وهذه الوحدات رموز كامنة في ذهن أبناء البيئة اللغوية الواحدة، ولذا فمن واجب البحث الصوتي تحديد الوحدات الصوتية وغيرها من الوحدات في اللغة الواحدة يقوم بحث الصور الصوتية على أسس السياق الصوتي، وتتحدد علاقات الوحدات الصوتية في اللغة الواحدة على أساس التقابل الدلالي الصوتي المؤدي إلى اختلاف المعنى.

رابعاً : تصنيف الأصوات اللغوية :

هناك عدة معايير لتصنيف الأصوات اللغوية، أكثرها استخداما تلك المعايير التي تقوم على علم الأصوات النطقي، فهو أقدم فروع البحث الصوتي، ومصطلحاته في الوصف والتصنيف هي أكثر المصطلحات شيوعاً. وتصنف الأصوات اللغوية وفق المعايير الآتية :

١- الصوامت والحركات :

تقسم الأصوات اللغوية إلى صوامت وحركات، ويرجع الفرق بينهما إلى كيفية تكون الصوت في أعضاء النطق، فعند النطق يندفع هواء الزفير من الرئتين بتأثير الحجاب الحاجز على القفص الصدري ويمضي هواء الزفير محاولا الخروج، وعند النطق بالصوامت Consonants يحدث نوع من الاعتراض يعوق خروج هواء الزفير، قد يكون هذا الاعتراض كاملا أو جزئيا، ففي كل حالات النطق بالصوامت يحدث هذا الاعتراض، ومن الطبيعي أن يظل هذا الاعتراض لوقت قصير جدا ثم يزول. وتختلف الصوامت من ناحية النقطة التي يتم فيها الاعتراض أي النقطة التي يصدر فيها الصوت.

أما في حالة النطق بالحركات Vowels فلا يحدث هذا الاعتراض، بل تتحدد طبيعة الحركة عن طريق وضع الشفتين ووضع اللسان، وهما يشكلان مجرى الهواء على نحو يجعلنا نميز الحركة عن الأخرى، فالضمة العربية مثلا تنطق بأن تتخذ الشفتان وضع الاستدارة، وهي بهذا تختلف عن الفتحة والكسرة ففيهما تتخذ الشفتان وضع الانبساط. وتختلف الفتحة عن الكسرة - أيضا - في وضع اللسان داخل الفم من حيث درجة ارتفاعه، فعند النطق بالفتحة يكون في أدنى مستوى له في الفم وعند النطق بالكسرة يكون في أعلى مستوى له في الفم وهناك عدة حركات تختلف باختلاف درجة ارتفاع اللسان في الفم، وباختلاف المنطقة التي يتم فيها هذا الارتفاع داخل الفم في مقدمه أو في وسطه أو في آخره.

٢- المخارج :

وتوصف النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء والتي يصدر الصوت فيها بمصطلح "المخرج" Point of Articulation. ولذا توصف الباء بأنها صوت شفوي وتوصف الفاء بأنها صوت شفوي أسناني. ولكل صوت وفق هذا الاعتبار مخرجه الخاص به وقد صنف الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري الأصوات العربية وفق مخارجها، ونجد هذا أيضاً عند تلميذه سيبويه، ويتفق البحث الصوتي الحديث مع البحث الصوتي في التراث العربي في اعتماد المخارج أساسا من أسس التصنيف، وإن اختلف التعبير عن هذه المخارج باختلاف مدارس اللغويين، فصوت الدال - مثلا - ينطق في العربية بالتقاء كل من طرف اللسان والأسنان العليا، ولذا يوصف عند بعض اللغويين بأنه صوت طرفي نسبة إلى طرف اللسان ويوصف عند غيرهم بأنه صوت أسناني نسبة إلى الأسنان العليا. وتختلف الأصوات التي تبدو لأول وهلة متقاربة المخارج بين لغة وأخرى، فالثاء والذال والظاء في العربية أصوات بين أسنانية مخرجها طرف اللسان بين الأسنان العليا والأسنان السفلى، وهو مخرج ليس له وجود في نطق الأصوات الإنجليزية الشبيهة، ومخرجها قريب من ذلك.

٣- طريقة النطق :

تختلف الأصوات من حيث كيفية نطقها، والمقصود بهذا المصطلح حالة ممر الهواء عند النطق بها، فهناك أصوات توصف بأنها انفجارية، وصفها سيبويه بأنها شديدة، منها مثلا الباء والكاف و القاف والضاء. ويتكون الصوت الانفجارى بحدوث حبس تام لمجرى الهواء فى نقطة المخرج، وينتج عن هذا الحبس أن يضغط الهواء ثم يحدث انفراج فيندفع الهواء محدثا ذلك الصوت الانفجارى. وهذا الاعتراض يتم عند النطق بالباء فى الشفتين، ولهذا يوصف الباء بأنه صوت شفوى انفجارى، وما يحدث عند النطق بالباء فى الشفتين يحدث عند النطق بالكاف بين أقصى اللسان وأقصى الحنك الأعلى (الحنك اللين)، ويحدث عند النطق بالتاء بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا (أصول الأسنان العليا).

وهناك أصوات كثيرة لا تدخل ضمن الأصوات الانفجارية، منها الأصوات الاحتكاكية التى تنطق بأن يضيق مجرى الهواء فى موضع من المواضع فيحدث خروجه احتكاكا مسموعا، كما يحدث فى نطق الفاء بين الشفة السفلى والأسنان العليا وفى نطق الثاء والذال والظاء فى مخرجها بين الأسنان.

٣- الهمس والجهر :

يهتز الوتران الصوتيان اهتزازا شديداً عند النطق ببعض الأصوات ولا يهتزان عند النطق بالبعض الآخر. والوتران الصوتيان شفتان تتكون كل منهما من مجموعة من العضلات غاية فى الدقة، ولذا يفضل كثير من الباحثين. وصفهما باسم الشفتين الصوتيتين Vocal Lips أما تسميتها فى العربية بالأحبال الصوتية فيقوم أساسا على خطأ فى الترجمة، لأن اللغة الانجليزية لا تعرف صيغة للمثنى، وتعبر عنهما بصيغة الجمع Vocal Cords. ويوجد الوتران الصوتيان أو الشفتان الصوتيتان فى الحنجرة.

عندما يمر الهواء بالحنجرة محاولا الخروج فإن الوترين الصوتيين قد يتوتران بشدة فيحدث ذلك الصوت الذي يحسه الناطق بأن يضع يديه على أذنيه وهو ينطق بصوت مثل (ز) العربية ويطلق على الصوت الذي ينطق بهذا التوتر الشديد في الوترين الصوتيين صفة المجهور. تشترك الزاي والسين في كل الخصائص النطقية المذكورة في تصنيف الصوامت، فكلاهما صامت، وكلاهما من المخرج نفسه، وكلاهما ينطق بنفس درجة الاعتراض. ولكنهما يختلفان فقط من حيث الهمس والجهر. ويمكن معرفة ذلك بأن يضع الإنسان يديه على أذنيه ويجرب نطق الزاي ثم السين، فيحس في نطق السين باختفاء ذلك الصوت الناجم من الوترين الصوتيين، وهو ما يحس به عند نطق الزاي.

والفرق بين التاء والدال يتعلق فقط بالهمس والجهر، فالتاء صوت مهموس والدال صوت مجهور ولا يختلف الصوتان إلا من هذا الجانب. فكلاهما من المخرج نفسه، وكلاهما ينطق بنفس درجة الاعتراض. والفرق بين الثاء والذال أيضا أن الثاء صوت مهموس والذال صوت مجهور، وكلاهما ينطق من المخرج نفسه بدرجة الاعتراض نفسها. وهكذا تدرس الوحدات الصوتية في اللغة العربية واللغات الأخرى في ثنائيات تقابل تميز المجهور عن المهموس

٤ – الاطباق وعدم الاطباق

تميز اللغات السامية ومنها العربية بين ثنائيات من الأصوات تتفق في مجموع خصائصها النطقية وتختلف في وضع اللسان في داخل الفم من حيث درجة ارتفاع اللسان. فالفرق بين التاء من جانب والطاء من الجانب الآخر هو أن التاء صوت غير مطبق والطاء صوت مطبق. وفي حالة النطق بالطاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه. وهذا هو الإطباق الذي يلاحظ في الأصوات العربية الآتية: الطاء، الضاد، الصاد، الظاء. وهذه الأصوات لها مقابلات غير مطبقة، فالطاء في النطق

لعربى لحالى صوت مطبق يقابل لتاء، و لصاد فى نطق أبناء مصر صوت مطبق يقابل الدال، و لصاد صوت مطبق مقابل لسين، و لظاء صوت مطبق يقابل الذال.

وتتكون خصائص الصوت الواحد من مجموعة خصائصه المستخرجة بالمعايير السابقة، فكل صوت لغوى إما صامت أو حركة، وله بالضرورة مخرج، وله طريقة فى النطق، وهو إما مهموس أو مجهور، وهو إما مطبق أو غير مطبق. وقد يكون بحث الأصوات اعتماداً على كل هذه المعايير أساساً لتحديد خصائصها.

الفصل الرابع

المصطلحات الصوتية فى التراث العربى

كانت المصطلحات الأساسية في بحث الأصوات عند الخليل وسيبويه أساس دراسة أصوات اللغة العربية عند النحاة واللغويين وعلماء القراءات. ولذا يعد الفهم الدقيق لمحتوى العلمى لهذه المصطلحات أداة ضرورية لدراسة الفصول الصوتية فى كتب النحويين واللغويين وعلماء القراءات. ويتطلب فهم هذه المصطلحات الأساسية تتبع شرحها فى عبارات الخليل وسيبويه ودراسة الأمثلة المذكورة عندهما فى ضوء علم الأصوات الحديث.

أولا: الحروف

المصطلح الأساسى الذى بدأ به سيبويه الأبواب الخاصة بالإدغام مصطلح "الحروف". ويرجع استخدام كلمة الحروف بهذا المعنى الاصطلاحى إلى الخليل بن أحمد الفراهيدى فى مقدمة كتاب العين. لقد وجد الخليل بن أحمد فى الحروف العربية منطلق تحليله للأصوات اللغوية، فالكتابة العربية بصورتها التى أتيحت للخليل بن أحمد تدون الصوامت بصورة مطردة، وتدون الحركات الطويلة فى أكثر الأحوال، ولكنها لا تدون الحركات القصيرة إلا على نحو اختيارى وقد ظلت الكتابة العربية منطلق الاهتمام الأول ببحث الأصوات اللغوية عند الخليل وسيبويه، ومن جاء بعدهما من النحاة واللغويين العرب، وقد أدى هذا الارتباط بين الكتابة العربية والبحث الصوتى إلى أن مصطلح "الحروف" كان يدل تارة على الصوت اللغوى المنطوق وتارة على الحرف المدون المرئى. وبمعنى آخر كان مصطلح الحرف يدل على الرمز المدون وعلى نطقه دون تمييز بين الكتابة والصوت، كان التركيز على نطق الأصوات التى لها فى الخط العربى رموز تدوينها، أما الحركات القصار وهى الفتحة والضمة والكسرة فكان الاهتمام بها فى البحث الصوتى العربى أقل من الاهتمام بدراسة نطق "الحروف"

يتصح الفرق بين حصر حليل وسيبويه لحروف عربية وتحديد الوحدات الصوتية في لغة العربية على النحو التالي:

تتكون البنية الصوتية للغة العربية من الوحدات الآتية:

٢٨ وحدة صوتية من الصوامت (ب، ك، س، ع، ح)

٣ وحدات صوتية من الحركات القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة)

٣ وحدات صوتية من الحركات الطويلة: ألف المد (= فتحة طويلة)، ياء المد (= كسرة طويلة)، واو المد (= ضمة طويلة)

المجموع ٣٤ وحدة صوتية للصوامت والحركات

يتكون الخط العربي وبالتالي الحروف العربية في تحديد الخليل وسيبويه من ٢٩ حرف. إن سيبويه لم يدخل الحركات القصيرة في عدده، لأنه كان يقصر على الحروف المدونة في سياق الكتابة. والخط العربي لا يدون الحركات القصيرة في السياق العام للكتابة. لايضم الخط العربي لعدى رموز مستقلة للحركات الطويلة، وقد فقد كان حساب الحروف عند سيبويه يضم الأصوات الصامتة في المقام الأول، وأضاف إليها الألف بعد ذلك والألف تشير في التدوين بصفة عامة إلى الفتحة الطويلة، وتكون الألف أحيانا قاعدة مرئية للكتابة الهمزة. أما حرف الياء فيرمز - أيضاً - إلى حركة طويلة ويرمز إلى صوت نصف صامت، فالياء في كلمة (في) تختلف عنها في كلمة (يلعب). وبالمثل فحرف الواو لدى ذكره سيبويه يرمز إلى حركة طويلة في كلمة (سعُود) وإلى نصف صامت في كلمة (ورْد)

ولهذا كان تمييز النحاة بين قيمتين صوتتين للياء بعبارة واضحة، مثل الياء الساكنة المسبوقة بكسرة، أو الياء الساكنة المسبوقة بفتحة تمييزا بين الياء في كلمة (في)، والياء في كلمة (بَيْن).

ذكر سيبويه في باب الإدغام أن أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا وتضم هذه الحروف رموزا مدونة لكل الوحدات الصوتية الصامتة ورمزا مدونا خاصا بالألف. وهكذا ميز سيبويه بين الهمزة من جانب والألف من جانب وهذا تمييز دقيق، وذلك لأن الهمزة صوت سمته الأساسية وقف حنجرى أما الألف مد، فتدل على حركة طويلة.

ثانيا : المخارج والأحياز

يتبع أقدم تصنيف للأصوات اللغوية عند اللغويين العرب من حيث قضية المخارج. والمقصود بمصطلح المخرج في الدراسة الصوتية تلك النقطة يحدث فيها اعتراض لمجرى الهواء في أثناء محاولة الخروج وهي النقطة التي يصدر الصوت فيها، أي يحصل فيها الصوت، وقد تسمى نقطة النطق Point of articulation. أما مصطلح المخرج فهو أكثر المصطلحات شيوعا في التراث اللغوى العربي وصفا لنقطة النطق، ويرجع اصطلاح المخرج إلى الخليل بن أحمد في مقدمته لكتاب العين، وقد أفاد منه سيبويه بعد ذلك، وأصبح هذا المصطلح متداولا عند المؤلفين العرب بعد ذلك.

لم يكن مصطلح المخرج وحده عند الخليل بن أحمد وصفا نقطة النطق، فقد أفاد الخليل من عدة مصطلحات بذلك، وهي: الحيز (والجمع أحياز)، والمبدأ (والجمع مبادئ) والمدرجة (والجمع مدارج).

وقد استخدمت هذه المصطلحات كلها عند الخليل، وأكثر شيوعا عنده مصطلح "الحيز". يتضح هذا من العبارات التالية الواردة في مقدمة كتاب العين :

"الصاد والسين والزاي في حيز واحد

الصاد والدال والتاء في حيز واحد"

"الظاء والذال والثاء في حيز واحد

ويتضح من هذا أن كلمة حيز كانت تعني عند الخليل النقطة التي يصدر فيها الصوت، فقد أثبت البحث أن الصاد والسين والزاي تكون من هذا الجانب مجموعة الأصوات المعروفة باسم 'أصوات الصفير' والطاء والدال والتاء تكون مجموعة الأصوات المعروفة باسم 'الأصوات الأسنانية'، والطاء والدال والتاء تكون مجموعة الأصوات بين الأسنانية'

أما مصطلح 'المبدأ' والجمع مبادئ، فقد ورد عند الخليل أيضا. يقول الخليل : الظاء والذال والثاء لثوية لأن مبدأها من اللثة. وهكذا اتضح أن مصطلح مبدأ مرادف عند الخليل لمصطلح 'حيز'، وذكر الخليل أيضاً أن الفاء والباء والميم شفوية ـ وقال مرة شفهية ـ لأن مبدأها من الشفة. والمقصود هنا بمصطلح المبدأ كون هذه الأصوات تصدر عند الشفتين، فهذه مجموعة تكوّن الأصوات الشفهية

وذكر الخليل أيضاً في هذا الصدد مصطلح 'المدرجة' والجمع مدارج بالمعنى السابق. فقد ذكر الخليل مدارج الحلق ومدارج اللسان بمعنى النقاط التي يتم فيها تكوّن الأصوات.

والمصطلح الرابع 'المخرج" والجمع مخارج جاء أيضاً عند الخليل بن أحمد. قال : الفاء والباء والميم مخرجها من بين الشفتين. وفي موضع آخر يقول : أما مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين الحلق.

ولكن سيبويه عرف هذه المصطلحات، واختار مصطلح المخرج والجمع مخارج، وفضّله على كل المصطلحات الأخرى وتحولت بذلك كلمة 'مخرج' إلى مصطلح شائع الاستخدام عند سيبويه وعند من جاء بعده من النحويين وارتضاه البحث الحديث. ولكن مصطلح 'حيز' لم يرد عند سيبويه إلا على نحو نادر، وبذلك كان دور سيبويه في بحث قضية المخارج معتمدا على جهود الخليل بن أحمد، وله بهذا فضل اختيار مصطلح "المخرج' وطرح باقي الكلمات المرادفة له.

صـف سيبويه الأصوات العربية في ستة عشـر محرجـا ووصـف مخـارج الحلـق بعبارات موجزة، وقسم مخارج الحلق إلى أقصى الحلق ووسط الحلـق وأدنـى الحلـق. أما باقي المخارج فقد وصفها بعبارات طويلة حاولت تحديد النقطة التي يتم فيها النطق من جانبين اثنين : اللسان والحنك الأعلى. فمثلا في وصف نطق "القاف" ذكر سـيبويه أن مخرجها" أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى". وبذلك تضمن هـذا التحديـد وصفا أكثر تفصيلا من العرف الحديث عند علماء الأصـوات، فهـم يحـددون المخـرج بوصف أساسي واحد، وكأنهم يجعلون الصفة الأخرى أو باقي الصفات تابعـة. ومعنـى هذا أن الأصوات التي تنطق في أقصى اللسان من جـانب والحنـك الأعلـى واللهـاة مـن جانب يمكن أن توصف نسبة إلى أقصى اللسان، فيقال ساني قصى dorsal نسبة إلـى dorsum أي أقصى اللسان، وهذا هو العرف السائد عند اللغويين الأمريكيين. ويمكـن أن توصف باعتبار المنطقة العلوية المقابلة، فيقال هـذا الصـوت لهـوى uvular (نسـبة إلى uvula وهـي اللهـاة) أو حنكـي قصـى postpalatal (إلـى المنطقـة الأخـيرة فـي الحنك الأعلى). ولكن سيبويه كان يصف المخرج من الجانبين معـا فيصـف المخـرج باعتبار اللسان والحنك الأعلى معا.

ويمكننا إيضاح قضية الوصف المزدوج عند سيبويه بمقارنة وصفه لمخرج الطاء والدال والتاء بوصف المخرج نفسه عند علماء الأصوات المحدثين. لقد وصف سيبويه مخرج الطاء والدال التاء على النحو التالي :"من بين طرف اللسان وأصول الثنايا". وهنـا نجد العنصرين : اللسان وهو عضو متحرك وأصول الثنايا أي أصول الأسـنان الأماميـة. ويوصف هذا المخـرج عنـد كثير مـن اللغويـين الأمريكيـين بأنـه Apical (نسـبة إلـى Apex أي طرف اللسان)، ويصفه لغويون أوربيون بأنه dental (نسـبة إلـى Dents أي الأسنان)، وهكذا نجد سيبويه يعتمد في وصف المخرج على الوصفين معا.

وهذا ينطبق أيضاً على وصفه مخرج الظاءَ والذال والثاء . قـد ذكـر سـيبويه أن هذا المخرج "من بيـن طـرف اللسـان وأطـراف الثنايـا". ويوصـف هـذا المخـرج عنـد

سغويين الأوربيين بأنه interdental (أي بين أسنني). وهكذا نجد وصف محرج يقوم عند سيبويه على وصف القطتين، وهما: اللسان ـ وهو عضو متحرك ـ من جانب، ووصف لنقطة الثابتة (الحنك الأعلى أو الأسنان) من الجانب الآخر.

وتتفق كيفية وصف سيبويه مع الوصف الحديث اتفاقا كاملا في بعض المخارج. فقد وصف سيبويه مخرج الفاء على النحو التالي: "من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى". ويوصف هذا المخرج في البحث الحديث بأنه شفوي أسناني Labiodental والمقصود بأنه شفوي اشتراك الشفة السفلى في النطق، والمقصود بكونه أسنانيا اشتراك الأسنان العليا في نطقه. وهكذا يعبر مصطلح شفوي أسناني Labio - dental عن وصف هذا المخرج من كلا الجانبين.

ثالثا: المجهور والمهموس

يقوم تصنيف الأصوات العربية عند اللغويين العرب إلى مجهور من جانب ومهموس من الجانب الآخر على جهود سيبويه، فلا نوجد أية إشارة إلى مثل هذا التصنيف في مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد. ولذلك يختلف تاريخ بحث هذه القضية عن البحث في قضية المخارج التي كان للخليل بن أحمد دور كبير وحاسم فيها.

لقد أثار تصنيف سيبويه للأصوات العربية إلى مجهور ومهموس عند الدارسين المحدثين قضية المحتوى العلمي لهذين المصطلحين. وكان الباحث الألماني شاده Schaade أول من بحث المصطلحين في ضوء علم الأصوات الحديث (١٩١١). والقضية التي بحثها شادة تتلخص على النحو التالي: هل يطابق تصنيف الأصوات عند سيبويه إلى مجهور ومهموس التصنيف الحديث للأصوات إلى voiced (المجهور) و voiceless (المهموس) على التوالي، أم أن سيبويه كان يعني أمرا آخر. والفرق بين المفهومين على النحو التالي: يحدث أثناء النطق أن يندفع هواء الزفير محاولا الخروج، وهنا يختلف وضع الوترين الصوتيين، فإذا انفرج الوتران الصوتيان على نحو

لايتيح مجالا لأى توتر فإن الصوت يوصف بأنه voiceless. أما إذا تضاغط الوتران واهتزا اهتزازا شديدا، فإن هذا التوتر يعرف فى علم الأصوات باسم voice ويوصف الصوت الذى ينطق على هذا النحو بأنه voiced أى به voice. وعلى هذا فتوتر الوترين الصوتيين سمة أساسية فى نطق مجموعة من الأصوات وعدم توترهما سمة أساسية فى نطق مجموعة أخرى من الأصوات.

ومن الممكن إيضاح الفرق بين المجموعتين بعدة طرق بسيطة، كأن يضع الإنسان يديه فوق أذنيه وينطق بصوت (د) فيشعر بهذا الصوت الحادث نتيجة توتر الوترين الصوتيين، ثم ينطق بصوت (ت) فلا يحس بوجود أى أثر ناجم عن الوترين الصوتيين، ويمكن كذلك الإحساس بالفرق بين (ز) التى تنطق بتوتر شديد فى الوترين الصوتيين، (س) التى تنطق دون أى توتر فيهما بهذه الطريقة. وهناك طريقة أخرى لمعرفة الفرق بين نطق الدال والزاى من جانب والتاء والسين من الجانب الآخر تتلخص فى وضع أصبعين فوق تفاحة آدم، أى فوق منطقة الحنجرة التى يوجد فيها الوتران الصوتيان، فيحس الإنسان فى حالة نطق (د) أو (ز) بما يحدث فى الوترين الصوتيين، على عكس ما يحدث فى (ت) أو (س). ولهذا يطلق على (د)،(ز) مصطلح voiced على عكس (ت)،(س) voiceless.

وعندما ناقش الباحثون المعاصرون مصطلحات علماء الأصوات العرب وجدوا عند سيبويه مصطلحى : المجهور والمهموس. لقد صنفت (د)، (ز) مثلا ضمن الأصوات المجهورة، وصنفت (ت) ، (س) فى الأصوات المهموسة. ويوحى هذا التقابل لأول وهلة بأن مجهور تعنى voiced (د،ز)، ومهموس تعنى voiceless (ت،س).

ولكن مجموع الأصوات التى ذكرها سيبويه ضمن المهموس، والأصوات الأخرى التى ذكرها ضمن المجهور أثار بالضرورة مشكلات الطاء والقاف والهمزة. لقد صنفها سيبويه ضمن المجهور ولا يمكن وصف نطقها المعروف اليوم فى

الفصحى بأنها من المجهور وطرح هذا التساؤل أيضاً مشكلة معرفة سيبويه أساس بالفرق العلمي بين الهمس والجهر - على نحو ما يعرفه علماء الأصوات المعاصرون. ويستند هذا التساؤل إلى عدم معرفة سيبويه بالوترين الصوتيين، وبالتالي كان ثمة شك في إدراكه لأثرهما في عملية النطق. وقد أمكن مناقشة الاعتراضين على النحو التالي :

يقوم تصنيف سيبويه للأصوات على أساس تجريبي بسيط، وهناك رأى منسوب لسيبويه سجله السيرافي في شرح كتاب سيبويه يوضح منهج سيبويه في التجريب. يتلخص هذا الرأى في أن بعض الأصوات يمكن أن تنطق برفع الصوت فقط، الدال والراى مثلا لا يمكن نطقها الواضح المتميز بصوت خفيض، فإذا حاول الانسان نطق الدال بصوت خفيض فإنه لا يستطيع نطقها دالا بل هي تاء. وعلى العكس من هذا فهناك أصوات تنطق بأية درجة في الصوت، حتى إنها تنطق أيضا بخفض الصوت دون أن يحدث لها أى تغيير مثل التاء والسين وعلى هذا فهناك أصوات لا يجوز أن تنطق إلا بصوت عال نسبيا وهذه هى المجهورة، والجهر رفع الصوت. وهناك أصوات يمكن أن تنطق بخفض الصوت، وهذه الأصوات هى المهموسة، والهمس خفض الصوت. وبهذا اتضح من هذا الرأى المنسوب لسيبويه الطريقة التى ميزبها سيبويه بين المجهور والمهموس، كما اتضح منها لماذا وصف مجموعة منها باسم 'المجهور' وأخرى باسم 'المهموس'.

اما قضية تصنيف سيبويه للقاف والطاء والهمزة في المجهور وتصنيفها عندنا اليوم فيمكن إيضاحها على النحو التالي :

كان سيبويه يعني في وصفه لنطق القاف نطقا يخالف النطق المعروف اليوم، الصوت المألوف لدينا في نطق الفصحى مهموس، ولا شك أن سيبويه كان يعني صوتا مجهورا، وهذا ما يمكن تفسيره في ضوء المثل اللغوية العليا في عصر سيبويه. فقد كان البدو في القرن الثاني الهجرى حجة في قضايا اللغة، ولذا كان من الطبيعي أن يعتمد عليهم سيبويه في قضايا الأصوات أيضا. والقاف تنطق عند البدو أحد نطقين

وكلاهما مجهور، فهي صوت شديد من أقصى الحنك مثل الجيم القاهرية أو هي صوت من أدنى الحلق مثل العين. وكلا الصوتين مجهور. ولذا فمن المحتمل أن يكون المقصود عند سيبويه في وصف القاف المجهورة أحد هذين الصوتين.

والطاء القديمة كانت دون شك تخالف النطق الحديث للطاء. فقد كانت الطاء القديمة تشترك مع الدال في كل خصائصها النطقية، غير أن الطاء صوت مطبق. فقد كانت الطاء هي المقابل المطبق للدال. عبارة عن سيبويه توضح هذه الحقيقة "لولا الإطباق لصارت الطاء دالا". ويبدو أن الطاء القديمة على هذا النحو كانت تختلف عن الطاء في نطقها الحديث. ويمكن إيضاح هذا وفق الجداول التالي للأصوات الأساسية:

النطق القديم

	مهموس	مجهور
غير مطبق	ت	د
مطبق		ط

وعلى هذا فقد كانت الطاء القديمة مجهورة نطقا، ولكن صفة الجهر فيها كانت محايدة، أي غير حاسمة من الناحية الفونولوجية، لعدم وجود مقابل لها غير مجهور.

التاء والطاء في النطق الحديث :

	مهموس	مجهور
غير مطبق	ت	د
مطبق	ط	(ض) في نطق مصر والشام على عكس نطق البدو والكويت والخليج

ومعنى هذا أن الطاء تحركت من موقعها القديم في النظام الصوتي للعربية لتصبح مقابلا مطبقا للتاء. وتغير نطق الضاد فاحتلت مكان الطاء القديمة، مقابلا مطبقا للدال في نطق أبناء العربية في مصر والشام بصفة خاصة.

وقد صنف سيبويه الهمزة من المجهور، ولا شك أن هنا نوعا من اللبس. فالهمزة قطع تنطق بانطباق الوترين الصوتيين على نحو يختلف انفراجهما في النطق بالمهموس ويختلف توترهما في حالة النطق بالمجهور، ولذا يمكن وصف الهمزة من هذا الجانب بأنها صوت محايد من ناحية الهمس والجهر. ولعل السبب في هذا اللبس أن سيبويه كان ينطق بالهمزة ومعها حركة، والحركات كلها مجهورة.

وهكذا نصح أن سيبويه عرف منهجا تجريبيا لتمييز الفرق بين المهموس والمجهور، واستطاع أن يميز الأصوات تمييزا واضحا وصحيحا. أما اختلاف التصنيف في حالة بعض الأصوات فلا يرجع إلى خطأ من سيبويه بل يرجع إلى تغير نطق القدماء واعتماد سيبويه في دراسة نطق القاف على البدو، وإلى تجربته نطق الهمزة مصحوبة بحركة. ولكن سيبقى بعد هذا كله أن نذكر أن سيبويه قد قدم للبحث الصوتي إضافة أصيلة جادة ببحث الأصوات من حيث الهمس والجهر

رابعا: الشدة والرخاوة

صنف سيبويه الأصوات اللغوية من حيث درجة الاعتراض التي تحدث عند النطق بها إلى ثلاث مجموعات :

١ الشديـــــــــــــد : مثل الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال

٢ الرخـــــــــــو : مثل الحاء والخاء

٣ بين الرخوة والشديـــد : العين، الراء واللام والواو والياء

وقد أوضح سيبويه الفرق بين هذه المجموعات على النحو التالي :

"الحرف الشديد هو الذي يمنع النفس أن يجري فيه . ومن هذا الجانب يتضح أن الصوت الشديد هو الصوت الذي يحدث في أثناء النطق به اعتراض قوي يحبس الهواء، ثم يتم الانفراج بعد ذلك. قد يكون هذا الاعتراض القوي في الشفتين عندما تنطبقان التقاء كاملاً في نطق الباء، وقد يكون بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا في

اسطق سطاء، وقد يكون بين أقصى للسان وأقصى لحنك لأعلى بما فى ذلك المهاة في سطق بالقاف، وقد يكون بين أقصى السان وأقصى لحنك لأعلى في سطق بالكاف

وقد يكون في الحنجرة عند النطق بهمرة قطع، ومن هذا الجانب يصابق مصطلح شديد عند سيبويه مصطلح Plosives أي لانفجارى، فالأصوات لقاف والكاف والطاء أصوات شديدة عند سيبويه انفجاريه في علم الأصوات لحديث.

ويكن سيبويه عدّ أيضاً من الأصوات الشديدة صوت الجيم. وتعد لجيم الفصيحة في علم الأصوات الحديث مركباً احتكاكياً Affricate، يبدأ نطقه كما لو كنا نطق دالاً ثم ننتهي نطقها كما لو كنا نطق شيناً مع الجهر، أي (dj) وقد لاحظ سيبويه أن هذا الصوت ينطق في بدايته بحبس النفس بوجود اعتراض شديد يجعله بين الأصوات الشديدة. وهكذا يضم مصطلح لشديد عند سيبويه مجموعة الأصوات الانفجارية مع الصوت المركب الاحتكاكي (ج)

أما الصوت الرخو فقد حدده سيبويه بأنه لا يمنع مرور الهواء، كما هي الحال في نطق الأصوات الشديدة. وقد ذكر سيبويه من الأصوات الرخوة .

١- مجموعة أصوات الحلق (عدا الهمزة والعين) وهي: الهاء والحاء والعين والخاء.

٢- مجموعة أصوات الصفير : الصاد والسين والزاي، ثم الشين.

٣- مجموعة الأصوات بين الأسنانية : الثاء والذال والظاء

٤- صوت الفاء، وهو صوت شفوي أسناني.

٥- صوت الضاد.

ويقابل مصطلح الرخو بهذا المعنى مصطلح الاحتكاكي Fricative في علم الأصوات الحديث. وتعريف الصوت الاحتكاكي أنه الصوت الذي ينطق بأن يضيق مجرى الهواء في النقطة التي يصدر منها الصوت، أي عند المخرج، ويسبب ضيق

المجرى في أثناء خروج الهواء احتكاكاً مسموعاً. وينطبق هذا الوصف على كل الأصوات الرخوة عند سيبويه الاحتكاكية في التصنيف الحديث.

غير أن الضاد عدت عند سيبويه صوتا رخواً، ولكنها تصنف في علم الأصوات الحديث وفق النطق المعروف في مصر وبلاد الشام تصنيفاً مختلفاً، فقد تغير نطقها، كانت قديما صوتا رخواً ـ على نحو وصفها عند سيبويه ـ وأصبح نطقها اليوم في الفصحى صوتاً شديداً، أي انفجارياً

وتضم مجموعة الأصوات بين الرخو والشديد عند سيبويه الأصوات التالية :

١- صوت الغين

توصف الغين اليوم وصفا مخالفاً، فعند النطق بها يضيق مجرى الهواء، ولذا تعد صوتاً احتكاكياً.

٢- صوت اللام.

وصفت عند سيبويه بأنها صوت منحرف ينطق على نحو بين الشديد والرخو. ويبدو أن المقصود بكونه منحرفاً أنه كان ينطق نطقاً جانبياً، بمعنى أن عقبة ما تكون في وسط مجرى الهواء فيخرج الصوت من أحد الجانبين، ولذا يوصف بأنه lateral أي جانبي.

٣- صوت الراء

وصف سيبويه هذا الصوت بأنه مكرر، والمقصود بهذا تكرار اهتزازات اللسان في أثناء النطق به. وقد جعله سيبويه بين الشديد والرخو، ويصنف في البحث الحديث وحده في مجموعة الصوامت المكررة Rolled Consonants.

٤- النون والميم

صنفهما سيبويه بين الشديد والرخو ، لأن حبساً كاملاً يحدث لمجرى الهواء في مخرجهما في الفم، ولكن الصوت الناجم عن تيار الهواء مع الاهتزاز لشديد في

الوترين الصوتيين يمضي دون عائق إلى التجويف الأنفي. ففي نطق الميم مثلاً تنطبق الشفتان تمام الانطباق فتحدث عقبة على نحو ما يحدث في نطق الصوت الشديد، ولكن الهواء يمضي إلى التجويف الأنفي، فتحدث تلك الغمة التي سماها العلماء العرب باسم 'الغُنَّة'

وفي نطق النون تحدث العقبة بالتقاء طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا (الأسنان العليا) على نحو ما يحدث في نطق الصوت الشديد، ولكن الهواء يمضي إلى التجويف الأنفي فتحدث الغُنَّة

ولهذا صنف سيبويه النون والميم بين الشديد والرخو، ويصنفان اليوم في مجموعة تسمى باسم الصوامت الأنفية Nasal Consonents، وقد سماها البعض باسم 'الصوامت الغناء' أي التي فيها غُنة.

وأخيراً فلابد من الإشارة إلى أن سيبويه صنف الواو والياء في مجموعة حروف اللين، وتسمى هذه المجموعة اليوم باسم 'مجموعة أنصاف الحركات"Semi Vowels. ويرجع هذا إلى أن نطقهما يبدأ مثل نطق الحركة، ثم تحدث عقبة على نحو ما يحدث في نطق الصوامت.

فالواو يبدأ نطقها كما لو كانت ضمة ثم تحدث العقبة في أقصى الحنك

و الياء يبدأ نطقها كما لو كانت كسرة ثم تحدث العقبة في وسط الحنك.

أما الفتحة الطويلة فقد أدرك سيبويه اختلاف طبيعتها، ولذا سماها "بالحرف الهاوي' باعتبار اتساع مخرجها و لواقع أنها حركة، والحركات كلها كذلك. ولكن سيبويه لم يصف نطق الفتحة القصيرة ولا الكسرة القصيرة ولا الكسرة الطويلة ولا الضمة القصيرة.

خامسا: الإطباق والانفتاح

تصنيف الأصوات اللغوية من حيث 'الإطباق والانفتاح' يعد من السمات المميزة للغات السامية. وكان سيبويه أول من تعرّف هذه السمة. والأصوات المطبقة

في اللغة العربية: الصاد والضاد والظاء والطاء. أما باقي الأصوات العربية فتعد غير مطبقة، أي منفتحة في مصطلح سيبويه. ولكي نوضح مجموعة الأصوات المطبقة في مقابل الأصوات المنفتحة قال سيبويه: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سينا والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها"

ويلخص ما قاله سيبويه في الجدول التالي :

غير مطبق :	د	س	ذ	لا شئ
مطبق .	ط	ص	ظ	ض

سبق أن أشرنا أن نطق الطاء والضاد في وصف سيبويه يخالف النطق الحديث بهما. والسمة الأساسية التي تميز الأصوات المطبقة تتلخص في عبارة سيبويه التالية. إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان، ترفعه إلى الحنك". وقد لاحظ الباحثون المحدثون أن المقصود بالإطباق هو ارتفاع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك وتقعر وسط اللسان. وهذا هو الفرق بين نطق الأصوات المطبقة ومقابلاتها غير المطبقة

الفصل الخامس

النظام الصوتى

يتكون النظام الصوتي من الوحدات الصوتية الجزئية من جانب، ونظام المقاطع والنبر من الجانب الآخر.

أولاً الوحدات الصوتية الجزئية :

أ- تتحدد السمات المميزة لكل صوت من أصوات المجموعة الشفوية على أساس التقابل الفونولوجي مع الصوتين الآخرين في المجموعة .

١) الوحدة الصوتية : ب

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ب	:	ف					
بَرْق	:	فَرْق	ربيع	:	رفيع	غابَ	:	غافَ
ب	:	م					
بَكْر	:	مَكْر	سَبَّع	:	سَمَّع	شبَّ	:	شَمَّ

ويتضح منها أن السمات المميزة للباء هي .

١) الباء صوت شفوى على عكس الفاء فهي صوت شفوى ـ أسناني.

٢) الباء صوت مجهور على عكس الفاء فهي مهموسة.

٣) ليست شدة الباء حاسمة من الناحية الفونولوجية.

٤) ليس وجود الإطباق أو عدم وجوده حاسما من الناحية الفونولوجية.

٥) الباء صوت غير أنفي على عكس الميم.

٢) الوحدات الصوتية : ف

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ب : ف

فرق : برق ربع : رفع غابَ : عافَ

ف : م

فَاتَ : مَاتَ سَافَر : سَامَر عَاف : عَامَ

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للفاء هي :

١) الفاء صوت شفوي ـ أسناني على عكس الباء فهي شفوي.

٢) الفاء صوت مهموس على عكس الباء فهي صوت مجهور.

٣) ليست الرخاوة في الفاء سمة فونولوجية حاسمة.

٤) ليس للاطباق أو عدمه أهمية في تمييز الفاء.

٥) الفاء صوت غير أنفي على عكس الميم.

٣) الوحدة الصوتية : م

أمثلة التقابل الفونولوجي :

م : ب

مَكْر : بَكْر عمَّر : عبَّر حالم : حالب

م : ف

مَاتَ : فَاتَ كَامل : كَافِل عَامَ : عَافَ

م : ن

مَسَك نَسَك قمع : قنع نَوْم : لَوْن

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للميم هي :

١) الميم صوت شفوي على عكس النون.

٢) ليس جهر الميم سمة حاسمة لها من الناحية الفونولوجية.

٣) ليست شدة الميم سمة حاسمة لها من الناحية الفونولوجية.

٤) ليس للإطباق أو عدمه أهمية في تمييز الفاء.

٥) الميم صوت أنفي على عكس الباء والفاء.

ب- يضم النظام الفونولوجي ثلاث وحدات صوتية بين أسنانية هي الثاء والذال والظاء، ويتضح مخرجها من مقابلتها بأصوات من مخارج أخرى، وتتضح باقي السمات المميزة لكل وحدة صوتية منها بالمقابلة مع الوحدتين الأخريين، ومع أصوات أخرى قريبة منها تختلط بها :

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ث : ذ

ثَمَّ : ذمَّ نَثَرَ : نَذَرَ نَفَثَ : نَفَذَ

ث : ظ

ثَلَمَ : ظَلَمَ نَثَرَ : نَظَرَ غَيْث : غَيْظَ

ث : ف

ثَرْد : فَرْد نَثَرَ : نَفَرَ عَاثَ : عَافَ

ث : س

ثَمَر : سَمَر كَثُرَ : كَسُرَ عَبَثَ : عَبَسَ

ث : ت

ثَمَّ : تَمَّ نثر : نَتَرَ بَثَّ : بتَّ

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للثاء هي :

١) الثاء صوت بين أسناني على عكس الفاء الشفوية والسين الأسنانية.

٢) لثاء صوت مهموس على عكس الذ ل فهى صوت مجهور.
٣) لثاء صوت غير شديد وهذ مرتبط بكونه بين أسنانى.
٤) ثاء صوت غير مطبق، وليس له مقابل مطبق.

٢) الوحدة الصوتية : الذال

أمثلة التقابل الفونولوجى

د : ت

دم : ثم   صرَ : ثرّ   نقد : نفث

ذ : ط

ذنّ . طل   ندر : نظَر   لَذّ · لصّ

د : ر

دَلّ : رلّ   عدب : أعرب   حَدّ : حَزّ

د : د

ذَلّ : دَلّ   ندر · نادر   عَاذ : عاد

ويتضح من هذ أن السمات المميزة للذال هى :

١) الذال صوت بين أسنانى على عكس الدال، فهى أسنانية.
٢) الذال صوت مجهور على عكس الثاء فهى صوت مهموس.
٣) الذال صوت غير مطبق على عكس الطاء فهى صوت مطبق.
٤) الذال صوت غير شديد وهذا مرتبط بالمخرج.

٣) الوحدة الصوتية : ظ

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ظ . ذ

ظَلّ : ذَلّ   نَظر : نذَر   لَظّ : لَذّ

ط : ص

طَلَّ : ضل حصَر : خصر عَيْض : عيْط

ط : ظ

طَفَر : ظفَر مضهر : مطهر عائظ : عائط

ويتضح من هذه السمات المميزة للطاء هي :

١) الطاء صوت بين أسناني على عكس الظاء.

٢) الجهر في الظاء ليس سمة فونولوجية لها، فليس هناك مقابل مهموس.

٣) الطاء صوت غير جانبي على عكس الضاد فهي صوت جانبي.

٤) الطاء صوت مطبق على عكس الدال فهي صوت غير مطبق.

جـ - يضم النظام الصوتي للغة العربية ثلاث وحدات صوتية أسنانية هي التاء والدال والطاء، ويتضح مخرجها من مقابلتها بأصوات من مخارج أخرى ويتضح تميز كل صوت منها بمقابلته بالصوتين الآخرين في المجموعة وبمقابلته كذلك بصوت النون.

١) الوحدة الصوتية : التاء

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ت : د

تَرِب : دَرِبَ تَبَرَ : دَبَرَ بات : باد

ت : ط (وفق النطق الحالي للطاء في العربية الفصيحة)

تَرِب : طرِب فَتَر : فَطَر شتَّ : شطَّ

ت : ث

تمَّ : ثم تَبَرَ : ثَبَرَ نتَّ : نثَّ

ت : ن

تابع : نابع أتاح : أباح سكت : سكن

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للتاء هى :

١) التاء صوت أسنانى على عكس الثاء فهى بين أسنانية.

٢) التاء صوت مهموس على عكس الدال فهى صوت مجهور.

٣) التاء صوت شديد، وهذه صفة تابعة لمخرجه

٤) التاء تنطق دون إطباق، ولم يكن عدم الإطباق سمة أساسية فى نطقها القديم، فقد كانت الطاء فى عصر سيبويه هى المقابل المطبق للدال لا للتاء. ولكن نطقها اليوم يجعل عدم الأطباق سمة حاسمة لها يفرقها عن الطاء فى نطقها الحديث

٥) التاء صوت غير أنفى على العكس من النون

٢) الوحدة الصوتية : الدال :

أمثلة التقابل الفونولوجى :

د	:	ت					
دَربَ	:	تَربَ	بَدَرَ	:	بتَرَ	باد	:	بات
د	:	ص					
درب	:	ضرب	أدواء	:	أصواء	نَقَدَ	:	نَقَضَ
د	:	ط					
درب	:	طرب	بدر	:	بطر	حند	:	حلط
د	:	ن					
دفع	:	نفع	مدافع	:	منافع	عود	:	عون
د	:	ذ					
دم	:	ذم	بدر	:	بذر	عائد	:	عائذ
د	:	ج					
درب	:	جرب	مدر	:	مجرب	برد	:	برج

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية المميزة للدال :

١) الدال صوت أسناني على عكس الذال بين الأسنانية.

٢) الدال صوت مجهور على عكس التاء فهي صوت مهموس.

٣) الدال صوت غير مطبق، مقابلها المطبق هو(d) على النحو التالي:

أ ـ الطاء في عصر سيبويه

ب ـ الضاد في النطق المعاصر للعربية الفصحى في مصر والشام

٤) الدال صوت غير أنفي.

٥) تنطق الدال نطقا شديدا، وهذه صفة تابعة للمخرج.

٣) الوحدة الصوتية : الطاء

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ط	:	د					
طار	:	دار	نَطَرَ	:	بَدَرَ	خَلَّطَ	: خَلَّدَ
ط	:	ض					
طامر	:	ضامر	مطبعة	:	مضبعة	عطَّ	: عَضَّ
ط	:	ظ					
طهر	:	ظهر	مطهر	:	مظهر	عائط	: عائظ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للطاء هي :

١) الطاء صوت أسناني عكس الظاء فهي صوت بين أسناني وعكس السين.

٢) الطاء في نطقها الذي وصفه سيبويه صوت مجهور، وتنطق اليوم نطقا مهموسا. فلم تعد تقابل من هذا الجانب الدال بل هي مقابل للتاء.

٣) الطاء صوت شديد وهذه صفة تابعة للمخرج.

د ـ يضم النظام الفونولوجي للغة العربية ثلاث وحدات صوتية، وصفت من ناحية جرسها بأنها من أصوات "الصفير" وهذه الوحدات هي السين والصاد والزاي. وتقابل كل وحدة صوتية منها لتحديد سماتها المميزة بالوحدتين الأخريين وبأصوات المخارج القريبة منها لتحديد مخرجها.

١) الوحدة الصوتية : السين .

أمثلة التقابل الفونولوجي :

س : ز

حاسر : حازر　　خُمس : خُرز　　همس : همز

س : ص

سَتَّ : صَتَّ　　سل : نصل　　حمس : حمض

س : ش

سب : شب　　سور : شور　　شم : سم

س : ث

س : ثمر　　كسَّر : كثَّر　　لبس : لبث

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية المميزة للسين هي :

١) السين صوت صفير على عكس أصوات بين الأسنان مثل الثاء وعلى عكس الشين

٢) السين صوت مهموس على عكس الزاي فهي صوت مجهور.

٣) السين صوت غير مطبق على عكس الصاد.

٤) السين صوت رخو وهذه صفة مرتبطة بكونه صوت صفير.

٢) الوحدة الصوتية : ص

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ص : س

صبر : سفر صَلْ : سَلْ حمّص : حمّس

ص : ص

صَابح : صالح رَصَانة : رطانة ربص : ربط

ص : ص

صَرْف : صَرْف تصر : انتظر فصّ : فطّ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للصاد هى :

١) الصــــاد صــــوت صفــــير علــى عكــــس الأصــوات بيــــن الأســــنانية مثــل ظ والأسنانية مثـل ط.

٢) الصاد صوت مطبق على عكس السين.

٣) يطبق هذا الصوت مهموس، وليس لهذه السمة دلالة فونولوجية في النظـام الصوتـى العربية الفصحى، فلا يوجد له في الفصحى مقابل مجهور

٣) الوحدة الصوتية : الزاى

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ز : س

زهرة : سهرة خُزن : خُس همَزَ : همَس

ز : ص

زف : صف رزين : رَصِين غَزّ : غصّ

ز : ذ

زل : دل أعزب : أعذب حزّ : حذّ

ز : ظ

عزيمة : عصيمة عَزْم : عظْم لمز : لمظ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للزاى هى :

١) الزاى صوت صفير على عكس الدال فهى بين أسنانية.
٢) الزاى صوت مجهور على عكس السين فهى صوت مهموس.
٣) الزاى صوت غير مطبق على عكس الصاد فهى صوت مطبق (مهموس) وعلى عكس الضاد فهى صوت مطبق مجهور.

هـ - يصف علماء الأصوات النون واللام والراء بأنها فى مرتبة بين الصوامت والحركات، ومن ثم جعلها مجموعة واحدة، ولتحديد السمات الفونولوجية المميزة لكل وحدة صوتية فيها نقابلها بالوحدتين الأخريين ثم مع أصوات أخرى قد تختلط بها:

١) الوحدة الصوتية : اللام

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ل	:	ر						
لبّى	:	ربى	بلد	:	برد	حَمَّل	:	حَمَّر
ل	:	ن						
لقم	:	نقم	جالب	:	جانب	حل	:	حَنّ

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية المميزة للام هى :

١) اللام صوت غير أنفى على عكس النون.

٢) اللام صوت غير مكرر على عكس الراء المكررة.

٣) تنطق اللام جانبية وهذه السمة ليست فونولوجية مميزة، فلا يوجد صوت مماثل غير جانبى، أما نطق اللام صوتا جانبيا فإنما يحدث لتجنب نطقها راء اهتزازية مكررة.

٤) تنطق اللام مطبقة وغير مطبقة، وليس للإطباق هنا دلالة فونولوجية فى العربية الفصحى.

٢) الوحدة الصوتية : الراء

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ر	:	ل					
ربّى	:	لبّى	نَرَد	:	نَلَدَ	مَرَّ	: مَلَّ
ر	:	ن					
رَمْل	:	نَمْل	سَرَدَ	:	سَنَدَ	قُطر	: قطن
ر	:	غ					
رَسُول	:	غَسُول	وَرْد	:	وَغْد	صَبَرَ	: صَبَغَ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولجية المميزة للراء هى :

١) الراء صوت غير جانبى على عكس اللام (انظر ما سبق).

٢) الراء صوت غير أنفى على عكس النون.

٣) تنطق الراء مفخمة وغير مفخمة، وبغض النظر عن أمثلة معدودة عربية حديثة فليس للأطباق أهمية فونولوجية.

٣) الوحدة الصوتية : النون

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ن	:	ل					
نقم	:	لقم	جَانِب	:	جَالِب	نَيْل	: لَيْل
ن	:	م					
نَاسِك	:	مَاسِك	سَنَحَ	:	سَمَحَ	لَوْن	: لَوْم
ن	:	ر					
نَمْل	:	رَمْل	سَنَدَ	:	سَرَدَ	قُطْن	: قُطْر

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية المميزة للنون هى :

١) النون صوت أنفى على عكس اللام.

٢) النون صوت غير اهتزازى (غير مكرر) على عكس الراء.

٣) النون صوت غير شفوى على عكس الميم فهى صوت شفوى.

٤) للنون أكثر من مخرج، ولها عدد من الصــور الصوتيـة المقيـدة، والإظهـار هـو هـو النطق الواضح على عكس الإخفاء أى تحويل النون إلى غُنّة فى الخيشوم.

الوحدة الصوتية : الضاد

الضاد وحدها فى مجموعة، وبذا قابلناها بالظاء التى انقلبت بها فى اللهجات الحديثة، ومع اللام الجانبية مثلها، ومع الشين القريبة منها مخرجا

أمثلة التقابل الفونولوجى .

ض	.	ظ			
ضَلّ	:	ظلّ	خَضَرَ : خَظَرَ	عَيْض	. عَيْظ
ض	:	ل			
ضَغَط	:	لغَط	قَضَبَ : قَلَبَ	قَضَّ	: قلّ
ض	:	ش			
ضَائِق	:	شَائِق	نَاضِر : نَاشِر	حَضّ	: حشّ

يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للضاد هى :

١) الضاد صوت حانى على العكس من الظاء بين الأسنانية.

٢) وصف السحاة للضاد ما زال موضع خلاف بين اللغويين المحدثين.

و ـ يعرف النظام الفونيمى للعربية وحدتين صوتيتين تنطقان من وسط الحنك، هما الجيم والشين:

١) الوحدة الصوتية : الجيم :

أمثلة التقابل الفونولوجي .

ج	:	ش					
جمال	:	شمال	وُجُوه	:	وُشُوه	عرّج	: عرّش
ج	:	د					
جَرّب	:	دَرّب	نَجَبَ	:	نَدَبَ	بُرْج	: بُرْد
ج	:	ق					
نَجْد	:	نقْد	جَنّد	:	قَلّد	رائج	: رائق

يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للجيم الفصيحة هي .

١) الجيم صوت مجهور على عكس الشين فهي صوت مهموس.

٢) مخرج الجيم مركب: لثوي حنكي على عكس الدال الأسنانية والقـاف من أقصى اللهاة

٢) الوحدة الصوتية : الشين

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ش	:	ج					
شِمَال	:	جمَال	نَشَرَ	:	نَجَر	نَهَشَ	: نهَجَ
ش	:	س					
شَبّ	:	سَبّ	تشَرّبَ	:	تسَرّبَ	فَارِش	: فارِس
ش	:	ك					
شامِل	:	كَامِل	رَاشِد	:	رَاكِد	أنْعَش	: أنْهَكَ

ويتضح من هذا أن الخصائص الفونولوجية المميزة للشين هي :

١) مخرج الشين لثوي حنكي على عكس الكاف فهي من أقصى الحنك.

٢) الشين صوت مهموس على عكس الجيم فهي صوت مجهور.

ز _ يعرف النظام الصوتي للغة العربية صوتين يخرجان من أقصى الحنك واللهاة، وهناك خلاف في مخارج الصور الصوتية المختلفة لكلا الصوتين الكاف والقاف.

الوحدة الصوتية : الكاف

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ك	:	ق					
كَلْب	:	قَلْب	لَكَمَ	:	لَقَمَ	شَوْك	: شَوْق
ك	:	ح					
كَامِل	:	حَامِل	نَكَسَ	:	نَحَسَ	سَلَكَ	: سَلَحَ
ك	:	ش					
كَامِل	:	شَامِل	رَكَدَ	:	رَشَد	فَرَكَ	: فَرَشَ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للكاف هي :

١) مخرج الكاف من أقصى الحنك على عكس الشين فهي من وسط الحنك والخاء فهي من أدنى الحلق، كما أنها ليست أسنانية أو صفيرية أو أنفية.

٢) على الرغم من وجود فرق دقيق في المخرج بين القاف والكاف ـ وصورها النطقية الحديثة كثيرة باختلاف المحيط الصوتي حولها ـ فإن التضاد الفونولوجي بينهما يكون باعتبار القاف مطبقة والكاف غير مطبقة.

٣) تنطق الكاف عادة صوتا مهموسا، وهناك حالات إجهار بتأثير بعض اللهجات غير أن الهمس أو الجهر هنا ليس سمة فونولوجية حاسمة.

٢) الوحدة الصوتية : القاف

أمثلة التقابل الفونولوجى

ق	:	ك					
قَلْب	:	كَلْب	نَقْل	:	نَكْل	نَرَقَ	: نَرَكَ
ق	:	ج					
قَلّ	:	جَلّ	نَقْد	:	نَجْد	بروق	: بروج
ق	:	ع					
قَالِب	:	عالِب	وَقَى	:	وَعَى	سَائِق	: سَائِغ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للقاف هى :

١) مخرج القاف من اللهاة على عكس العين من أدنى الحلق والجيم المركب اللثوى الحنكى.

٢) وصف سيبويه يجعلها مجهورة وتنطق اليوم هكذا عند البدو ونطقها المجهور يجعلها جيما قاهرية، ولكن نطق المتخصصين فى العربية والمذيعين يجعلها صوتا مهموسا.

حـ ـ هناك وحدتان صوتيتان فى العربية مخرجهما من أدنى الحلق، أحداهما الحاء والأخرى هى العين.

١) الوحدة الصوتية الخاء :

أمثلة التقابل الفونولوجى :

خ	:	غ					
غَامِر	:	خَامِر	فَخَرَ	:	فَغَرَ	فرّخ	: فرّغ
خ	:	ح					
خِمَار	:	حِمَار	نَخْل	:	نَحْل	أفراخ	: أفراح

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للخاء هى :

١) مخرج الخاء من أدنى الحلق على عكس العين فهى صوت من وسط الحلق.

٢) الخاء صوت مهموس على عكس العين فهى صوت مجهور.

٢) الوحدة الصوتية : الغين

أمثلة التقابل الفونولوجى :

غ : ع

غَرَبَ : عَرَبَ   تفرَّغَ : تَفَرَّعَ   وَغْد : وَعْد

غ : خ

غامَرَ : خامَرَ   فغر : فَخَر   مُفَرِّغ : مُفَرِّخ

غ : ق

غلىَ : قلى   نَغْل : بَقْل   فرَغ : فَتَقَ

ط ـ يوجد فى نظام الفونيمى للغة العربية صوتان يخرجان من وسط الحلق، هما الحاء والعين:

١) الوحدة الصوتية : الحاء

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ح : خ

خامِل : حامِل   نَخْر : نَحْر   شَخ : شَنَه

ح : ع

حامِل : عامِل   نَحْر : نَعْر   سعّ : سبحّ

ح : هـ

حَرَم : هَرَمَ   فَحْم : فَهْم   شَرَحَ : شَرَعَ

ومن هنا يتضح أن السمات الفونولوجية المميزة للحاء هى :

١) مخرج الحاء من وسط الحلق على عكس الخاء من أدنى الحلق والهاء التي من الحنجرة.

٢) الحاء صوت مهموس على عكس العين فهي صوت مجهور.

٣) ينطق هذا الصوت احتكاكيا.

٢) الوحدة الصوتية : العين

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ع	:	ح					
عَامِد	:	حَامِد	مِعْمَل	:	مَحْمَل	شَرَع	: شَرَح
ع	:	غ					
عَلَق	:	عَلَّق	تَفَرَّع	.	تفرع	عَرَض	: غَرَض
ع	:	همزة					
عَاهِل	:	آهِل	سَعَل	:	سَأَل	شَاعَ	: شَاءَ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للعين هي :

١) مخرج العين من وسط الحلق على عكس الغين من أدنى الحلق والهمزة التي من الحنجرة.

٢) العين صوت مجهور على عكس الحاء فهي صوت مهموس.

٣) تنطق العين نطقا رخوا، وهذه السمة ليست حاسمة من ناحية الفونولوجية في النظام الصوتي للعربية، فالصوت المشترك معها في المخرج الحاء رخو كذلك، ولا يفترقان إلا في جهر العين وهمس الحاء.

الوحدات الصوتية الحنجرية :

١) الوحدة الصوتية : الهاء

أمثلة التقابل الفونولوجي :

هـ : ء

هَجَّرَ	:	أَجَّرَ	سَاهَلَ	:	سَاءَلَ	شَاهَ	:	شَاءَ

هـ : ح

هَرَم : حَرَم سَهَّر : سَحَّر شَنَه : شَبَح

ويصح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للهاء هي .

١) هذا الصوت من الحنجرة على عكس الحاء فهي من وسط الحلق، ولكنه ليس من مخرج الهمزة أقصى المخارج.

٢) ينطق صوت الهاء مهموسا، وليس لهذا دلالة فونولوجية فليس له مقابل مجهور.

٣) توجد صور صوتية مطبقة وأخرى غير مطبقة للهاء، وهذا مختلف من لهجة لأخرى ويظهر أثر ذلك في نطق الفصحى، وهناك اختلافات فردية فى نطق الهاء مفخمة أوغير مفخمة.

٢) الوحدة الصوتية : الهمزة (المحققة)

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ء : هـ

أَجَّر : هَجَّر سَاءَل : سَاهَل شَاءَ : شَاهَ

ء : ع

آهِل . عَاهِل سَأَل : سَعَلَ شَاءَ : شَاعَ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للهمزة هي :

١) الهمزة صوت من الحنجرة على عكس العين فهي من الحلق.

٢) الهمزة صوت شديد ليس له مقابل رخو.

٣) الهمزة صوت محايد من ناحية الهمس والجهر، الوتران الصوتيان فى أثناء نطقها فى وضع يمنعهما من الاهتزاز.

ك ـ يعرف النظام الصوتي للعربية كسرة عادية وكسرة طويلة يعبر عنها في الكتابة بما يطلق عليه "مد الياء" أو "الياء الممدودة"

١) الوحدة الصوتية الكسرة

أمثلة التقابل الفونولوجي :

الكسرة	:	الفتحة	الكسرة	: الضمة
جِمال	:	جَمال	كِبَر	: كُبُر

يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للكسرة هي :

١) الكسرة صوت أمامي على عكس الضمة فهي حركة خلفية.

٢) الكسرة صوت ضيق على عكس الفتحة فهي حركة مفتوحة.

٢) الوحدة الصوتية : الكسرة الطويلة :

أمثلة التقابل الفونولوجي :

الكسرة الطويلة	:	الكسرة (القصيرة)	الكسرة الطويلة	: الفتحة الطويلة
كتابي	:	كتابِ	قومي	: قوما
			قولي	: قولا

الكسرة الطويلة	:	الضمة الطويلة
قولي	:	قولوا
اكتبي	:	اكتبوا
عريس	:	عروس
ريح	:	روح

ـ يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للكسرة الطويلة هي :

١) صوت أمامي على عكس الضمة الطويلة فهي حركة خلفية.

٢) صوت ضيق عى عكس لفتحة نصويلة فهى حركة مفتوحة.

٣) حركة صويلة عى عكس الكسرة اقصيرة.

ب - يوجد فى اسطام لصوتى للغة العربيه صمة عادية وصمة طويلة، وقد ثرنا هنا التسمية لصوتية عى نسمية اصمة طويلة بالو و.

١) الوحدة الصوتية : الضمة

أمثلة التقابل العونولوجى

الصمة · الفتحة

حُمَل حَمَل

الصمة : لكسرة

حلْم : حلْم

يصح من هذا أن سمات الفونولوجية مميزة لنصمة هى .

١) اضمة حركة صيقة عى عكس لكسرة، وتنطق اصمة باستدرة فى لشفتين.

٢) الصمة حركة حنفية عى عكس الكسرة.

الوحدة الصوتية : الضمة الطويلة :

أمثلة التقابل الفونولوجى

نصمة الطويلة : ضمة القصيرة الضمة الطويلة : الفتحة طويلة

مسلمو : مسلم قوسوا : قولا

الكسرة الطويلة . قوسى

ويتضح من هذا أن سمات الفونولوجية مميزة لضمة هى ·

١) حركة ضيقة عى عكس الفتحة لطويلة.

٢) حركة حلفية عى عكس الكسرة الطويلة.

٣) حركة قصرة عىى عكس اصمة القصيرة.

م ـ الفتحة و الفتحة الصويلة حركتان تختلفان كما لا كيفا

١) الوحدة الصوتية : الفتحة

أمثلة التقابل الفونولوجى :

الفتحة	:	الضمة	الفتحة	: الكسرة
يذكَر	:	يذكُر	عَلَم	: عَالِم

يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للفتحة هى :

١) حركة مفتوحة عكس الضمة فهى حركة ضيقة.

٢) مخرجها متغير بين صورتين أساسيتين :

أ ـ الفتحة بلا إمالة.

ب ـ الفتحة الممالة.

٢) الوحدة الصوتية : الفتحة الطويلة :

أمثلة التقابل الفونولوجى :

الفتحة الطويلة	: الفتحة القصيرة	الفتحة الطويلة	:	الضمة الطويلة
مطار	: مطر	قولا	:	قولوا
		الضمة الطويلة	:	الكسرة الطويلة
		قوموا	:	قومى

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية الحاسمة للفتحة الطويلة هى :

١) حركة مفتوحة عىى عكس الضمة والكسرة

٢) يتغير محرجها فلها صورتان.

أ ـ بدون إمالة.

ب ـ بالأمالة.

ثانياً : المقاطع والنبر والتنغيم :

كان البحث الصوتي في التراث العربي يركز على بحث الأصوات المفردة وتغيراتها، فأضاف البحث الصوتي الحديث معرفة بحقائق صوتية تتجاوز الأصوات المفردة إلى علاقاتها في بنية اللغة. ومن أهم هذه الحقائق وجود المقاطع والنبر والتنغيم.

إن الوحدات الصوتية في اللغة الواحدة يكون لها تتابع تحدده البنية المقطعية، وهي بنية تختلف باختلاف اللغات، فاللغة الفرنسية ـ مثلا ـ يمكن فيها أن تبدأ الكلمة بصامتين، وهذا ما نجده مثلا في كلمة France، والبدء بصامتين غير ممكن في العربية. وعندما دخلت هذه الكلمة اللغة العربية أضيفت حركة بين الصامت الأول والصامت الثاني، وهذه الإضافة هادفة إلى التغلب على مشكلة عدم البدء بصامتين في العربية. فاللغة العربية تعرف عدة أنواع من المقاطع، وليس من بينها أن يبدأ المقطع بصامتين.

توجد في اللغة الفصحى أنواع المقاطع الآتية :

١- النوع الأول : صامت + حركة قصيرة، مثل : وَ ، فَ. = مقطع قصير مفتوح

٢- النوع الثاني : صامت + حركة طويلة، مثل : يا ، في. مقطع طويل مفتوح

٣- النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت، مثل : بل، هل.

= مقطع طويل مغلق

٤- النوع الرابع : صامت + حركة طويلة + صامت، مثال :

عَاشْ، حَالْ (بسكون). = مقطع مغرق فى الطول مغلق

٥ - النوع الخامس : صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت، مثل : مَشْقْ (بسكون). = مقطع معرق فى الطول مغلق بصامتين

وتصنيف المقاطع السابقة يكون وفق معيارين :

١- طبيعة الصوت الأخير فى المقطع، النوع الأول والنوع الثانى كلاهما مقطع مفتوح، على العكس من الثالث إلى الرابع والخامس فهى من نوع المقطع المغلق. المقطع المفتوح هو المقطع المنتهى بحركة، أما المغلق فهو المقطع المنتهى بصامت أو أكثر.

٢- طول المقطع، وعلى ذلك يكون النوع الأول مقطعاً قصيراً، وكل مقطع من النوعين الثانى والثالث طويلا،ومن النوعين الرابع والخامس معرقا فى الطول.

إنّ درجة ارتفاع الصوت تختلف عند النطق بين مقطع وآخر فى الكلمة الواحدة أومايشبه الكلمة، ويطلق مصطلح النبر Sress على درجة ارتفاع الصوت. ولذا ففى الكلمة المكونة من مقطع واحد لا مجال للحديث عن مقطع منبور وآخر غير منبور، فالمقطع الواحد منبور دائما. ولكن قواعد النبر تتناول ــ بالتفاصيل ــ الكلمة المكونة نفسها وبما اتصل بها من أكثر من مقطع، كأن تكون على مقطعين أو ثلاثة أو أكثر. وهنا تكون قواعد النبر للكلمة مع ما يتصل بها.

وتوجد فى نطق العربية الفصحى عدة قواعد للنبر، منها :

١- إذا توالت عدة مقاطع مفتوحة يكون الأول منها منبوراً، ففى كلمة كَتَبَ نجد ثلاثة مقاطع من النوع الأول، أولها منبور.

٢- إذا تضمنت الكلمة مقطعاً طويلاً واحداً، يكون النبر على هذا المقطع الطويل، فنجد هذا فى كلمة كِتَاب، حيث النبر على المقطع الثانى.

٣- إذا تكونت الكلمة من مقطعين طويلين، يكون النبر على أولهما، ففي كلمة كَاتِب نجد مقطعين طويلين أولهما مفتوح والثاني مغلق، والنبر على المقطع الأول.

وهناك فروق واضحة بين اللهجات العربية في النبر تجعل السامع يحس بسرعة أن محدثه من أبناء لهجة أخرى.

وأخيراً فإن التنغيم Intonation من الحقائق الصوتية في اللغات المختلفة، والتنغيم مرتبط بالارتفاع والانخفاض في نطق الكلام نتيجة لدرجة توتر الوترين الصوتيين مما يؤدى إلى اختلاف الوقع السمعي. ومن هنا نجد كلمات كثيرة تتعدد طرق تنغيمها لتؤدى وظائف دلالية مختلفة، فإذا كانت (نعم) للإجابة اختلف تنغيمها عنها للاستفسار والتنغيم لا يقتصر على الكلمة الواحدة، بل يتجاوز إلى التركيب، فالتحية (سلام عليكم) لها تنغيم يختلف عن تنغيم في حالة الغضب.

ثالثاً : التغيرات الصوتية

١- التغيرات الصوتية الصرفية

يطلق مصطلح التغيرات الصرفية الصوتية Morphophonemic Changes على التغيرات التي تطرأ على البنية الصرفية لاعتبارات صوتية. وذلك مثل فكرة تحويل المقطع المغلق في الطول من [صامت + حركة طويلة + صامت]. إلى [مقطع طويل مغلق]. إن المقطع المغلق في الطول من النوع الرابع نادر في العربية الفصحى، وتميل اللغة العربية إلى هجره كلما أوتيت إلى ذلك سبيلا ومن هذا الجانب نجد العربية الفصحى تختلف عن بعض اللهجات العربية التي تعرف المقطع المغلق في الطول على نحو أكثر شيوعاً فعندما كان القاهري يقول آمراً : "بيع" فالفصحى "بِعْ"، وكذلك : "عيش" في مقابل الصيغة الفصيحة "عِشْ"، فالفرق بالمقارنة مع الصيغة العامية أن الفصيحة حوّلت المقطع المغلق في الطول إلى مقطع طويل، وبذلك تحوّلت الحركة الطويلة إلى حركة قصيرة.

٢- التغيرات الصوتية والمستويات اللغوية

التغيرات الصوتية تكون مطردة في أصوات المستوى اللغوي الواحد بغض النظر عن السياق الصوتي للكلمة ومعنى هذا أنها تغيرات غير مشروطة بسياق معين، وإنما هي عامة في المستوى اللغوي الواحد. ومن هذه التغيرات تلك القوانين التي توضح المقابلات الصوتية بين العربية الفصحى واللهجات العربية، ونوضح هذا بتناول الأصوات بين الأسنانية في الفصحى وما يقابلها في لهجة القاهرة. ودراسة هذه التغيرات عبر الزمن تدخل في علم اللغة التاريخي. لقد أصبحت لهجة القاهرة لا تعرف الأصوات العربية التي تصنف في مجموعة الأصوات بين الأسنانية، وهي أصوات الثاء والذال والظاء. تتفق هذه الأصوات العربية في المخرج، فهذه الأصوات بين أسنانية، بمعنى أن مخرجها يكون بوضع ذلق اللسان بين الأسنان العليا والأسنان السفلى. وتختلف هذه الأصوات وفق معايير أخرى، فالثاء صوت مهموس والذال مجهورة، وهما غير مطبقتين على خلاف الظاء المطبقة.

الأصوات بين الأسنانية في العربية

	مهموس	مجهور
غير مطبق	ث t	ذ d
مطبق		ظ d

تحولت مجموعة الأصوات بين الأسنانية المذكورة في عدد من اللهجات العربية، منها لهجة القاهرة إلى مجموعة الأصوات الأسنانية. وينطبق هذا القانون على كل الألفاظ الأساسية في اللهجة. فالعدد اثنان ينطق في هذه اللهجات بالتاء، وكلمة 'ثعلب' تنطق بالتاء أيضاً. وقد تحولت الظاء إلى ضاد، نجد هذا في الكلمات "ظل" تحولت إلى "ضل" وظُهر' وقد تحولت إلى 'ضُهر'. ويلاحظ في هذا التحول أن كل صوت تحول إلى صوت آخر يتفق

معه في الخصائص النطقية الأخرى، باستثناء المخرج. ويتضح هذا من الجدول التالي :

الأصوات الأسنانية

	مهموس	مجهور
غير مطبق	ت t	د d
مطبق	ط t	ض d

وهكذا تحولت مجموعة الأصوات بين الأسنانية الثاء والذال والظاء إلى مجموعة الأصوات الأسنانية التاء والدال والضاد على التوالي. تحولت الثاء إلى تاء لاتفاقهما في الهمس وعدم الإطباق، كما تحولت الذال إلى دال لاتفاقهما في الجهر وعدم الإطباق، وتحولت الظاء إلى ضاد لاتفاقهما في الجهر والإطباق. أما الطاء المذكورة في الجدول فليست امتدادا لأي صوت بين أسناني، فليس لها في جدول الأصوات بين الأسنانية مقابل.

يرتبط أي تغير صوتي بمستوى لغوي بعينه، فالتغير الصوتي يتم كاملا في كل كلمات المستوى اللغوي الذي حدث فيه التغير، فإذا دخلت بعد حدوث التغير كلمات جديدة إلى ذلك المستوى عوملت معاملة جديدة. من ثم يلتقي في اللهجة الواحدة مستويان أو أكثر. ويرجع كل مستوى منها إلى تغير تاريخي معين أو إلى مرحلة تاريخية محددة. فالكلمات الهابطة في مرحلة تالية من الفصحى إلى اللهجة تحتفظ بظواهرها الصوتية وتخضع لتغيرات صوتية تخالف الأنماط الأساسية في اللهجة. فعلى الرغم من وجود التغير الصوتي الخاص بتحول الثاء إلى تاء في لهجة القاهرة، لا أحد يقول "التورة" بالتاء بل تنطق هذه الكلمة في تلك اللهجة كما لو كانت بالسين أو بالصاد. وكذلك كلمة "الثروة" وكلمة "ثانية" بمعنى ١/٦٠ من الدقيقة. فهذه الكلمات ليست من الألفاظ الأساسية في اللهجة القاهرية، ولذا لم يسر عليها قانون

تحول الثاء إلى تاء. وهذه الكلمات هابطة فى مرحلة حديثةمن المستوى الفصيح إلى المستوى العامى، وفى وقت لم تكن اللهجة المحلية تعرف الأصوات بين الأسنانية ومن ثم لم تحتفظ هذه الكلمات بالتاء وإنما حلت محلها السين فى محاولة غير كاملة لمحاكاة الفصحى، ولكن هذه المحاكاة غير الكاملة تتخذ أيضاً شكل النظام المتكامل إذ حلت مجموعة الأصوات الصفيرية أو أصوات الصفير وهى السين والزاى مع صوت ليس له فى الفصحى مقابل هو الزاى المطبقة، محل الثاء والدال والطاء على التوالى.

وهكذا توضح القوانين الصوتية تنوع المصادر التى رودت اللهجة الواحدة بمفرداتها، فالألفاظ الأساسية تخضع لقوانين، والألفاظ الهابطة من الفصحى وكذلك الألفاظ الدخيلة من لغات أخرى تخضع لقوانينها الصوتية الخاصة بها.

٣- التغيرات الصوتية السياقية

هى تغيرات صوتية مشروطة وليست بتغيرات تاريخية، بل هى هى تغيرات تحددها طبيعة الأصوات المحيطة بالصوت موضع التغير. ومن أهم هذه التغيرات.

(١) المماثلة

لاحظ سيبويه أن بناء وزن افتعل من الفعل ضرب ليس: *اضترب، كما هو القياس، بل "اضطرب"، وكذلك وزن افتعل من المادة "صبر" ليس:* اصتبر، كما هو القياس، بل: اصطبر. وقد فسر سيبويه هذه الظاهرة تفسيراً يستقيم فى مجموعة مع البحث اللغوى الحديث. وإذا نظرنا فى العناصر الحاسمة فى هذا التغير لاحظنا أن الضاد والصاد وكذلك الطاء من أصوات الأطباق. تشترك الطاء مع التاء فى كل خصائصها النطقية، إلا أن التاء غير مطبقة والطاء مطبقة، فالتحول الذى حدث يتلخص الصيغة التالية:

(ص + ت) ⟵ (ص + ط)

(ض + ت) ⟵ (ض + ط)

(مطبق + غير مطبق) ←—— (مطبق + مطبق).

ويمكن بيان عدد من التغيرات الصوتية في بنية الكلمة بصيغة مماثلة، فمثلا كلمة "ازدهر" هي وزن افتعل من المادة "زهر" وما حدث يمكن إيضاحه بحث خصائص الزاى والدال والتاء من ناحية الهمس والجهر. فالسمة الحاسمة هنا أن الزاى صوت مجهور، أى أن الوترين الصوتيين يهتزان بشدة عند النطق به. أما التاء التي كنا نتوقعها في وزن افتعل من المادة "زهر" ليكون الفعل* "زتهر" فهي صوت مهموس، أى لا يتوتر الوتران الصوتيان عند نطقها. وما حدث يتلخص في أن توتر الوترين الصوتيين في نطق الزاى استمر بعد المدة الوجيزة جدا التي ينطق فيها صوت الزاى، فأعضاء النطق عند الإنسان دقيقة، ولكن دقتها حدود. لقد استمر توتر الوترين الصوتيين عند النطق بما كان يظن أنه سيخرج تاء، وهنا نطقت الدال. وبعبارة أخرى إذا أضفنا إلى التاء بكل خصائصها الصوتية توترا في الوترين الصوتيين نطقنا دالا، فالتاء صوت لا يختلف عن الدال إلا من هذا الجانب. ويمكننا تلخيص هذا التغير في الصيغة التالية :

(ز + ت) ←—— (ز + د)

(مجهور + مهموس) ←—— (مجهور + مجهور)

وهكذا يمكن تفسير أبنية (افتعل) من الأفعال التي تبدأ بصوت مطبق أوبصوت مجهور وفق الصيغتين المذكورتين. كلتا هما تدخل في إطار المماثلة، وذلك لأن الصوتين الناتجين أقرب إلى بعضهما من الصوتين السابقين على التغير.

توصف المماثلة بين الحركات بأنها التوافق الحركي Vocalic Harmony ومعناه أن حركات المقاطع المتتابعة تتماثل بشكل ما، وتعد

ظاهرة التوافق الحركي من السمات الأساسية لبنية عدد كبير من اللغات، منها اللغة التركية. واللغة التركية لغة إلصاقية تظهر وحداتها الصرفية على شكل لواصق تتحقق وفق نظام خاص بالكلمة الأساسية، ولذا تتخذ اللاحقة الواحدة عدة أشكال، فحرف الجر (إلى) في اللغة العربية يؤدى في اللغة التركية عن طريق لاحقة، هي عبارة عن وحدة صرفية مقيدة. ويتضح هذا في اللغة التركية من مثال اللاحقة الدالة على معنى (إلى)، فهي إما(e) مثل eve إلى المنزل، أو (a) مثل ormana إلى الغابة، فالحركة الأساسية في الكلمة حددت الصورة المناسبة لها في اللاحقة:

1- eve + e = eve

2- orman + a = ormana

(ب) المغايرة

المغايرة نقيض المماثلة، تؤدى المغايرة إلى أن تصبح الأصوات المكونة مختلفة بعد أن كانت متفقة أو متقاربة.

وتتضح المغايرة من الأمثلة الآتية :

- عنوان ـــ علوان   ن ن ← ل ن
- لعل ـــ لعن   ل ل ← ل ن
- (كرسار Corsar) ـــ قرصان   رر ← رن

وكل هذه الأمثلة توضح أن الصوتين الناتجين متباعدان عن الصوتين الموجودين في الكلمة الأساسية، ولذا فالتغيير الحادث مغايرة.

(جـ) القلب المكاني :

القلب المكاني ظاهرة صوتية تعنى تبادل صوتين لمكانيهما، أي حل كل منهما محل الآخر

وهناك ثنائيات كلمات مألوفة لنا في اللهجة المصرية تعطى أمثلة للقلب المكانى منها: أراب ← أبارب، ملاعق ← معالق، مسرح ← مرسح.

وهنـاك أمثلة للقلب فى التراث العربى، ولكن واقع الحياة اليومية يعطى أمثلة أكثر.

الفصل السادس

بناء الكلمة

تتكون كل لغة من اللغات من عدد محدود من الوحدات الصوتيـة، وتعبر اللغة بهذا العدد المحدود من الوحدات الصوتية عن الجوانب المتنوعـة مـن الحيـاة والفكـر، والبنية اللغوية لا تتكون من الوحدات الصوتية مفردة، بـل تتـألف اللغـة مـن الوحـدات الصوتية مركبة في أبنية مختلفة. فالصوامت (ك+ت+ب) يمكن أن تتخذ عدة ترتيبات، وهـي (ك ت ب، ك ب ت، ب ت ك، ت ك ب، ب ك ت، ت ب ك). وقـد أفـادت اللغة العربية من عدد من هذه الترتيبات المتاحة. وعندما بحـث الخليـل بـن أحمـد فـى القرن الثاني الهجرى أصوات اللغة العربية، وحـدد المـواد اللغويـة الممكنـة ــ نظريـاً ــ لاحظ أن كثيراً منها ليس له استخدام في الواقع اللغوى العربـى، فـأطلق عليـه مصطلـح "المهمل". أما المواد اللغوية الموجودة ـ فعلاً ـــ فكـانـت عنـده تمثـل "المسـتعمل". إن المادة اللغوية الواحدة ـ مثل (ك ت ب) ـ ليس لها وجود مباشر، فليســت هـناك كلمـة واحدة في العربية تتألف مـن هـذه الصوامـت وحدهـا دون إضافـات. فـالفعل (كتـب) يتكون من تتابع الكاف والفتحة والتـاء والفتحـة والبـاء والفتحـة. وبقيـة كلمـات هـذه المادة تتكون بإضافات إلى صوامتها. وهذه الإضافـات تكـون فـى مواقـع مختلفـة مـن الكلمة، كأن تكون في البدايـة وتسـمى السـوابق Prefixes، أو فـى الوسـط وتسـمى الدواخل Infixes، أو فى الآخر وتسمى اللواحق Suffixes. وقد تتكون أبنية صرفيـة بأكثر من إضافة كما نجد في كلمتي : مكتوب، وكتابة. ومجال البحث فــى الصـرف أو بناء الكلمة هو دراسة الوسائل التى تتخذها كل لغة من اللغات لتكون الكلمات من الوحدات الصرفية المتاحة فى تلك اللغة.

أولاً : الوحدات الصرفية :

المصطلح الأساسي في التحليل الصرفي الحديث هو مصطلح المورفيم Morpheme أي الوحدة الصرفية. إن الباحث اللغوي يحاول تقسيم السلسلة الكلامية إلى عناصرها المكونة ثم يصف هذه العناصر، كانت المرحلة الأولى في هذا التقسيم على مستوى التحليل الصوتي، وبذلك أمكن تعرف الوحدات الصوتية المكونة للسلسلة الكلامية. والمرحلة التالية في التقسيم تهدف إلى تعرف الوحدات الصرفية. وهناك تعريفات كثيرة للمورفيم عند مدارس البحث اللغوي الحديث، غير أنها تتفق في أنها تعد الوحدة الصرفية أصغر وحدة في بنية الكلمة تحمل معنى أو لها وظيفة نحوية في بنية الكلمة.

لقد عرف اللغوي بلومفيلد المورفيم بأنه "صيغة لغوية لا تحمل أي شبه جزئي في التتابع الصوتي والمحتوى الدلالي مع أية صيغة أخرى". ومعنى هذا الباحث في تقسيمه للسلسلة الكلامية يقسم الكلمة إلى أجزائها الحاملة للمعنى أو للوظيفة النحوية، وهذه الأجزاء الحاملة للمعنى أو للوظيفة النحوية لا يمكن تقسيمها إلى أجزاء أصغر منها ذات معنى أو وظيفة نحوية. وحتى نوضح رأي بلومفيلد في المورفيم يمكن النظر في الكلمات الانجليزية :

read, reads, reading, sing, sings, singing

لنلاحظ العلاقة بين الكلمات الثلاث الأولى في وجود read وبين الكلمات الثلاث الأخرى في وجود sing ، ثم نجد بعد هذا أن كلمتي sings, reads تنتهيان بنهاية صوتية واحدة لأداء الوظيفة النحوية نفسها، وبالمثل نجد كلمتي singing, reading تنتهيان بنهاية واحدة ing لأداء الوظيفة النحوية نفسها ومعنى هذا أن اللغة الإنجليزية تعرف هذه العناصر الصغيرة باعتبارها حاملة للوظائف نحوية، وهي المورفيمات أو الوحدات الصرفية. والوحدات الصرفية هي أصغر وحدات حاملة للمعنى، فإذا حاولنا أن نقسم ing إلى عناصرها المكونة لما عرفنا لكل وحدة صوتية من وحداتها المكونة أي معنى نحوي في إطار بنية اللغة الانجليزية.

إن التقسيم المباشر على النحو السابق مناسب بشكل واضح عندما يكون الباحث بصدد تحليل اللغات الإلصاقية Agglutinative Languages، وهى كثيرة فى العالم المعاصر. فإذا نظرنا فى المثال التركى Evdidir (ويعنى : هو فى المنزل) أمكننا بالطريقة السابقة أن نتعرف الوحدات الصرفية الآتية : ev بمعنى منزل، de هى اللاحقة المكانية، dir هى اللاحقة الخاصة بالوجود. ولكن التقسيم المباشر متعذر بهذه الطريقة فى اللغات المعربة Inflectional Languages، ولهذا ظهرت فكرة الوحدات الصرفية والصور الصرفية.

إن إمكان وجود الوحدات الصرفية على نحو غير مباشر، فى حين تظهر لنا صورها الصرفية على نحو مباشر - تعد من الحقائق التى تنطلق منها نظريات حديثة فى التحليل الصرفى. ويكفى لإيضاح هذا أن نقارن نهاية الجمع فى الإنجليزية فى الأمثلة الآتية لنجد نهايات مختلفة لأداء الوظيفة النحوية الخاصة بالدلالة على جمع الاسم. glasses(iz), pens (z) , books (s)

أما المعنى الذى تحمله هذه النهايات فهو معنى الجمع، ويمكن تعرف الواقع الصوتى لهذه النهايات بمقارنة الكلمات المذكورة بصيغها فى المفرد. إن هذه النهايات المختلفة تدور فى إطار واحد من الناحية الصوتية، فالفرق بين (s) ,(z) أن الصوت الأول مهموس والثانى مجهور، وكأننا بهذا قد فسرنا بالجوار الصوتى تعدد هذه النهايات. توزيع هذه النهايات على النحو التالى : بعد مجموعتى الأصوات المعروفة باسم الأصوات السينية sibilants مثل (sh),(s) والأصوات المركبة الاحتكاكية مثل (ch) تأتى فى الجمع النهاية (iz). هذه صورة صرفية أى الومورف. وثمة صورة صرفية أخرى تكون بعد بقية الأصوات المجهورة، وهنا تكون النهاية (z)، والصورة الصرفية الثالثة تكون بعد بقية الأصوات المهموسة تأتى النهاية (s). والنهايتان الأخيرتان فيها درجة من المماثلة، فإلى جوار الصوت المهموس جاءت النهاية (s)، وإلى جوار الصوت المجهور جاءت النهاية (z)، ولكن كل هذه النهايات المختلفة

والتى يمكن تفسير اختلافها صوتيا تؤدى وظيفة واحدة فى بنية الانجليزية، وعلى هذا فهى صور صرفية مختلفة لوحدة صرفية واحدة. الصور الصرفية allomorphes لها وجود مباشر منطوق مسموع، أما الوحدة الصرفية الجامعة لها فلاشك أنها موجودة، ولكن وجودها غير مباشر.

ويمكن إيضاح الفكرة نفسها بمثال عربى، فالفرق بين (ضرب) و(اضطرب) من ناحية البنية الصرفية هو الفرق بين (قرب) و(اقترب). التغير ليس واحداً من الناحية الصوتية، على الرغم من اتحاد الوظيفة فى بنية اللغة، ومعنى هذا أن التاء تأتى هنا فى جوار صوتى بعينه والطاء فى جوار صوتى آخر. وشبيه بهذا أمر التاء والدال فى (قرب) و(اقترب) من جانب، و(زهر) (وازدهر) من الجانب الآخر، فالتاء فى جوار بعينه والدال فى جوار صوتى آخر. ومعنى هذا أن (التاء) و(الدال)،(الطاء) فى هذه البنية، ويؤدى هذا إلى القول بوجود ثلاث صور صرفية لوحدة صرفية واحدة.

هناك عدة اتجاهات فى تصنيف الوحدات الصرفية، منها التصنيف الشكلى إلى وحدات صرفية حرة free morphemes ووحدات صرفية مقيدة bound morphemes. والفرق بينهما أن الوحدات الصرفية الحرة يمكن أن توجدمستقلة أى منفصلة على عكس الوحدات الصرفية المقيدة التى لا توجد إلا مرتبطة أى متصلة. ومثال هذا فى العربية الضمائر، فيها المنفصل وفيها المتصل. الضمائر المنفصلة وحدات صرفية حرّة، والضمائر المتصلة وحدات صرفية مقيدة. ويمكن أن نجد فى الكلمة الواحدة وحدات صرفية حرة وأخرى مقيدة فكلمة (مصريون، مصريين) تتكون من وحدة صرفية حرة (مصر)، ثم وحدة صرفية مقيدة مكونة من الكسرة والياء المشددة (iyy) ولها وظيفة صرفية وهى تكوين صيغة النسب، ثم تأتى بعد ذلك وحدة مقيدة أخرى هى الضمة الطويلة فى الحالة الأولى والكسرة الطويلة فى الحالة الثانية، ولكل وحدة صرفية منهما وظيفة إعرابية للدلالة على الرفع أو على النصب والجر، وبعد هذا كله تنتهى الكلمتان بوحدة صرفية مقيدة (na) تشير إلى كون الكلمة غير مضافة. ومن

هذا كله نخرج بأن في الكلمتين المذكورتين وحدة صرفية حرة واحدة، وعدة وحدات صرفية مقيدة، بها وظائف النسب، والجمع المرفوع، أو الجمع المنصوب والمجرور، وحالة عدم الإضافة. وتقسيم سلاسل كلامية مختلفة ومتنوعة في اللغة العربية من شأنه أن يعطي دقة الوحدات الصرفية في العربية وتوزيعها، أي مواضع استخدامها، من الجانب الآخر. فالوحدات الصرفية في كل لغة من اللغات تتخذ مواقع خاصة بها.

وثمة تصنيف آخر للوحدات الصرفية قد يكون أقرب إلى طبيعة الأوزان في العربية، وهو تقسيم الوحدات الصرفية إلى تتابعية وغير تتابعية. الوحدات الصرفية التتابعية Sequential morphemes هي الوحدات الصرفية التي تكون مكوناتها الصوتية من الصوامت والحركات متتابعة دون فصل يفصل بين هذه المكونات، وهذا النوع ما نجده في الضمائر المتصلة بالفعل، وكذلك في الوحدات الصرفية المقيدة في المثال العربي السابق وكذلك في المثال التركي المذكور. وأيضاً في المثال الإنجليزي السابق. أما الوحدات الصرفية غير التتابعية non — sequential morphemes فهي الوحدات الصرفية التي تأتي مكوناتها الصوتية من الصوامت والحركات متتابعة على نحو غير متصل، ومعنى هذا أن الوحدات الصوتية المكونة لها تتخللها وحدات صوتية لوحدة صرفية أخرى. مثال هذا كل ما يتعلق بالأوزان في العربية. فكلمة (كاتب) تتكون من وحدتين صرفيتين غير تتابعيتين، تتكون الأولى من الحروف الأصول (ك+ت+ب) وهي وحدة صرفية غير تتابعية لأن هذه الصوامت بدون حركات لا تكون تتابعاً متصلا في أية كلمة عربية، وتتكون الوحدة الصرفية غير التتابعية الثانية من فتحة طويلة + كسرة. وهي كذلك وحدة صرفية غير تتابعية لأن أصواتها لا تكون تتابعاً متصلا في أية كلمة عربية. وبذلك تعد الحروف الأصول في البنية الصوتية للعربية واللغات السامية الأخرى وحدات صرفية غير تتابعية، وتعد الأوزان في هذه اللغات أيضاً وحدات صرفية غير تتابعية أيضاً.

من الحقائق التى أقرها علم اللغة الحديث أن لكل لغة ولكل لهجة نمطها الخاص بها، وتختلف اللغات فى بنية مفرداتها وقابليتها للتغير الداخلى والتغير الإعرابى اختلافا بينا. كل لغة وكل لهجة تعرف الكلمات، لكن أنماط هذه الكلمات تختلف من لغة لأخرى ومن لهجة لأخرى، وهنا يهتم علم اللغة الحديث بدراسة الأنماط التى تتخذها كل لغة لمفرداتها دون أن ينظر إليها بمعيار الحسن أو القبح، بل يحاول تحديد وسائل بناء الكلمة فى كل لغة هادفا إلى تقرير الحقائق دون قدح أو مدح. وإذ كان بعض اللغويين قد لاحظ وجود التغير الأعرابى فى العربية الفصحى وعدم وجود أكثر ظواهره فى اللهجات العربية وظن وجود التغير الاعرابى فضلا يجعل الفصحى مكانة فوق اللهجات، فالواقع أن مستويات الاستخدام اللغوى لا تستمد مكانتها من البنية بل من استخدامها ومكانة المتعاملين بها ومستويات التعامل بها ومجالات استخدامها، ولا دخل فى هذا لوجود الأعراب فى لغة ما أو عدم وجوده فى لغة أخرى. لا فضل لاسم على فعل، ولا لفعل على اسم، ولا لإعراب على بناء، ولا لبناء على إعراب، وكل هذه تصنيفات عرفتها العربية ولغات أخرى، وتخلو منها لغات كثيرة. فلكل لغة نمطها الخاص فى الوحدات الصرفية وتوزيعها ووسائلها المتعددة لبناء المفردات، ويمكننا أن نوضح فكرة النمط الصرفي واختلافه بين اللغات وتنوعه بمثال بسيط من لغة تختلف بنيتها عن اللغات السامية واللغات الأوربية التى يعرفها كثير من القراء، فاللغة السواحيلية على الرغم من كون اسمها مشتقا من كلمة عربية ومع كثرة عدد الألفاظ الدخيلة فيها من اللغة العربية، هى لغة من لغات البانتو التى تختلف فى خصائصها عن اللغات السامية واللغات الأوربية من جوانب كثيرة، تصنف اللغة السواحيلية الأسماء طبقا لنظام السوابق، فيها مثلا مجموعة تبدأ فى المفرد بالصوت m فى المفرد وفى الجمع بالمقطع wa، فوجود هذه الميم فى أول الاسم المندرج فى هذه المجموعة دليل على كونه مفردًا، ووجود المقطع wa علامة على كونه جمعا، وعلى هذا فكلمة mtoto تعنى طفلا، وكلمة watoto تعنى أطفالا. وهنا نلاحظ أن

الأصل toto هو مجرد صيغة ذهنية مفترضة ليس لها وحدها وجود مباشر، أما الصيغ الحقيقية المدركة فتظهر من هذا الأصل مصحوبة دائما بالسابقة الدالة.

ونظر في مجموعة أخرى من الأسماء في اللغة السواحلية أيضاً، فبها أسماء تبدأ في المفرد بالمقطع ki وفي الجمع بالمقطع vi، فوجود ki في أول اسم منها دليل على كونه للمفرد، وعلى هذا فكلمة kitu تعني بالعربية "شيئا"، وأما "أشياء" فهي vi-tu، وينبغي أن نتوقف قليلا عند الأمثلة السابقة لنوضح فكرة "الوحدة الصرفية" أو المورفيم، فعندما نستبدل بالسابقة m السابقة wa في المثال الأول، أو بالسابقة ki المقطع vi في المثال الثاني نكون قد عبرنا عن دلالة جديدة هي الجمع، وبهذا يصبح إحلال علامة محل أخرى تعبيراً للمعنى بوسيلة صرفية، وهنا نتحدث عن السواحلية قائلين أن ki ،wa , m مورفيمات أووحدات صرفية.

ونظر بعد هذا في العربية لنلاحظ مثلا وجود وحدات صرفية تدل على التعريف والتنكير، فإذا قلنا "الولد" كنا قد دللنا على التعريف بالسابقة "الـ" وعلى التنكير بنون التنوين. قد يتصور بعضنا أن تصنيف الأسماء بين نكرة ومعرفة يعكس قسمة عقلية لا تستقيم أمور اللغة الإنسانية بدونها، وفي هذا نظر، فهناك لغات كثيرة لا تعرف تمييزا بين نكرة ومعرفة، منها مثلا اللغة التركية، فكلمة ev تعني المنزل أو منزل دون دليل فيها على تنكير أو تعريف. وقد يجد أحدنا من المنطق أن تكون للتعريف في اللغة الواحدة أداة واحدة هي مثلا "الـ" في العربية و the في الانجليزية. ولكن ننظر مثلا في اللغة الألمانية نجد وحدات متعددة تدل على التعريف أو على التنكير، فالتعريف يظهر في الرفع بإحدى الأدوات التالية der للمذكر، das للمحايد، die للمؤنث، die للجمع، وكل هذه الأدوات في حالة الرفع، ولو شئنا الجدول كاملا لذكرنا أدوات أخرى للمنصوب ومجموعة ثالثة للمجرور بحرف ومجموعة رابعة للمجرور بالإضافة، وليس في هذا دليل سمو أو ضعف. فعلم اللغة يقرر الحقائق الموضوعية ودون أحكام تقويمية، ولا شك أن تنوع أدوات التعريف والتنكير في

الأمانية بسبب ضيقا شديداً لمن استقر في ذهنه النمط العربي لأداة التعريف العربية، فهي وحدة لا تتغير بغض النظر عن كون الاسم مذكراً أم مؤنثاً، مفرداً أم مثنى أم جمعا، مرفوعا أم منصوبا أم مجروراً، وهذا فرق بين نمطين متغايرين للغتين مختلفتين.

وتختلف اللغات في التعبير الأعرابي إيجاباً وسلباً، فهناك لغات كثيرة تفرق بين ثلاث حالات مثل العربية والأكادية في العراق القديم، وقد أطلق النحاة على هذه الحالات الثلاث اسم المرفوع والمنصوب والمجرور، وهناك لغات تفرق بين أربع حالات إعرابية مثل الألمانية، وقد أطلق النحاة على هذه الحالات أسماء مختلفة تقابل في العربية: الرفع Nominativ، والنصب Akkusativ، والجر Dativ والإضافة Genetiv. ونتحفظ هنا في الترجمة إذ إن النصب في الألمانية لا يقابل دائما النصب في العربية، ويمكن مثلا أن نسمي هذه الحالات : الحالة الأولى، الحالة الثانية، الحالة الثالثة، الحالة الرابعة، فنتجنب بذلك إيحاءات غير دقيقة وهناك لغات تعرف حالات أكثر تنوعا، فالتركية مثلا تعرف الحالة المكانية Lokativ وتعرب عما نعبر عنه في العربية بالجار والمجرور، فمثلا ev معناه منزل، evde تعني (في المنزل). فهل نقول بأن هذا النمط يفضل ذلك النمط أم العكس؟ واللغة الانجليزية لا تعرف تمييزا بين حالات إعرابية، ولو جاز لنا أن نخضع سمات من النمط العربي على الانجليزية لقلنا بأن الإنجليزية لا تعرف نصبا ولا رفعا ولا جرا. وفي اللهجات العربية الحديثة نجد حالة النصب في تعبيرات بعينها، مثل دايما، شكراً، أهلاً، ولا نجد بعد هذه العبارات تمييزاً في المفرد بين المرفوع والمجرور، وأما في الجمع المذكر فقد استقر الأمر بضياع التمييز بين المرفوع والمنصوب والمجرور.

ثانياً : الأصول اللغوية بين الثنائية والثلاثية :

كان نحاة القرن الثاني الهجري أقدم من حاول تصنيف أبنية المفردات في اللغة العربية وبحث أصولها وتحديد أوزانها. وفي كتاب سيبويه ـ وهو أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي ـ جهد كبير في بحث الأنماط الصرفية، وفيه نجد فكرة الميزان

الصرفى الذى كان مفتاح فهم طبيعة بنية الكلمة لا فى العربية فحسب بل فى اللغات السامية الأخرى أيضاً.

وتقول هذه الفكرة بوجود حروف أصول وحروف زوائد، الحروف الأصول يرمز لها فى الميزان الصرفى بحروف الفاء والعين واللام، وحرف الزيادة هو ما يأتى بالإضافة إلى الحروف الأصول. فإذا قارنا بين الكلمات "كتب وكتب ويكتب ومكتوب وكتابة ومكتب ومكاتبة "لاحظنا ارتباط فكرة ما بالكاف والتاء والباء بهذا الترتيب. وكى نوضح هذا نقول: أن المادة "كتب" ليس لها وجود مباشر فى الواقع اللغوى، ولابد من وضع حركات بين الكاف والتاء، وبين التاء والباء كى نحصل على صيغة الفعل الماضى، ولو تصورنا أن الأصل هو هذه الصيغة كاملة بصوامتها وحركاتها لكنا فى وهم، المشترك فى هذه الكلمات تلك الحروف الأصول، كما يقول النحاة، وهى الكاف والتاء والباء على ذلك النحو التجريدى الذى ليس له وجود مباشر.

قال أكثر النحاة العرب بثلاثية الأصول، ورمزوا لهذه الأصول الثلاثة بالفاء والعين واللام، ويرمز إلى ما قل أو زاد عن ذلك فى وزن الكلمة، فكلمة "كتب"، بوزن فاعل، وكذلك قائل، حالق، ماهر. عرفنا هذا بالمقابلة بين مفردات كثيرة بها الكاف والتاء والباء، وزدنا بين الفاء والعين فتحة طويلة وبين العين واللام كسرة، وهكذا حددنا هذا الوزن، أما كلمة : مُرْ وكلمة: عِد وكلمة: بِع وكلمة: قُل "فأوزانها على التوالى، عُلْ، عِلْ، فِلْ، فُلْ، وذلك باعتبار أن فاء الفعل أو عين الفعل قد سقطت وهو ما عرفناه كذلك بالمقابلة بين كلمات من المادة نفسها، مثل "أمر ويأمر وأمر..... الخ". هذا هو منهج النحاة العرب فى تحديد الحروف الأصول ومقابلة الزيادة والنقص فى الميزان الصرفى.

وعندما بدأ البحث المقارن فى اللغات السامية زاد مجال المقابلة، فاتضحت أشياء خالفت فى بعض الحالات الرأى الشائع عند جمهرة النحاة العرب، ولنظر معا فى بحث اللغوى العربى الرائد الخليل بن أحمد الذى كان صاحب فكرة الميزان

الصرفي في العربية مقارنين طرقه بجهد علماء المقارنات في أمثلة بعينها. فقد لاحظ الخليل أنه قد جاءت أسماء لفظها على حرفين وتمامها على ثلاثة أحرف، مثل: "يد، ودم وفم". فالخليل يتجاوز الثنائية التي تبدو في هذه الكلمات ليحاول دراسة الكلمات المعروفة من المواد نفسها لتحديد حروفها الأصول، ومنهجه واضح في هذا فهو يقول: "فإذا أردت معرفتها فاطلبها في الجمع والتصغير" وهنا نلاحظ مثلا أن كلمة يدٌ وردت إلينا في كلمات أخرى مثل أيديهم، ويديّه (بتشديد الياء الثانية وفتحها). وهنا يلاحظ الخليل أن هذه الكلمة لابد أن أصولها ثلاثية، وأنها تكونت في الأصل من الياء والدال والياء، فهي على هذا ثلاثية الأصول وما يبدو منها في كلمة "يد" ليس كل الأصول بل يظهر حرفان أصليان من ثلاثة. وشبيه بهذا ما فعله الخليل بن أحمد في دراسته لكلمة "دم". فقد لاحظ وجود صيغ من هذه المادة وبها أصوات ثلاثة عدت له هي الحروف الأصول، ودرس الخليل كذلك "فم"، ولاحظ التثنية: "فموان" والجمع: "أفواه"، فاستقر لديه أن الأصل هنا ثلاثي مكون من الحروف ف م و.

غير أن البحث اللغوي المقارن في القرن التاسع عشر انطلق من مادة أكثر فأدى إلى نتائج مغايرة، فقد قارن اللغويون اللغات السامية والمحيطة، ومنها العربية والعربية الجنوبية والحبشية والعبرية والفينيقية والآرامية والأكادية بحثا عن الشكل الأقدم الذي خرجت منه هذه اللغات، فانتهى البحث بهم إلى أن اللغات السامية تعرف الأصل الثلاثي أساسا لأكثر المفردات، ولكن عددا منها قد تكوّن عن أصل ثنائي، وقد أقر نولدكه في دراسة له عن الأسماء الثنائية في اللغات السامية أن أسماء مثل: "يد، ودم، أم" من هذه الثنائيات المعرقة في القدم، وأن تلك الصيغ التي تبدو من هذه المواد وكأنها ثلاثية تفسر باعتبارها تمثل اتجاها في التعبير نحو الثلاثية. بل وظهر باحثون يقولون بالأصل الأحادي لكلمة "فم"، فالأصل في رأيهم هو تلك الفاء التي تظهر عنصرا مشتركا في كلمات هذه المادة في اللغات السامية، وهي تظهر مثلا في الكلمة العربية التي رددتها كتب النحو العربي في تناولها للأسماء الستة، وهي كلمة

(فو فا في) رفعا ونصبا وجرا، فهي تتكون من هذه الفاء وقد لحقتها حركة الإعراب صوتية. وهكذا أظهر البحث الحديث تعديلا للفكرة الأصل الثلاثي التي سادت عند جمهرة النحاة.

أدت النظرة الحديثة في أنماط عربية كثيرة إلى إيضاح ثنائية الأصول لعدد آخر من الكلمات. ولنقارن مثلا كلمة "استخف" التي تبدو لأول وهلة بوزن "افتعل" بكلمة "خف" التي تبدو أول الأمر تعديلا طفيفا بوزن فعل "يفعل". وبالفعل "استخف" نلاحظ علاقة دلالية وعلاقة اشتقاقية، فاللغات السامية تجعل من الثقل احتراما ورجاحة عقل وقديما قالوا "أحلامهم تزن الجبال رزانة"، وتجعل العربية الاحترام من مادة "ك ب د" الدالة على الثقل والرزانة والكبد للمشاق، وعلى العكس من هذا نجد الخفة والسخف والاستخفاف، وهنا نلاحظ أن المادة الأصلية لكلمتي "سخف، خف" لا بد أن تكون واحدة، هي الخاء والفاء. الأصل على هذا ثنائي وسع عندما كانت اللغات السامية تستكمل ملامح الثلاثية، وذلك بإضافة السين فتكونت كلمة "سخف" وتضعيف الفاء، فتكونت كلمة "خف" ومثل هذا يلاحظ بمقارنة كلمة "سكب، كب" في الفصحى والعامية؛ فالدلالة واحدة والاشتقاق واحد، كلتاهما من أصل واحد هو الكاف والباء، ثم وسعت الصيغة الثنائية الأولى بالسين فظهرت كلمة "سكب"، وبتشديد الباء كلمة "كب"، فإضافة السين والتضعيف وسيلتان توسلت بهما اللغات السامية في استكمالها لملامح الثلاثية في بناء الكلمة.

وهناك ألفاظ أخرى يتضح منها الأصل الثنائي وقد وسع بالنون، ولنقارن الكلمات "ذل، نذل" فنلاحظ أن من أذل نفسه فهو نذل، ويتضح لنا من هذه الأمثلة أن الأصل الكامن وراء هذه الكلمات كان ثنائيا مكونا من الذال اللام، ثم وسع هذا الأصل الثنائي بطرق مختلفة منها إضافة النون، فتكونت كلمة "نذل". ومثل هذا نلاحظه في : "قص ونقص" فقص الشعر إنقاص له وقص القماش كذلك، والأصل ثنائي وسع هنا بالتشديد وهناك إضافة النون، وهذا ما نجده أيضا إذا قارنا: "جس

وتحس'، فلمس بعض الأشياء- في تصور ما يحس بلامسها أو لشيء، وواضح أن الاشتقاق واحد، وقد وسعت المادة بالتضعيف هنا وبإضافة النون هناك. وهكذا اتخذت العربية وسائل مختلفة لتكون كلمات فيها محوة إياها من الثنائية الأولى إلى الثلاثية الشائعة.

وربما لا يخطر ببال العارفين بكتب النحو أن هناك وزن يطلق عليه في علم اللغة المقارن وزن شَفْعَل أو سَفْعَل وأن هذا الوزن هو وزن التعدية القياسي في بعض اللغات السامية. أمثلة ذلك الكلمات شعلق وشقلب وسهمد، نعرفها في اللهجات العربية. وقد نتصور لأول وهلة أنها كلمات مستحدثة. والواقع أنها ليست كذلك بل هي رواسب وزن استخدم قديما في اللهجات العربية الجنوبية القديمة التي وصلت من القرن الخامس قبل الميلاد فصاعدا. أن العربية الشمالية لا تعرف هذا الوزن وتستخدم للتعدية في مقابل ذلك عدة أوزان مثل أَفْعل وفَعَّل (بالتشديد)، ونحن لا نستخدم في العربية الفصحى الفعل شعلق بل عَلّق، ولا نستخدم شقلب بل نقول قَلَّب، ونقول مَهَّد بدلا من سهمد. والسين والشين هنا وهناك ليستا أصليتين بل هما من أحرف الزيادة. وهذا الوزن من أقدم الأوزان التي عرفتها اللغات السامية، ويفيد التعدية أي تكون فعل متعد.

ثالثاً : الأبنية الصرفية وتنمية المفردات

تناولت مجموعة قرارات أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة قضية "الاشتقاق، وقد أكد المجمع بهذه القرارات أن الحياة المعاصرة تتطلب اشتقاق كلمات لم ترد في المعاجم العربية ويمكن صياغتها بعدة وسائل لغوية. كان اللغويون العرب في عصر الحضارة الإسلامية قد سجلوا عدة ضوابط للاشتقاق. فأضاف المجمع إلى هذه القواعد قرارات فتحت مجال الاشتقاق لتكوين أنماط جديدة. كان قرار المجمع بجواز الاشتقاق من أسماء الأعيان منطلقا جديدا، لا يجافي روح العربية على الرغم من عدم ذكر النحاة الأقدمين له، فقد تصور جمهور النحاة أن الاشتقاق يصدر من الفعل

فحسب فأثبت المجمع أنه يصدر أيضا من الاسم، وأجاز اشتقاق صيغ جديدة وفق ضوابط واضحة. وتتلخص أهم قرارات المجمع في الاشتقاق في قضايا : المصدر الصناعي، وقياسية أوزان المصادر، والصفة المشبهة ، واسم الآلة، وصيغة النسب، وقياسية أبنية الأفعال.

(أ) المصادر :

(١) المصدر الصناعي صيغة عرفتها العربية في عصر الحضارة الإسلامية في كلمات مثل : الشعوبية، وكان قرار مجمع اللغة العربية حول المصدر الصناعي إقرارا صريحا بصحة كلمات كانت قد وضعت في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، فالطهطاوي يتحدث عن البدائيين ويصفهم بكلمة (السذجية)، وشبلي شميل يذكر (الانسانية)، و(الحيوانية)، و(الجاذبية) . وتتكون صيغة المصدر الصناعي من الكلمات بإضافة ياء النسب والتاء. وقد أصبحت هذه الصيغة شائعة في العربية الفصيحة المعاصرة للدلالة على المذاهب والتيارات والآراء. تكونت هذه الصيغة عند العرب المعاصرين بإضافة النهاية إلى أنواع مختلفة من المفردات منها .

- (اسم جمع + يه) ، مثلا : قومية، جنسية، شعبية.
- (مصدر + يه) ، مثلا : تقدمية ، اشتراكية، تعاونية، انهزامية.
- (اسم فاعل + يه) مثلا : عاطفية ، جاذبية.
- (كلمة مركبة + يه) ، مثلا : فيدرالية ، كلاسيكية ، رومانسية.

وفي كل هذه الصيغ نجد العربية الفصيحة أفادت من هذه الإمكانية التي عرفها الاستخدام القديم بشكل محدود، وأجازها المجمع، وأصبحت صيغها شائعة في الكتابات المعاصرة في العربية العربية الفصحى.

(٢) أقر مجمع اللغة العربية قياسية أوزان المصادر للدلالة على معان محددة، وبهذا ارتبطت الصيغة بالدلالة على نحو مباشر في هذه القرارات:

- ورن (تَفَاعُل) للمساوة و لاشتراك، مثل: تبادل، تحارب، تخاصب، تدخُل، تكامل، تصارُع، تعارُض، تعاوُن، تعايُش.

- ورن (فْتِعَال) للدلالة على المطاوعة، مثل: التهاب، ابتكار، جتماع، حتكاك، احتكار، احتماس، احتزان، رتحال.

- ورن (فعِيل) سدلالة عىى صوت، مثل: صَهيل، زَئير، نَحيب، عوِيل.

- ورن (فِعَالَه) سدلالة عىى الحرفة أو شبهها، مثل: نجارة، سِمَاكة، صِاعة.

- ورن (فَعلان) للدلالة عىى التقلب والاضطراب، مثل. غَلَيان، خَفَقان، هذيان.

- ورن (فُعال) للدلالة عىى امرض، مثل: صُدَاع، هُزَال، كُسَاح.

(٣) أقر مجمع اللغة العربية جواز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه، ونجد فى لاستخدام المعاصر صيغاً كثيرة لجمع مصدر، منها: تحليل / تحليلات وتحاليل، تدريب تدريبات، إرشاد إرشادات، انتخاب انتخابات، اشتراك / اشتراكات، ستنتاج / استنتاجات، إعانة / إعانات.

(ب) المشتقات والأبنية الأخرى للأسماء:

(١) أقر مجمع اللغة العربية قياسية اشتقاق ورن (فعّال) للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشئ وفى هذا استمرار للعرف اللغوى السائد فى كلمات مثل: نجار، حداد، خباز.

وأضاف قرار المجمع بعد هذا: إذا خيف لبس بين صانع الشئ وملازمه كانت صيغة فعال للصانع وكان النسب بالياء لغيره. فيقال: زَجّاج لصانع الزجاج، وزجاجي لبائعه. ويبدو أن العنصر الأخير من القرار لم يقبل فى الاستخدام الحديث إلا بشكل محدود، وحل محله فى المثال المذكور المضاف والمضاف إليه: بائع الزجاج.

(٣) أقر المجمع - انطلاقا من استخدام وزن (فعّال) - صيغة (فعّالة) اسما للآلة باعتبار أنها تقوم بالشئ على نحو مطرد ويتفق هذا القرار مع العرف اللغوى السائد: غسّالة، دبّاسة.

وفوق هذا فقد درس المجمع الصيغ الواردة في الاستخدام اللغوى القديم للدلالة على الآلة. وأقر وجود الأوزان التالية لاسم الآلة: فِعَال، فَاعُول، وبهذا كله أضاف المجمع هذه الأوزان التي لم تنص عليها كتب الصرف إلى الأوزان الأخرى. وبذلك أصبح لاسم الآلة من الصيغ التالية:

١) مِفْعَل	مبرد	أوزان نصت عليها كتب الصرف
٢) مِفْعَلة	مقصلة	
٣) مِفْعال	مشار، ميزان	
٤) فعالة	سَمَّاعة	
٥) فعال	حزام، رباط	أوزان أقرها المجمع
٦) فاعلة	ساقية	
٧) فاعول	ساطور	

(٣) أقر المجمع صحة صيغة النسب إلى الجمع. وكان نحاة البصرة قد ذهبوا إلى أن صيغة النسب لا تكون إلا من صيغة المفرد ولكن الاستخدام القديم عرف - أيضا - تكوين صيغة النسب من الجمع، مثل: شعوبى، أنصارى، ملوكى، أصولى. وقد عرف الاستخدام العربى الحديث صيغتى (دَوْلى) نسبة إلى المفرد - من ناحية الصيغة، و (دُوَلى) نسبة إلى الجمع وكلا الاستخدامين صحيح فى رأى المجمع. واستقرت الصيغة القياسية القديمة في مصر، ويميل الاستخدام فى بعض الدول العربية إلى الصيغة الأخرى بالنسب إلى الجمع.

(٤) أقر مجمع اللغة العربية جواز دخول (أل) على حرف النفى المتصل بالاسم واستعماله في لغة العلم. وفى هذا إقرار لصحة صيغ قديمة مثل: اللا أدرية. وقد

تكونت في الاستخدام العربي الحديث عدة صيغ على هذا النحو: اللاهوائي - اللاسلكي، اللاوعي، اللاشعور... الخ.

(جـ) قياسية أبنية الأفعال:

(١) كان قرار مجمع اللغة العربية بخصوص وزن (فَعَّل) لإفادة التعدية أو التكثير ، السبب أوالسلب أو لوصف الحدث إقرارا لكثير من الصيغ المستخدمة، وانطلاقا نحو صيغ أخرى، مثل: حصر، شخص، جسم، حلل، شرع.

وأقر المجمع - أيضا - صياغة وزن (فعْلل) من أسماء الاعلام الأجنبية والكلمات الدخيلة عموما، وبهذا أقر المجمع: (بستر) من باستير Pasteur، (وبلشف) من البلشفية، و (تلفن) من التليفون، و (فبرك) من الفابريكة أى المصنع، و (جبس) من الجبس.

وأجاز المجمع كذلك صحة صيغة (قَيَّم) باعتبارها وزن فعل من القيمة وذلك للتمييز بين (قَيَّم) أى عرف أو حدد القيمة، وبين (قَوَّمَ) أى أصلح أو عدل. ويتضح الفرق الدلالي بين الفعلين بمقارنة: قَيَّم التمثال، قَوَّم التمثال.

وبهذا كان قرار المجمع بصحة صيغة (فَعَّل) غير مشروط بوجود وزن (فَعَل) من نفس المادة، فالاشتقاق جائز من الاسم العربي أو الأجنبي.

٢) أجاز المجمع قياسية وزن (استفعل) للاتخاذ والجعل، مثل: استبعد، استهدف، وكذلك لإفادة الطلب والصيرورة، مثل: استخرج، وفي هذا إقرار للعرف القديم مع جواز الاشتقاق القياسي منه.

٣) أقر المجمع قياسية أوزان المطاوعة على النحو التالي.

- الفعل الثلاثي مطاوعه افتعل، إذا كانت فاء الفعل (ل / مـ / ن)، مثل (نصف: انتصف).

ـ الفعل الثلاثي مطاوعة انفعل، إذا كانت فاء الفعل أى حرف آخر، مثل: (جذب: انجذب).

ـ وزن (فَعَّل) مطاوعة تفعل (قرب : تقرب)

ـ وزن (فاعل) مطاوعه تفاعل (صارع : تصارع).

ـ وزن (فعلل) مطاوعه تفعلل (دحرج : تدحرج).

ويرجع اهتمام المجمع بأوزان المطاوعة إلى أنها شاعت فى الاستخدام العربى منذ قرون، بدلا من صيغ المبنى للمجهول التى قل استخدامها فى الفصحى بعد أن انتهى من اللهجات. وفى كل هذه القرارات الخاصة بالاشتقاق كان مجمع اللغة العربية يعتمد على بحث الاستخدام اللغوى القديم ويضع القاعدة تسجيلا للعرف القديم وانطلاقا منه تيسيرا للاستخدام الحديث.

الفصل السابع

بناء الجملة

أولاً : مفهوم النحو :

بناء الجملة أو النحو أو تركيب الجملة مصطلحات مألوفة في الكتابات المعاصرة للدلالة على مفهوم واحد، يتصل بالقواعد التي تحدد نظام الجملة في اللغة، وتجعلها قادرة على أداء المعنى الذي يريده المتحدث أو الكاتب فيصل إلى المستمع أو القارئ. ومفهوم النحو طبقاً لهذا المعنى مألوف عند أعلام النحو العربي، وعلى الرغم من أن النحو عند جمهور النحاة اقتصر على ضبط النهايات الإعرابية، كما نجد عند بعض النحاة المتأخرين في مؤلفاتهم المدرسية الصغيرة. قضايا النحو عند أبي سعيد السيرافي (المتوفى سنة ٣٦٨هـ) مقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وتأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك".

وهنا نجد - أيضاً - بداية استخدام مصطلح "معاني النحو" الذي عده النحاة من مجالات عمل النحوي، وطوّره البلاغيون إلى "علم المعاني". والسكاكي عرّف النحو بأنه "كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها". والنحو هنا يبحث "تأليف الكلام" أو "تركيب فيما بين الكلم"، وبهذا فإن البحث النحوي يعني التوصل إلى القواعد المفسرة لنظام تأليف الكلمات أو تركيب الكلمات في الجملة، حتى تؤدي المعنى المراد طبقاً لنظام اللغة.

الفكرة الأساسية لتحليل تركيب الجملة تنطلق من فكرة أساسية : ممارسة المتكلم أو الكاتب لغة ما تعني وضع الكلمات في تتابع مناسب للتعبير، ويكون هذا التتابع طبقاً لقواعد المتجة لأنماط بناء الجملة. وينطبق على البحث في بنية اللغة على

مستوى التراكيب مصطلح النحو أو علم التركيب أو علم التراكيب أو قواعد الجملة، وليس كل تتابع في كلمات اللغة يؤدي إلى جمل صحيحة، فكل كلمة من كلمات الجملة قد تكون صحيحة في نفسها، ولكن تركيب هذه الكلمات قد يكوّن جملة صحيحة طبقاً للمتعارف عليه في الجماعة اللغوية وقد لا يكوّن أية جملة مقبولة ومفهومة عند أبناء الجماعة اللغوية وقد لا يحمل أي معنى على الإطلاق. وكان سيبويه قد لاحظ أن أنماط المفردات قد تكوّن جملة سليمة من حيث التركيب والمعنى، وعبر عن هذا المفهوم بعبارة : 'المستقيم الحسن'، مثل : أتيتك أمس وسآتيك غداً. هنا نجد تتابع الكلمات لتكوين الجملة صحيحاً، ونجده في الوقت نفسه استخدم صيغة الفعل الماضي للتعبير عن الزمن الماضي مع كلمة أمس، كما نلاحظ استخدام السين الفعل المضارع للتعبير عن المستقبل مع كلمة غداً.

وفكرة الاهتمام بالمعنى الذي يحمله التركيب أصيلة في التراث النحوي. خصص سيبويه باباً في بداية كتابه عن الاستقامة والإحالة. وهنا نجد تناولاً مهماً لقضية مدى العلاقة بين صحة التركيب نحوياً ومدى استقامته لأداء المعنى. الكلام المستقيم الحسن يكون مستقيماً من الناحية النحوية وحسناً من الناحية الدلالية. أما الكلام المحال فهو الكلام الذي يبدو تركيبه النحوي سليماً، كأن يكون التركيب مكوناً من فعل وفاعل ومفعول به وظرف زمان، ولكن هذا التتابع الصحيح نحوياً قد لا يحمل أي معنى على الاطلاق لأن كلماته متناقضة دلالياً، مثل : أتيتك غداً، أو سآتيك أمس. والتناقض هنا بين فعل دال على الماضي وظرف زمان للمستقبل في المثال الأول، وبين فعل دال على المستقبل وظرف زمان دال على الماضي في المثال الثاني. وفي تصنيف سيبويه للجمل من حيث الاستقامة والإحالة نجد أيضاً نوعاً ثالثاً وهو المستقيم القبيح، مثل : قد زيداً رأيت، كي زيداً يأتيك. وهنا نجد تتابع الكلمات لا يتفق وقواعد بناء الجملة العربية. ومن هنا كان فكر سيبويه النحوي يربط بين قواعد التركيب، وينظر أيضاً في مدى اتفاق المكون الدلالي ونسق قواعد التركيب.

ثانياً : مفاهيم أساسية :

تكونت على مدى القرون مفاهيم أساسية للتحليل النحوي نجد عدد منها في التراث النحوي العربي. ومن أهم هذه المفاهيم ما يأتي :

١- لكل موقع نحوي صيغ صرفية خاصة به، ومعنى هذا مثلا أن ما بعد حرف الجر في العربية يكون اسما، ولا يكون فعلا. حروف الجر تدخل على الأسماء وبهذا نجد في العبارة: في المدرسة، أو في العبارة: مع أحمد، أن ما بعد حرف الجر هو اسم. وبغض النظر عن كون اسم العلم أحمد له صيغة تشبه صيغة الفعل المضارع من الفعل حمد، فإن وروده بعد حرف الجر يقضي بكونه اسما، وهو هنا اسم علم.

٢- بعض التراكيب النحوية تتكون من مكونين متلازمين. كل مكون منهما يتطلب وجود المكون الآخر، من ذلك: المبتدأ والخبر، إنّ واسمها، ولن والفعل المضارع المنصوب، ولم والفعل المجزوم، وحرف الجر والاسم المجرور بعدها

٣- تتخذ الوظائف النحوية للمفردات ترتيبا محددا يُحدده نظام "الرتبة"، أي ترتيب الكلمات في النمط الأساسي للجملة. مثال ذلك الجملة الفعلية، الترتيب الأساسي فيها: الفعل + الفاعل + المفعول به. وفي حالة عدم ظهور العلامة الإعرابية تكون الرتبة حاسمة لبيان الوظيفة النحوية : زارت سلوى منى، بعد الفعل يكون الفاعل وبعد الفاعل يأتي المفعول به. وتحدد الرتبة - أيضاً - وجود المعطوف عليه قبل حرف العطف والمعطوف، ووجود الموصوف قبل الصفة.

٤- إذا أُمن اللبس أمكن التحرر من الرتبة في حالات محددة، وذلك - على سبيل المثال - في الجملة الفعلية: ﴿ **إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ**﴾. وهنا تكون العلامة الإعرابية مهمة لتحديد المعنى، فالمرفوع هو الفاعل والمنصوب هو المفعول به.

٥- ترتبط الحالة الإعرابية بالمعنى الوظيفى للأداة، فإذا تغير المعنى الوظيفى تغير الأثر الإعرابى. مثال ذلك: الواو فى العربية للعطف يكون لما بعدها حكم ما قبلها رفعا أو نصبا أو جرا ولكن الواو قد تكون للمعية، أى معه مفعول معه. وذلك مثلاً فى سرتُ والنيلَ، ولا يجوز أن تكون الواو هنا عاطفة لأن الفاعل هنا لا يمكن عطفه على النيل فيكون مرفوعا. الواو هنا للمعية وما بعدها مفعول معه منصوب.

٦- يجوز حذف أحد أركان الجملة عند إمكان الاستغناء. ذلك واضح – على سبيل المثال – فى جمل الإجابة عن السؤال، فتكون الإجابة عن المسئول عنه مباشرة، دون ضرورة عمل جملة كاملة ظاهرة. ﴿**وقيل الذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا**﴾ السؤال هنا: ماذا أنزل ربكم؟ والإجابة : خيرا، أى أنزل ربنا خيرا. المحذوف هنا الفعل والفاعل مع المضاف إليه، والمعنى واضح، لأن السؤال كان عن المفعول به. ومن أنماط الحذف أيضا خبر الجملة الاسمية بعد لولا، فالأداة لولا تتضمن من حيث المعنى عدم وجود الخبر، وبهذا فإن الآية ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**﴾. دفع مبتدأ وخبره محذوف وجوبا، وكذا كل مبتدأ وقع بعد لولا، والتقدير : ولولا دفع الله الناس موجود (شذور الذهب ص ٣٦)

٧- تكامل عناصر الجملة ضرورى، وأركان الجملة، إذا لم تكن كلها ظاهرة وجب تقدير غير الظاهر منها. فعل الأمر لابد له من فاعل يوجه إليه الأمر، ومعنى هذا إذا قلنا : كتب ! كان التقدير اكتب أنت، الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت. والفاعل هنا مستتر وجوبا، أى لا يجوز ظهوره، ولكن تكامل الجملة بمعنيه يجعل النحوى يبحث عن فاعل، يوجه إليه الأمر ليقوم بالفعل.

ثالثاً : المادة اللغوية :

اقتصر التحليل فى التراث النحوى العربى على مادة لغوية مأخوذة من مراحل محددة فى تاريخ العربية. يدل مصطلح 'السماع' عند النحاة وفى علم أصول النحو

على المادة اللغوية الموثوق بصحتها أي بسلامتها وبكونها تمثل العربية الفصيحة. ويتضح من النظر في كتب النحو من كتاب سيبويه إلى كتب السيوطي أن المستويات اللغوية للشواهد النحوية ارتبطت بنظرية الفصاحة، فثمة مستويات يوثق بها وأخرى لا يوثق بفصاحتها وتستبعد عند البحث وعند استخراج القاعدة النحوية. وأول هذه المستويات اللغوية التي يوثق بفصاحتها وسلامتها النص القرآني. وفي هذا الصدد يقول السيوطي: "أما القرآن فكلما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يجز القياس عليه كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه". وهذا النص يوضح موقفا عاما، ويذكر القراءات القرآنية كلها ويبين أهميتها في الدراسة النحوية ففيها مادة لغوية ممتدة، جعلت لغوي مميز وهو ابن جني (المتوفى ٣٩١هـ) يخصص للقراءات كتابا كبيرا هو المحتسب تضمن تحليلا لعدد كبير من القراءات التي تتجاوز ما اتفق الرأي على تصنيفه من القراءات السبعة.

ولهذا كتب السيوطي عن موقف النحاة من القراءات: "كان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية، وينسبونهم إلى اللحن، وهم مخطئون في ذلك، فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية، وقد رد المتأخرون، منهم ابن مالك على من عاب عليهم ذلك بأبلغ رد واختار جواز ما وردت به قراءاتهم في العربية" وهذه القضية ينصب تحتها في كل موضع نحوي مراعاة الوحدة والتنوع في القراءات وملاحظة مواقف النحاة منها في وضع القواعد أو القياس عليها، وهي في كل الحالات - مصدر مهم للدرس النحوي. يعد الاستشهاد بنصوص الحديث سوى من أدق المسائل المنهجية في التحليل النحوي، "إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في

إثبات القواعد الكلية'. وظل النحاة بعد ذلك يدورون في فلك الشواهد التي تداولها النحاة المبكرون، فكانت الإضافات محدودة، وفي هذا السياق دخلت شواهد حديثية ولكنها ظل قليلة بالمقارنة بالشواهد القرآنية والشواهد الشعرية.

تضم كتب النحو عدة آلاف من الشواهد الشعرية، وترجع هذه الشواهد إلى العصر الجاهلي والقرنين الأول والثاني للهجرة. وكانت الشواهد في كتاب سيبويه في صياغته الأولى غير منسوبة إلى أصحابها، ولكن الحاجة إلى نسبتها تحتمت وبدأ أبو عمر الجرمي في تحديد قائليها. ظلت الشواهد النحوية المتداولة تتكرر في كل كتب النحو، فقد قصروا الاستشهاد على 'عصور الاحتجاج' ورفضوا ما بعد ذلك، وكان موقف النحاة هنا أنهم' أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين'. وهذا المبدأ طبق في كل كتب النحو وشذت في هذا الصدد استثناءات مشهورة ومعدودة، قيل: أول الشعراء المحدثين بشار بن برد، وقد احتج سيبويه في كتابه ببعض شعره تقربا إليه، لأنه كان هجاه بترك الاحتجاج بشعره، وثمة أبيات أخر لشعراء عباسيين، منهم المتنبي ولكن ندرة هذه الأبيات جعل بعض النحاة يبرر وجودها بأنه للتمثيل وليس للاستشهاد، فالقاعدة النحوية قامت على شواهد أخرى، ولكن هذه الأبيات أمثلة توضح القاعدة. وهكذا ظل المبدأ العام عند النحاة في الاستشهاد تحكمه عبارة الأصمعي: 'ختم الشعر بابراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج'. وهذه العبارة لها دلالتها الزمنية والمكانية، فابن هرمة ولد سنة ٩٠ للهجرة وتوفي بعد سنة ١٥٠ للهجرة، أي أن حياته تمتد حتى منتصف القرن الثاني الهجري، وكان أكثر مقامه في المدينة المنوّرة، ويعد بذلك من شعراء الجزيرة العربية.

ترد في كتب النحو عبارات من كلام العرب، وهذه المادة ترد في أغلب المواضع غير منسوبة إلى قبيلة محددة، وتنسب أحيانا إلى لغة معينة أي إلى لهجة قبلية. وكانت القبائل العربية الشمالية في نجد وما حولها المصدر الأول عند النحاة لتعرف كلام العرب، وفي صدر هذه القبائل "قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين

عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم" ويلاحظ في الكلمات والعبارات المأخوذة من كلام العرب في كتب النحو عدم الاحتجاج في العربية الفصحى بلهجات أطراف الجزيرة العربية، وعلل النحاة ذلك باختلاط عربية تلك المناطق بلغات مجاورة، خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم". وفي هذا الصدد كانت اللهجات العربية الشمالية، أو "لغات العرب" الفصحاء تعد حجة. قال ابن جني : اللغات على اختلافها كلها حجة وهذا الرأي تعبير عن موقف النحاة من اللهجات العربية البدوية حتى القرن الثاني الهجري، أما في أواخر القرن الرابع الهجري فكانت لهجات البدو قد حدثت فيها تغيرات جعلت ابن جني نفسه يقول :"لانكاد نجد بدويا فصيحا"، والمقصود بذلك الجوانب النحوية في لهجات البدو أما الجوانب المعجمية فكان الموقف منها مختلفا، وقد جمع الأزهري في أثناء أسره في شرقي الجزيرة العربية مفردات كثيرة عن البدو وضمنها في معجمه "تهذيب اللغة". وتدلنا كتب النحو منذ كتاب سيبويه على أن المادة المأخوذة من كلام العرب سمعت وجمعت ودونت في القرن الثاني الهجري ثم تناقلتها كتب النحو على مدى القرون.

لقد اقتصر النحاة على تلك المستويات اللغوية، ومن ثم كان رفضهم للعربية المولدة، أي العربية بعد القرن الثاني الهجري. وفي هذا الصدد كتب السيوطي: "أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة العربية". ومصطلح المولد من أقدم المصطلحات في علوم اللغة، فهذا المصطلح ورد في عبارات تنسب للأصمعي وغيره .كان الأصمعي يقول: "النحرير ليس من كلام العرب، وهي كلمة مولدة". ومصطلح المولد يدل على الكلام المحدث بالقياس إلى عصور الاحتجاج وهو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم، وهكذا نجد التقابل بين "المولد"

من جانب وما يحتج به من الجانب الآخر. ويلاحظ في الأمثلة التي يوردها اللغويون مع تصنيفها بأنه من المولد، أن نسبة منها تتخذ صيغا عربية صحيحة، ولكن الكلمة نفسها لم تعرف في عصور الاحتجاج. ومن ذلك كلمة "جزئية" خلاف القدرية بصيغة المصدر الصناعي. ويعبر بعض المؤلفين عن المولد بكلمة محدث. ومن ذلك كلمة: "الطفيلي لغة محدثة لا توجد في العتيق من كلام العرب كان رجل بالكوفة يقال له طفيل يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها فنسب إليه"، أي أن المحدث يقابل العتيق. وفي عبارة أخرى: "الزَّبُون كلمة مولدة ليست من كلام أهل البادية"

رابعاً : الجملة بين النحاة والبلاغيين :

ورب قائل يقول: أليس هذا هو جهد النحاة العرب؟ وهنا نقول إن البحث الحديث يفيد من كل الجهود العلمية السابقة ويتجاوزها نحو مزيد من الدقة والتفسير. النحاة العرب لهم جهد مشكور في دراسة بناء الجملة، ويكفي أن ننظر في كتاب سيبويه صاحب أقدم مؤلف وصل إلينا في النحو العربي من القرن الثاني الهجري لنجد دراسة قيمة في بناء الجملة العربية.

ولكن أهم فرق يميز البحث الحديث في بناء الجملة عن البحث العربي يكمن في أن الجهد العربي دار - إلى حد بعيد - حول نظرية "العامل"، بينما يضع البحث الحديث هدفه دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن "معنى". وبهذا يعد المعنى عنصراً مهماً في دراسة بناء الجملة. ويوضح هذا بالنظر في بحث النحاة للفعل المضارع بعد "حتى" فقد لاحظوا أنه فعل منصوب، نقول مثلاً: حتى أدخل، أو حتى أخرجَ أو: حتى تعملَ .. الخ. وهنا يمكن أن نقول على نحو وصفي مباشر إن هذا التركيب يتكون من: "حتى + فعل مضارع منصوب" ولكن النحاة طرحوا بعد ذلك السؤال التقليدي عن العامل في كون هذا الفعل المضارع منصوبا. ورب قائل يقول: العامل هو كلمة: "حتى"، فيرفض جمهور النحاة مقررين خطأ هذه المقولة، ويعلل النحاة هذا برأيهم في "العامل" فالعامل عندهم لا يعمل إلا مختصا، فالأفعال لها

عوامها، الأسماء لها عواملها، وليس ثمة عوامل تعمل في الأفعال والأسماء. وهنا يتساءل النحاة: هل "حتى" من عوامل الأسماء أم من عوامل الأفعال، فيقول أكثرهم: إنها من عوامل الأسماء فهي تجر الاسم مثل: ﴿**حتى مطلع الفجر**﴾. وإذا كانت كذلك فلابد من كونها مختصة بالأسماء، أي أنها لا تؤثر إلا في الأسماء، ولا بد أن يكون ما بعدها اسما، وهنا يقول أكثر النحاة: إن التركيب "حتى + فعل مضارع منصوب" ينبغي أن يفسر تقديراً من خلال أنْ المقدرة المحذوفة: أن والفعل المضارع المنصوب في تأويل مصدر مجرور بحرف الجر حتى. إن علم اللغة الحديث يدرس التركيب وصفا له محللا به في اللغة الواحدة أو مقارنا إياه في المجموعة اللغوية، وهنا نقول أن التعميق البحث يتم بأدوات تختلف عن الجدل المنطقي في نظرية العامل والاختصاص.

ولنوضح صيغة جدل النحاة في موضوع العامل بمثال آخر فقد لاحظوا ورود الفعل المضارع منصوبا بعد: كي، لكي، كي لا، لكي لا، كي ما.. وكان من الممكن الاكتفاء في وصف هذه المعادلات البسيطة على غرار: "كي + فعل مضارع منصوب"، ولكنهم طرحوا السؤال حول العامل، والعامل لابد أن يكون واحداً ولا يجوز أن يتعدد، فقام النحاة بعملية تحسيبة معقدة في الآية ﴿**لكي لا يكون على المؤمنين حرج**﴾، أعربوا لكي فجعلوا اللام حرف جر وجعلوا كي والفعل بعدها مصدراً مجروراً باللام، إن مثل هذه الظواهر يبحثها علم اللغة الحديث بأسلوب معادلات تشبه المعادلات الرياضية بتساؤل دائم حول الوظيفة والمعنى والغرض، وفاعلية التركيب في التعبير عن معنى.

وقد أدى اختلاف نظرة اللغويين المحدثين بجملة عنها عند النحاة العرب إلى مباحث لم تنل حقها من الاهتمام في كتب النحو التقليدية، فالشرط مثلا، أو بمعنى أدق "جملة الشرط" لم يدرسها النحاة في باب مستقل برأسه متنوع الأنماط مختلف الدلالات، بل تناولوها ضمن مباحث "جزم المضارع"، فاقتصروا في بحثهم لها على

بحث العامل. فإذا كان التركيب: (إن تكتب أكتب) دار بحثهم حول العامل في الجزم الذي حل بالفعل الأول وبالفعل الثاني، واختلفوا في هذا اختلافاً جزئياً لا يخرج عن هذا الإطار. ولكن أهذا كل ما يمكن أن يبحث في جملة الشرط العربية؟ هناك جمل شرط لا علاقة لها بالمضارع ولا علاقة لها بالجزم. فما مكانها في نظرية العامل التي دار حولها البحث في بناء الجملة عند النحاة العرب؟ ، فنحن نقول: 'إن كتبتَ كتبتُ'، فلا نستخدم فعلا مضارعا بل فعلين ماضيين. وجملة كهذه لا مكان لها بين أنماط جملة الشرط في كتب النحو العربي. ليس لأن هذا تركيب حديث في العربية بل لأن النظرة إلى جملة الشرط في تكاملها في البنية والدلالة نظرة حديثة معمقة. وقد سجل اللغويون المحدثون أنماطاً مختلفة من جملة الشرط العربية، وبعض هذه الأنماط لم يكن موضع اهتمام النحاة العرب، وذلك مثل : (إن + جملة فعلية ذات فعل ماض + جملة فعلية ذات فعل ماض) نحو. (إن قاتلوا قاتلناهم)، أو : (إن + جملة فعلية ذات فعل ماض + جملة فعلية ذات فعل مضارع). مثل : "إن افترقتم لم تجتمعوا بعدها أبداً".

ويزداد الأمر تنوعاً إذ لاحظنا الأزمنة المركبة واستخدامها في جملة الشرط، وذلك مثل . (إن كنت أصبت في .. فقد أخطأت في ..). أما الشرط باستخدام إذا و"لو" فلم يدرس عند النحاة العرب كأسلوب قائم برأسه تركيبه وعلاقاته ودلالاته بحثا مفصلا، وكان حسبهم هنا ضروبا من التقدير، ففي الجملة ﴿**إذا السماء انشقت**﴾ قدروا لاعتبارات نظرية بحتة فعلا بين إذا والفاعل، وانصرف اهتمامهم إلى الإعراب والعامل وتقديره وعمله.

ومن الأخطاء الشائعة عن اللغة العربية أنها لا تعرف مقابلا لما يطلق عليه في اللغات الأوربية اسم الأزمنة المركبة. والواقع أن نحاة العرب لم يدرسوا هذه الظاهرة على الرغم من وجودها في أشكال مختلفة في اللغة العربية ونحن اليوم نفرق بين "كتبت" "وكنت كتبت"، "وكنت قد كتبت"، ولكل تركيب معناه الخاص به.

والاهتمام بالمعنى يؤدى إلى موصوعات التى عرفت عند القدماء باسم 'علم المعاني' أى : معاني النحو. ويكفى أن ننظر فيها لنجد فصولا في بناء الجملة، فهم يفرقون مثلا بين الخبر والطلب، ولو طبقنا هذا لا تصح لنا مدى التجاوز في رأى النحاة في تقدير فعل عامل في المنادى. فقد قدروا في تركيب مثل : (يا كبير القضاة)، (أنادى كبير القضاة) ورغم كل المحاولات النظرية لتفسير هذا، التقدير، فلابد من التحفظ وملاحظة الفروق بين الطلب والخبر. إن جهود البلاغيين العرب لها مكانها وتقديرها في دراسة الجملة العربية، وهى المكمل الطبيعي لجهود النحاة في هذا الميدان

وننظر مثلا في دراسة البلاغيين لصيغ الأمر في العربية، نجد عندهم فعل الأمر (اكتب، اكتبى، اكتبا، اكتبوا، اكتبن)، والأمر بالمضارع المجزوم بلام الأمر (لتكتب لتكتبى .. الخ، واسم فعل الأمر (حذار، صهْ)، والمصدر النائب عن الفعل الأمر نحو ﴿**وبالوالدين إحسانا**﴾. إن دراسة البلاغيين لهذه الإمكانيات التعبيرية في العربية إسهام طيب لإدراك الوسائل المختلفة التى يعبر بها عن الأمر في العربية. وشبيه وبهذا ما فعله البلاغيون في دراسة الاستفهام وأساليبه المختلفة، فهناك استفهام بهل وبالهمزة وباستخدام من وما ومتى وكيف وأين.. الخ. ودراسة تكوين الجملة الاستفهامية بأدواتها وعلاقاتها ومعانيها مما يدخل في علم اللغة الحديث في دراسة بناء الجملة. وقديما شغل كثير من النحاة بالنهاية الإعرابية، وأخذ عليهم البلاغيون عدم الاهتمام بالمعنى، فتمرق الشكل والمضمون، فهل لنا أن نأخذه بهما مجتمعين؟.

لقد درست كتب النحو الاستثناء مركزة البحث على العامل في المستثنى، وكأن النهاية الأعرابية جوهر الأمر، فأكمل البلاغيون هذا الجهد بمحاوله طيبة لدراسة القصر، فهناك تراكيب مختلفة للقصر في العربية، منها (لا .. إلا)، و(لم...إلا)، و(لن .. إلا)، و(إنما ..) الخ. شغل كثير من النحاة هنا بالنهاية الأعرابية لما بعد أداة الاستثناء فاصلين بين أداة النفى المقدمةو أداة الاستثناء التى جاءت بعدها، والأقرب إلى

واقع أن يدرس التركيب بوصفه أسلوب قصر، على نحو ما نجد عند البلاغيين وعند النحويين المحدثين، والأداة هنا مركبة على نحو ما نجد في لغات أخرى كالانجليزية not .... but أو الفرنسية ne .... que.

وصفوة القول : أن الدراسة الحديثة في بناء الجملة تهتم بترتيب الوحدات الصرفية في الجملة وترعى الإعراب وتغيره للتعبير عن المعاني المختلفة، وهذا مما بحث قديما بين علمي النحو والبلاغة.

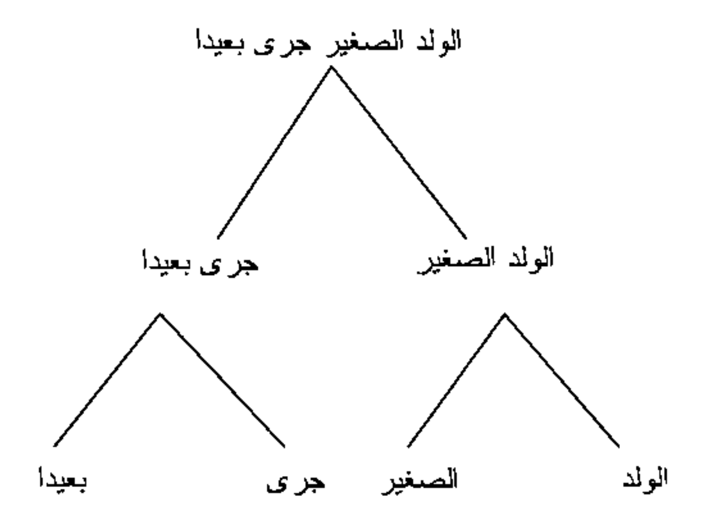
الفصل الثامن

المكونات المباشرة والنحو التوليدى التحويلى

أولاً : المكونات المباشرة

١- ترجع بد يات فكرة تحليل الجملة عند اللغويين في العصر الحديث إلى جهود نحوية كثيرة في القرن التاسع عشر، حاول أصحابها عمل دراسات وصفية للغات ولهجات شتى، تختص كل دراسة بلغة محددة أو لهجة معينة. وكانت هذه الدراسات روافد مهمة لعلم اللغة المقارن وبقدر الدقة في المادة التي تضمنتها هذه الدراسات كان العمل المقارن، وبقدر القصور فيها استمر القصور في الدراسة المقارنة. ولكن التفكير المنهجي في إيجاد أدوات ومفاهيم للوصف النحوي كان وراء مدارس كثيرة في الدرس النحوي الحديث. إن التفكير في صقل مناهج البحث النحوي كان عملا تشترك فيه مدارس علم اللغة في القرن العشرين، وفي مقدمتها المدارس الوصفية والمدرسة التوليدية التحويلية. وقدّم علم اللغة في هذا الصدد عددا من المفاهيم الأساسية منها مفهوم المكونات المباشرة Immediate Constituents يرجع هذا المفهوم إلى اللغوي الأمريكي بلومفيلد (١٩٣٣) ويمكن إيضاح هذا المفهوم بتحليل مثال عربي مماثل إلى حد بعيد للمثال الإنجليزي عنده. المثال العربي : الولد الصغير جرى بعيدا. هذا المثال يمكن تقسيمه إلى مكونين هما: الولد الصغير، جرى بعيداً. المكون الأول يحلل بعد ذلك إلى مكونين اثنين: الولد، الصغير، أما المكون الثاني فيتكون من مكونين اثنين: جرى ، بعيدا، وعلى ذلك تكون المكونات النهائية للجملة كلها أربعة : الولد، الصغير، جرى، بعيداً. وتنتظم هذه المكونات النهائية الأربعة في مكونين اثنين.

يكون هذا التحليل من أعلى إلى أسـفل، فالجملة قسمت إلى قسمين كبيرين سمى كل منهما المكون Constituent، ثم قسم كل مكون إلى مكونين حتى نصل إلى المكونات النهائية Ultimate Constituents.



وهذا المنهج له طرائق تفصيلية مختلفة فى مدارس اللغة قبل تشومسكى، ولكن نظرية النحو عند المدرسة التحويلية التوليدية رأت ـ فى هذا المنهج ـ الجوانب الآتية :

١- تعد فكرة المكونات المباشرة بداية تفكير جديد فى التحليل النحوى، لقد ثبت أن تتابع الكلمات فى الجملة يقوم على علاقات محددة فى داخلها. ونقرب هنا فكرة بلومفليد بمثال عربى هو : الرياضى القوى انطلق سريعا. يمكن تقسيم الجملة السابقة إلى أربعة مكونات نهائية أوصغرى، وكل مكون هو كلمة واحدة. ولكننا نجد كلمتين الأولى والثانية: الرياضى القوى، تكونان معا مكونا واحدا، وهو تركيب من موصوف وصفة، ونجد الكلمتين الثالثة والرابعة تكونان مكونا ثانيا، وهو تركيب من الفعل والمفعول المطلق المبين للنوع.

٢- مشكلة تحليل المكونات المباشرة تكمن في عدم إمكان تعرف غموض المعنى. وذلك أن فهم المكونات المباشرة لا يؤدي إلى كشف غموض جملة مثل: الطالب والتلميذ العربي لا يحتاج إلى هذا الكتاب. والغموض هنا عند القارئ الحديث يرجع إلى سؤال مهم: هل المقصود الطالب العربي والتلميذ العربي كلاهما يحتاج إلى هذا الكتاب، أم أن كلمة العربي تصف التلميذ فقط. وهنا نصل إلى نقطة مهمة تعرق منهج تحليل المكونات المباشرة عن المناهج الأخرى التي جاءت بعده، وذلك أن المستوى الظاهر لا يقدم سوى "البنية السطحية"، أما الغموض الدلالي نتيجة التركيب فتفسره "البنية العميقة".

٣- فكرة التوزيع من أهم الأفكار التي تكونت في التحليل النحوي الحديث. وترتبط فكرة التوزيع بمعيار الاستبدال، ومعنى هذا أن العناصر القابلة للاستبدال تكون نوعا واحدا من أنواع الكلم. في الجمل الاسمية: الطالب مجتهد، الطالبة مجتهدة، الطلاب مجتهدون، نجد الكلمات: الطالب، الطالبة، الطلاب. ويجوز في هذه الجملة أن تحل هذه الكلمة محل تلك مع إحداث ما يلزم للمطابقة. وبهذا فهذه الكلمات تعد نوعا واحدا من أنواع الكلم. وعلى هذا الأساس فإن الكلمات التي تصلح مبتدأ أو خبرا أو فاعلا أو مفعولا تصنف نوعا واحدا، وهو: الاسم.

٤- تحليل المكونات المباشرة لا يمكننا من إدراك العلاقات بين الجمل المتقاربة في المعنى، بل كل جملة لها خصوصيتها الشكلية وكأنها معزولة عن غيرها. ولعل أقرب أمثلة ترد إلى الذهن يطارد الأسد الفريسة أو الأسد يطارد الفريسة. في منهج المكونات المباشرة الجملتان مختلفتان، الأولى فعلية والثانية اسمية، ولا صلة بينهما، ولكن مستخدم اللغة يرى المعنى متقاربا والصلة وثيقة بين الجملتين.

٥- يركز تحليل المكونات المباشرة على "مادة لغوية" محددة، أي على نص أو مدونة أو كلام منطوق. ومن هذا المنطلق يكون تركيزه على مستوى الكلام وليس على مستوى اللغة بمصطلح دي سوسير، أي على مستوى الأداء وليس على مستوى

الكفاءة اللغوية مصطلح تشومسكي. ومن ثم لا يكشف عن القواعد محروسة في العقل والتي تمكن من الإنتاج اللغوي.

٦- لا يكشف هذا المنهج عن وصف العلاقات بين أنماط الجمل التي بينها علاقة في ذهن أبناء اللغة:

أ ـ العلاقة بين الجملة ذات الفعل المبني للمعلوم و الفعل المبني للمجهول

كتب الطالب المحاضرة ⟵ كتبت المحاضرة

ب ـ العلاقة بين فعل المطاوعة والفعل المبنى للمجهول

انطلق الصاروخ ⟷ أُطلق الصاروخ

جـ ـ العلاقة بين الإثبات والنفي :

كتب الدرس ⟵ لم يكتب الدرس

د ـ العلاقة بين الخبر والاستفهام :

حضر الطالب ⟶ هل حضر الطالب؟

٧- لا يكشف هذا المنهج عن وصف الفروق الدلالية بين التراكيب المتماثلة، وذلك مثل التركيب الإضافي المكون من مضاف ومضاف إليه :

كتابة الصحفي جيدة   كتابة الموضوع جيدة

ثانياً : المنهج التوليدى التحويلي وبناء الجملة :

اتجه اللغويون منذ سنة ١٩٥٧ بصورة متزايدة إلى بحث بناء الجملة. فقد كانت موضوعات الأصوات وبناء الكلمة قد نالت نصيباً كبيراً من الاهتمام على مدى مائة عام، ولوحظت الثغرات في دراسة بناء الجملة فانصرف لغويون كثيرون إلى بناء الجملة، وارتبط هذا بالشروع إلى الإفادة من الأجهزة الالكترونية في البحث اللغوى

لتحقيق مزيد من الدقة والموضوعية. وهنا ظهر النحو في التحويلي التوليدي Generative Transformational Grammar. والفكرة الأساسية في النحو التحويلي التوليدي أن الوصف الدقيق للغة من اللغات إنما يعني تحديد الإمكانيات التعبيرية الكامنة في هذه اللغة والتي يتلقى منها ويتوسل بها مستخدم اللغة إيجابا وسلبا. فوصف الاستخدام اللغوى عند فرد بعينه ليس وصفا لطاقات اللغة، بل تعرف للقدرة اللغوية لهذا الفرد. ومن هنا تتجاوز فكرة النحو التحويلي التوليدى مجرد وصف الأداء الفردى إلى محاولة تحديد 'مجموع الامكانيات التعبيرية' في اللغة قيد الدراسة، وهذه الإمكانيات كامنة عند مستخدم اللغة حتى إنه يستطيع بالمختزن لديه منها أن يفهم جملا وتعبيرات لم يسبق له أن سمعها أو قرأها. وهذا هو معنى كون هذا الاتجاه "توليديا"، أي أنه يبحث إمكانات توليد الجمل الجديدة اعتماداً على إمكانات اللغة

ويوصف هذا المنهج أيضاً بأنه "تحويلى"، التحويل هنا وسيلة من وسائل تعرف على طبيعة العلاقات بين الوحدات التي نعرفها باسم الكلمات، ولننظر مثلا إلى التركيب المكون من : الاسم + الضمير'. لنجد العلاقات الكامنة بين هذا الاسم وذلك الضمير متنوعة، ولنقارن بين أشياء تبدو من ناحية الشكل متضمنة لعلاقة واحدة مثل : (كتابى، أبى، وصى، قميصى، دورى، سفرى). فهذه تعبر عن علاقات مختلفة وليس من الصحيح أن نقول : إنها علاقة الملكية، ولكى نوضح تنوع هذه العلاقات نحاول نقل كل تعبير منها مبدلين إياه بتركيب بديل مفسر للعلاقة. وسنجد تفسير العلاقة متفاوتاً متنوعا. فكلمة كتابى تعنى الكتاب الذى ألفته أو الكتاب الذى أملكه. وهنا نجد علاقتين تختلفان عن العلاقة الكامنة في الاسم في : 'أبى" فالأب هو الإنسان الكبير الذى أنتمى إليه انتماء بيولوجيا مباشراً، العلاقة هنا مختلفة عن العلاقتين الكامنتين بين الاسم والضمير في : "معطفى' فهو المعطف الذى أملكه أو أرتديه لو كان المتكلم ممثلا يقوم بدور معين، وهذه العلاقات مختلفة بدورها عن "بلدى"، فالعلاقة هنا علاقة انتماء مواطن إلى وطن صغير أو كبير، وكل هذا مختلف عن العلاقة

بين الاسم والضمير في "سفري"، أي السفر الذي قمت أو أقوم به، وهنا نلاحظ أن كل هذه الأشياء متفقة شكلا ولكنها مختلفة في الدلالة على العلاقات.

فلو كان بصدد تصميم جهاز للترجمة الآلية لكان على اللغوي أن يزوده بالأشكال الصرفية المتاحة وبالعلاقات القائمة بينها في اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها حتى يتمكن الجهاز من اختيار التعبير المقابل، وهنا نتبين أن أشياء كثيرة تبدو بسيطة ولكنها في حقيقة الأمر متنوعة، تحتاج لأبراز هذا التنوع إلى التحويل حتى يتسنى لنا فهم العلاقات الكامنة بينها.

وهناك أشياء كثيرة لاحظها النحاة. ويفيد منها الباحث الحديث بالمنهج التحويلي إذا أراد تحديد العلاقات، وقد تحدث النحاة العرب موضحين علاقتين كامنتين في تركيب مثل "قَتلُ زيد". قد يكون زيد هو القاتل وقد يكون هو المقتول، وبتعبير النحاة قد يكون هذا من قبيل إضافة المصدر إلى فاعله أو إلى مفعوله، ونستطيع بالمنهج التحويلي إدراك الفرق بينهما بأن نجرب الإحلال عن طريق التحويل، وذلك من خلال الفعل محل المصدر، نجد أن "قَتْل زيدٍ" تقابل : قَتَل زيد (بفتح القاف)، أو قُتِل زيد (بضم القاف) أي أن هذا المصدر يقابل الفعل المبني للمعلوم أو المبني للمجهول، وهذا ما يفسر كون هذا التركيب في العربية حاملا إمكانيتين اثنتين في التعبير، وعلى العكس من هذا نجد العلاقة الكامنة بين المصدر والمضاف إليه في "وصول علي" ذات دلالة واحدة، وهذا يرجع ـ كما يقول اللغويون ـ إلى كون مقابل هذا بالمنهج التحويلي فعلا لازما. ونستطيع كذلك بالمنهج التحويلي ـ . أيضاً ـ إدراك الفرق بين المفعول به الأول والمفعول به الثاني في الجملة العربية، ففي الجملة "أعطيت التلميذ كتابا" يتضح الفرق الوظيفي بنقل هذه الجملة إلى المبني للمجهول، "أعطي التلميذ كتابا "أعطي كتاب إلى التلميذ"، والمفعول الأول قابل لحرف الجر عند التحويل ولكن المفعول الثاني غير قابل لحرف الجر.

وأخيرا نود أن نقول بأن أصحاب المنهج التحويلي قدموا لنا وسيلة نستطيع بها إبراز اختلافات كامنة في علاقات الوحدات الصرفية في داخل الجملة. والسنوات القادمة كفيلة بإبراز مدى جدوى ذلك في برامج الترجمة الآلية ومدى القصور في ذلك. النظرية التوليدية التحويلية تهدف في المقام الأول إلى تعرف القواعد الكامنة في العقل الإنساني وراء تكوين الجمل في اللغات الطبيعية.

ويقوم التحليل التوليدي التحويلي على ثلاثة مكونات :

أ ـ قواعد تركيب العبارة، ويمكن التوصل إليها عن طريق تحليل الجملة إلى مكونات صغيرة، وهكذا حتى يتم تحليل الجملة إلى أصغر عناصرها.

ب ـ القواعد التحويلية، أي القواعد التي يمكن بواسطتها تحويل الجملة إلى جملة أخرى تتشابه معها في المعنى، وذلك مع ملاحظة علاقات الجمل المتماثلة. والإجراءات التي تحدث لتجعل جملة على مستوى السطح تختلف عن الجمل الأخرى عن طريق :

١- الحذف ٢ التعويض ٣- التوسع ٤- الاختصار

٥ الزيادة ٦- إعادة الترتيب ٧- التقديم

جـ القوانين الصرفية الصوتية، وهي القوانين التي تشكل الجملة على مستوى البنية السطحية، ومن ذلك القواعد الصرفية والصوتية

إن البحث العلاقة بين "البنية السطحية" و"البنية العميقة" يعد محوراً مهما لتحليل بناء الجملة. وغموض دلالة البنية السطحية لا يفسر إلا على أساس تعدد الأبنية العميقة لها. فإذا قلنا : قراءة الشاعر ممتعة، فهمنا أحد أمرين أحدهما يتعلق بقراءة الشاعر بصوته وثانيهما يتصل بقراءتنا لشعره.

هذا التعدد في فهم التركيب في البنية السطحية هو انعكاس لتركيبه في البنية العميقة.

لا يكتفى التحليل النحوى بمعرفة التراكيب الموجودة بالفعل، بل عليه أن يحدد ما يقبله النظام اللغوى، ومالا يقبله. إن الجملة تمثل بالضرورة تتابع من الوحدات الصرفية أو المورفيمات، ولكن ليس كل تتابع من الوحدات الصرفية يكوّن بالضرورة جملة مفيدة. ولهذا فإن هناك قواعد تحدد كيفية تتابع هذه المورفيمات لتكوين الجملة وأداء المعنى. ومن هنا يميز النحويون المعاصرون بين مصطلحى Grammatical بمعنى مطابق للقاعدة النحوية أو نحوى، وعكس ذلك Ungrammatical أى غير مطابق للقاعدة أو غير نحوى. وليس المقصود بصيغة اسم الحال المعرفة النظرية الواعية بذلك، بل هذا التصنيف عند النحوى يقوم على ما استقر عند أبناء الجماعة اللغوية. فإذا قلنا الشجرة التلميذ زرع، عرفنا كما يعرف أبناء العربية بحسهم اللغوى أن التركيب غير نحوى، أما التركيب النحوى فهو : زرع التلميذ الشجرة. وهنا يكون من مهام التحليل النحوى أن يكشف القواعد الدالة على الممكن وغير الممكن من حيث التركيب النحوى أو المكون الدلالى.

يهدف التحليل النحوى فى المدرسة التوليدية التحويلية إلى تعرف ما يأتى:

أ ـ الجمل الصحيحة نحويا، وهى الجمل التى يدرك ابن اللغة بالحدس اللغوى السليم أنها مفهومة ومقبولة.

ب ـ تركيب الكلمات والوحدات الصرفية طبقاً لنظام اللغة.

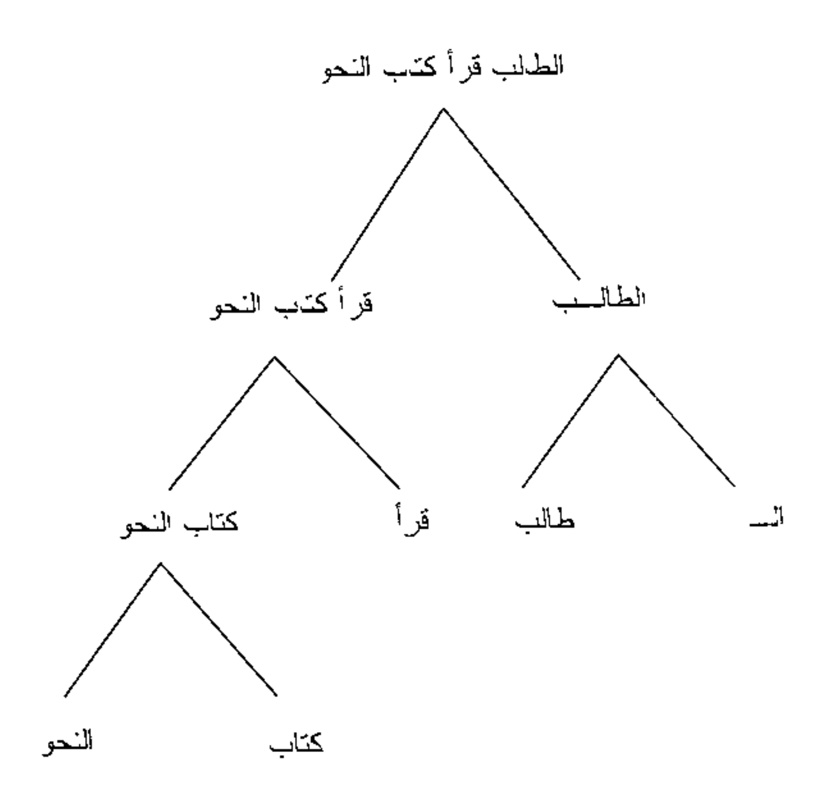
جـ ـ معرفة الغموض البنيوى، وكشف جوانب التراكيب ذات الغموض بردها إلى ما يقابلها فى البنية العميقة.

د ـ معرفة العلاقات بين الجمل المتماثلة فى المعنى.

هـ ـ معرفة الوظيفة النحوية لكل جزء فى الجملة.

ز ـ تعرف قواعد القدرة اللغوية لدى أبناء اللغة على إنتاج عدد لا نهائى من الجمل الممكنة طبقاً لقواعد اللغة وفهمها، لأنها صادرة عن منظومة القواعد المكونة للغة.

- يقوم تحليل بنية الجملة في النحو التوليدي التحويلي على عملية تقسيم وتشجير. تقسم الجملة إلى أركان ثم إلى وحدات صرفية وتعرض بطريقة الشجرة المقلوبة



الـ + طالب = مركب اسمي

قرأ + كتاب + النحو = مركب فعلي

الفصل التاسع

علم الدلالة المعجمية

أولاً : علم الدلالة

لا تقوم البنية اللغوية على مجرد تتابع الأصوات المكونة للأبنية الصرفية في نسق الجملة، بل لابد أن تكون هذه الرموز حاملة لمعنى. وتعد قضية الدلالة من أقدم قضايا الفكر في حضارات مختلفة، أسهم فيها فلاسفة ومناطقة ولغويون وبلاغيون وأصوليون من العرب وغيرهم، وتقدم البحث الدلالي في إطار علم اللغة الحديث من جانبين، فمن الناحية المنهجية حدث تقدم في نظرية الدلالة ومن الناحية العملية كان التقدم في إعداد المعاجم. وفوق هذا كله، فقد أصبح البحث الدلالي موضع اهتمام المتخصصين في الفلسفة والعلوم الاجتماعية والأنثربولوجية والنفسية.

علم الدلالة من أهم جوانب علم اللغة، الاهتمام به قديم، واتجاهاته الحديث في تقدم مطرد، وتطبيقاته في إعداد المعاجم الكثيرة، وأهميته في تعليم اللغات لغير الناطقين بها تتأكد يوما بعد يوم. وعلى الرغم من ندرة البحوث العربية في هذا المجال في العصر الحديث فإن كتبا أوربية وأمريكية كثيرة تناولت الدلالة والكثير من قضاياها. ولذلك فإن عددا من المصطلحات الأوربية لتسمية هذا الفرع من فروع المعرفة قد تدوولت في البحوث المتخصصة.

وأهم هذه المصطلحات بالفرنسية (Semantique) وعنه أخذت الكلمة الإنجليزية (Semantics) والألمانية (Semantik). ويرجع المصطلح الفرنسي إلى العالم بريل (Bréal) في عنوان كتاب له (١٨٨٣). وهذا المصطلح الأوربي يرجع إلى اليونانية، اشتقه بريل من Semantikos بمعنى العلامة وSemainein بمعنى دل. وكان بريل يريد به أن يسمى البحث عن الدلالة في مقابل البحث الصوتي، ويعد هذا الكتاب من أوائل الكتب التي بحثت طبيعة الدلالة بوجهة نظر جديدة تضع بنية اللغة

موضع البحث. وكان جهد بريل في هذا المجال مؤثر في جمهور الباحثين في هذه القضايا، فانتشر مصطلحه وساد عند اللغويين وعند غيرهم. وثمة فرق بين جهد اللغويين واهتمامات غيرهم، فأصحاب تاريخ الفلسفة ـ أيضاً ـ يستخدمون مصطلح Semantics في إطار بحثهم عن المعرفة، ويعنون به بحث العلاقة بين الكلمات وما تدل عليه في الواقع الخارجي. وأصحاب الفلسفة المعاصرة يستخدمون أيضاً هذا المصطلح في إطار نظرياتهم حول "النحو المنطقي" الذي يقوم على أساس تصور نظري مجرد يشبه المعادلات الرياضية وليست له علاقة باللغة الطبيعية أواللغات في واقعها المدرك. وليس من شأن البحث الدلالي عند اللغويين الاهتمام بتصور نظري مجرد مبتوت الصلة بالواقع اللغوي الحقيقي، تاركين هذا الاتجاه لبحوث الفلسفية والمنطقية المعاصرة، أما تلك البحوث التي تعتمد على الواقع اللغوي، فهي عمل اللغويين وهي ـ أيضاً ـ موضع اهتمام وبحث عند بعض أصحاب الفلسفة المعاصرة.

وهناك مصطلحات أخرى سمي بها البحث الدلالي عند اللغويين في مؤلفاتهم باللغات الأوربية، ومن هذه المصطلحات الألمانية Semasiologie، وعنه في الانجليزية Semasiology. وهذا المصطلح سابق على مصطلح بريل بأربع وأربعين سنة، فقد ألف اللغوي الألماني رايسج مستخدما هذا المصطلح سنة ١٨٣٩. وثمة فرق بين منهج رايسج وبحث بريل، الأول يبحث الدلالة في إطار المدرسة التاريخية والثاني يبحث البنية الدلالية. لقد حدد رايسج موضوع البحث ـ هنا ـ بأنه دراسة القواعد العامة التي تفسر تطور المعنى، وكان هذا الهدف التاريخي أمامه في بحث الدلالة، فهو لا يهتم بالدلالة ووسائل تحديدها، ولكنه يهتم بتغير الدلالة ويحاول تفسير هذا التغير.

وإذا كان المصطلحان السابقان ينطلقان من الصيغة اللغوية في محاولة لتعرف دلالتها، فإن هناك مصطلحا يستخدم للوجهة العكسية أي الانطلاق من المعنى في

محاولة للبحث عن الكلمة أو الكلمات الدالة عليه، ويطلق على هذا الاتجاه مصطلح Onomasiology أي علم التسمية، وقد أفادت معاجم الموضوعات من هذا الاتجاه فصنفت كلماتها موضوعيا.

إن المصطلحات الأوربية الدالة على علم الدلالة كثيرة، تختلف اتجاهاتها بتعدد المدارس، وقد اقتصرنا على أهم ثلاثة مصطلحات. أما في العربية فقد استقر مصطلح "علم الدلالة"، ويفضله جمهور الباحثين عن تسمية هذا الفرع باسم "علم المعنى". ولعل من أهم أسباب تفضيل المصطلح الأول أصالته ووضوحه، وكذلك سهولة النسبة إليه دون لبس أو غموض، فالنسبة إلى الدلالة دلالي، ولكن النسبة إلى المعنى معنوي، والكلمة الأخيرة "معنوي" لها دلالة مغايرة تجعلها على عكس "المادي". ولهذا كله فإن تسمية هذا الفرع في العربية "علم الدلالة" تعد من المصطلحات المستقرة لدى أكثر اللغويين العرب المعاصرين.

ثانياً : مناهج علم الدلالة والمعجمات الحديثة :

يبحث علم اللغة الحديث مجالاته المختلفة، وهي : الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة، بأربعة مناهج، وهي : المنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج التقابلي. ومعنى هذا أن البحث الدلالي يمكن أن يتم بكل منهج من هذه المناهج، وعلى ذلك فهناك : علم الدلالة الوصفي، وعلم الدلالة التاريخي وعلم الدلالة المقارن وعلم الدلالة التقابلي.

أ ـ علم الدلالة الوصفي جزء من الدراسة اللغوية الوصفية، وهي الدراسة التي تبحث لغة واحدة أو لهجة واحدة في زمن معين أو مكان معين. وعلى هذا، فإعداد دراسة دلالية لعربية الشعر الجاهلي أو دراسة دلالية للقرآن الكريم أو دراسة دلالية للعربية الفصحى المعاصرة تعد من قبيل الدراسة الدلالية الوصفية. وكل دراسة دلالية لمستوى لغوي واحد تدخل في هذا الإطار. سواء أكانت هذه الدراسة للغة قديمة أو حديثة، للهجة قديمة أو حديثة. وهذه الدراسات الدلالية الوصفية من شأنها أن

تكون مفيدة في إعداد معاجم المستوى اللغوى الواحد، أى معاجم اللغة الواحدة في عصر بعينه أو معاجم اللهجة الواحدة في عصر بعينه ومكان بعينه.

ب ـ علم الدلالة التاريخى جزء من الدراسة اللغوية التاريخية، يبحث لغة واحدة أو لهجة واحدة دراسة تاريخية عبر القرون. والفرق بين البحث اللغوى الوصفى والبحث اللغوى التاريخى أن الأول يعنى بدرس اللغة الواحدة أو اللهجة الواحدة فى زمن بعينه والثانى يدرسها عبر الزمن. وهذه الدراسة الدلالية التاريخية مرتبطة أوثق الارتباط بالمعاجم التاريخية، أى معاجم اللغة الواحدة فى نموها التاريخى عبر القرون.

جـ ـ علم الدلالة المقارن جزء من الدراسة اللغوية المقارنة، وهى الدراسة التى تبحث مجموعة لغات من أصل واحد، أى تنتمى إلى أسرة لغوية واحدة فدراسة الدلالة فى مفردات اللغات السامية بالمنهج المقارن يعنى دراسة هذه المفردات فى كل اللغات السامية لتعرف المعنى الأقدم ولتحديد مسار التغير الدلالى لهذه المفردات فى كل لغة من هذه اللغات. وهذه الدراسة الدلالية المقارنة وثيقة الارتباط بالمعاجم التأصيلية التى توضح أصول المفردات وكذلك بالجوانب التأصيلية من المعاجم العامة عندما يذكر تأصيل الكلمة فى أول المادة وقبل شرحها. وتأصيل المواد والمفردات سمة أساسية فى المعاجم الحديثة، ومن الجديد فى المعجم الكبير الذى يصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

د ـ علم الدلالة التقابلى جزء من الدراسة اللغوية التقابلية، وهى الدراسة التى تبحث : لغة ولغة ، أو . لغة ولهجة، أو لهجة ولهجة، أو لهجة ولغة. إن الدراسة التقابلية هادفة إلى بحث الفروق بين اللغة (أو اللهجة) الأم التى نشأ عليها الفرد، واللغة (أو اللهجة) المنشودة التى يريد أن يتعلمها. فالفروق بينهما جزء أساسى من الصعوبات الموضوعية التى تواجه أبناء اللغة (أو اللهجة) الأولى فى محاولتهم اكتساب اللغة الثانية. والبحث الدلالى التقابلى عندما ينظر فى المستويين محددا الفروق الدلالية

بين المفردات فى كلتا اللغتين يكون قد حدد الجانب الدلالى من الصعوبات فى اكتساب اللغة الثانية. وفوق هذا، فإن الدراسة التقابلية من شأنها أن تقدم نتائج مهمة وحاسمة فى إعداد المعاجم المزدوجة اللغة.

وهكذا نجد لمناهج علم اللغة تطبيقاتها فى الدراسة الدلالية، ونجد لكل منهج فى الدراسة الدلالية ارتباطه الوثيق بضرب من المعاجم، وكأن الدراسة الدلالية بحث أساسى وإعداد المعاجم جانب تطبيقى لها.

ثالثاً : تطور الاهتمام بالدلالة :

يعد الاهتمام بالدلالة من أقدم الاهتمامات الفكرية عند الإنسان، كانت قضية الدلالة مرتبطة عند اليونان بعدد من التساؤلات الفلسفية، فقدامى السوفسطائيين قبل سقراط طرحوا عدة قضايا لها صلة بالدلالة. وفى مقدمتها: هل علاقة اللفظ بمعناه "طبيعية" أو "مجرد مواضعة وعرف إنسانى". ودار الحديث عن التسمية والمسمى والعلاقة بينهما، فى اتجاهين، فثمة قائل بأن العلاقة طبيعية لا تنفصم، فلكل كلمة دلالتها ولكل مسمى تسميته، فإن صح هذا وكان لكل مسمى تسميته طرحت بالضرورة قضية " ترادف" أى دلالة كلمتين اثنتين على مسمى واحد. والرأى المضاد يقول بأنه لا توجد علاقة طبيعية بين التسمية والمسمى أى بين اللفظ وتلك الدلالة، وبذلك فليس ثمة ما ينفى وجود الترادف. لقد امتد النقاش حول طبيعة العلاقة بين اللفظ ودلالته من عهد السوفسطائيين وسقراط إلى أفلاطون، واتسعت دائرة البحث الدلالى بمضى الوقت، ونظر البعض فى هذه القضية فلاحظ وجود الكلمة الواحدة بأكثر من معنى، ونظر آخرون فى هذه القضية من الدلالة إلى الكلمة وأثبتوا وجود الشئ الواحد بأكثر من تسمية. وكلا المدخلين بداية اتجاه، الأول فى علم الدلالة Semantics والثانى فى علم تسمية الأشياء Onomasiology.

وعند أفلاطون (في محاورة قراطيوس Kratylos) طرح - أيضاً - سؤال آخر حول اللغة والمعرفة، فهل المعرفة الحقيقية للأشياء ممكنة عن طريق اللغة أم لا؟ وإلى أي حد تعد اللغة وسيلة للمعرفة؟ وهنا نجد أفلاطون يرى علاقة التسمية بالمسمى في قسم منها طبيعية، ولكنه يؤكد أهمية العرف ودوره في تثبيت هذه العلاقة وإكسابها بعدا اجتماعيا. غير أن أفلاطون جعل اللغة مستقلة عن المعرفة، لعله لها علاقتها مع الواقع. وهذه العلاقة وجدها تارة طبيعية وأخرى عرفية، ولكن المعرفة في نزوعها نحو الحقيقة لا يمكنها أن تعتمد على اللغة، فاللغة ليست هي الوسيلة المثلى للمعرفة، وهكذا طرحت في هذه الفترة المبكرة عدة قضايا دلالية، ومسائل أخرى في اللغة والمعرفة ذات ارتباط وثيق بالدلالة.

وكان أرسطو صاحب نظرات دلالية في اللغة، لقد أثبت أن الكلمة ليست مجرد أصوات منطوقة، بل معنى جزء متكامل من الكلمة، فلا توجد كلمات تكون مجرد أصوات. وعندما قسم أرسطو أنواع الكلام جعل ذلك على أساس دلالي، فالاسم والفعل لهما في نفسيهما معنى على العكس من الحرف فليس له في معنى نفسه. والفرق بين الاسم والفعل يرجع بدوره إلى أمر دلالي، فالاسم دلالته مستقلة عن الزمن في حين ترتبط دلالة الفعل بالزمن. وقد ظل تقسيم أرسطو أنواع الكلام على هذا النحو مؤثرا في الحضارة الأوربية، بل وفي النحاة العرب عدة قرون، وهو تقسيم يقوم في جانب منه على أساس دلالي.

وبتقدم الزمن تغيرت اللغة اليونانية، فكانت قضية التغير الدلالي موضع اهتمام برقلس Proklos في القرن الخامس الميلادي. لقد لاحظ برقلس بعد قرون من تدوين اللغة اليونانية وبعد انتشارها في مناطق واسعة من العالم القديم وبعد استخدامها في الشعر والنثر تنوع المستويات اللغوية باختلاف الزمن وتنوع اللهجات واختلاف لغة الشعر عن النثر. وكانت الدلالة جانبا من هذا الاختلاف والتنوع. فطرح برقلس قضية

التغير الدلالي، وحاول أن يفسره بالتغير الحضاري، ولاحظ أن التغير الدلالي يتخذ عدة أشكال منها المجاز وتوسيع المعنى وتخصيص المعنى. وهكذا كان الجهد الدلالي عند قدماء اليونان حول العلاقة بين التسمية والمسمى، ثم حول اللغة وسيلة للمعرفة، وأخيرا كانت قضية التغير الدلالي موضع اهتمامهم.

وقد كان الاهتمام بالقضايا الدلالية في إطار الحضارة العربية الإسلامية كبيرا، شغلت به عدة بيئات لأسباب متنوعة. فاللغويون من أصحاب المعاجم اهتموا بالدلالة في إطار تحديدهم لدلالة الألفاظ، والبلاغيون شغلوا بقضية الحقيقة والمجاز، والأصوليون شغلوا بقضية الدلالة في مقدمات كتب علم أصول الفقه في إطار تعرفهم الدلالة في اللغة بوصفها وسيلة لفهم النصوص واستخراج الأحكام. أما الفلاسفة والمتكلمون فقد عرفوا القضايا التي أثارها أرسطو في الدلالة وناقشوها وأضافوا إليها.

كان اهتمام اللغويين العرب بالقضايا الدلالية والمعجمية في ثلاثة اتجاهات بين النظر والعمل. العمل المعجمي كان سابقا عندهم على إعمال الفكر في القضايا النظرية، فالجهد المعجمي العربي بدأ مع بداية الازدهار الحضاري أما التفكير النظري في قضايا الدلالة فكان بعد ذلك. لقد نشأت في القرن الثاني الهجري حركة للتأليف المعجمي الموضوعي، فظهرت تلك الرسائل اللغوية في موضوعات محددة. ألف الأصمعي في "خلق الإنسان" وألف أبو زيد الأنصاري في "النبات والشجر". وكلا الكتابين رسالة تضم ألفاظ موضوع معين، الأولى في الألفاظ الخاصة بجسم الإنسان من رأسه إلى قدمه، والثانية خاصة بالألفاظ الخاصة بالنبات والشجر من حيث أنواعه وأقسامه وتسميات كل ذلك. وقد تزامن هذا الجهد في تأليف الرسائل مع جهد آخر لاستيعاب ألفاظ العربية في معجم واحد، وكتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي أقدم المعاجم العربية. لقد تنوعت اتجاهات العمل المعجمي العربي، فثمة معاجم حذت حذو الخليل في ترتيبها صوتيا وهناك معاجم أخرى اتبعت الترتيب

الهجائى للحروف (أ ب ت ث ج ح خ .. الخ)، ورتبت فيها المواد طبقا للحرف الأخير ثم للحرف الأول من حروفها الأصول، وأهم هذه المعاجم : لسان العرب لابن منظور (المتوفى ٧١١ هـ) والقاموس المحيط للفيروز أبادى (المتوفى ٧٦١ هـ) وتاج العروس للزبيدى (المتوفى ١٢٠٥ هـ). وإلى جانب هذه المعاجم التى ترتب الكلمات وفق حروفها الأصول، عرفت الحضارة العربية معاجم ترتب كلماتها وفق الموضوعات، أهم هذه المعاجم : المخصص لابن سيده الأندلسى (المتوفى سنة ٤٥٨هـ)، وكل هذه الأعمال المعجمية تقوم على تصور نظرى وتطبيق عملى، وتعد من أهم ما أنجزه اللغويون العرب.

شغل كثير من اللغويين العرب بقضايا كثيرة من البحث الدلالى، فى مقدمتها: الحقيقة والمجاز ، والترادف، والأضداد، والمشترك. وكانت هذه القضايا ــ أيضا ــ موضع اهتمام البلاغيين والأصوليين، تعد قضية الحقيقة والمجاز مفتاح فهمهم لقضية الدلالة وتغيرها، فالمعنى الحقيقى ما وضع على أصله فى اللغة، هو المعنى القديم الصحيح، هو المعنى المباشر. على وعكس هذا فإن المعنى المجازى هو المعنى الجديد المخالف لمعناه الحقيقى، هو المعنى الفنى للفظ له استخدامه العادى الآخر، هو المعنى غير المباشر للفظ له استخدامه المباشر. ولكن المشكلة التى حدت مجال البحث عندهم أنهم لم يعترفوا بالتغير اللغوى، ولم ينظروا فى إمكان أن يكون المجاز سبيلا واضحا لإحداث تغير دلالى. وتتضح هذه المشكلة ـ أيضاً ــ فى الموقف الذى صدرت عنه كتب "لحن العامة"، من رسالة "ما تلحن فيه العامة" للكسائى (المتوفى نحو ١٨٩هـ) و"درة الغواص" للحريرى (المتوفى ٥١٦هـ) و"تثقيف اللسان" لابن مكى الصقلى (المتوفى ٥٠١ هـ). ويتلخص هذا الموقف فى أن التغير الدلالى "لحن" و"خطأ" وينبغى أن تستخدم المفردات بمعناها القديم ولمعناها القديم

أما قضايا الترادف والأضداد والمشترك فكانت أيضاً موضع اهتمام اللغويين وخلافهم أيضاً. قال بعضهم بوجود الترادف على أساس اتفاق المعنى بين كلمتين

وأنكر بعضهم دلك لفروق بين الكىمتين. قال بعضهم بوجود الأضداد بأن تدل الكىمة الواحدة على الشئ ونقيضه كدلالة الجون على الأبيض والأسود، وأنكره بعضهم. قال بعضهم بوجود المشترك بأن تدل الكلمة عىى معنيين اثنين كدلالة العين على العين الباصرة وعين الماء. وتناولوا كل هذه القضايا، جاء المدافعون بالشواهد وأنفوا فيها الكتب، وفصلوا القول فيها تفصيلا وبالغوا في ذلك أحيانا. وكل هذا يعكس اهتماما جادا بالقضايا الدلالية في التراث العربي.

رابعاً : البحث الدلالي الحديث بين النظرية والتطبيق المعجمي :

لقد حقق البحث الدلالي الحديث منذ القرن التاسع عشر نتائج كثيرة بمناهج متعددة تتابع ظهورها، وتنوعت أسسها النظرية، واختلفت وجهاتها في تحديد المعنى.

١) يعد بحث الدلالة في إطار المدرسة التاريخية بداية البحث الدلالي الحديث، وكان الباحث الألماني رايسج Reisig من أهم الباحثين في هذا الاتجاه. أن هدف البحث الدلالي عنده أن يبحث تغير الدلالة، وبعد هذا فإن من شأن البحث الدلالي أن يفيد في تبين الفروق بين المترادفات. وهنا نجد مجال الدلالة عنده ليس بحثا تاريخيا فحسب، بل هو أسلوبي أيضاً، فالتغير الدلالي أمر تاريخي، وتعرف المترادفات والظلال الدلالية بينها أمر أسلوبي. وكلا الأمرين كان عنده من مجالات علم الدلالة. إنّ رأي رايسج في التغير الدلالي دال على اتجاه البحث الدلالي في إطار المدرسة التاريخية. التغير الدلالي لا يحدث وفق قواعد اشتقاقية أو نحوية، بل له قواعده الخاصة به، والدراسة اللغوية تبحث التغير في الأصوات والصيغ وتكوين الجمل، وتبحث أيضاً التغير الدلالي، وهو تغير له قواعده التي ينبغي أن توضح لنا العلاقة بين المعنى القديم والمعنى الجديد.

إن التغير الدلالي عند رايسج له عدة اتجاهات :

أ ــ تخصيص الدلالة، أي إطلاق الكلمة ذات المعنى العام على معنى خاص ولكي نوضح هذه الفكرة بمثال عربي نلاحظ مثلا أن كلمة "مدرسة"

كانت تطلق في القرن التاسع عشر في مصر على كل مؤسسات التعليم، تخصصت بعد ذلك فأصبحت تطلق على مؤسسات التعليم العام والمهني أحياناً، ولم تعد تطلق على مؤسسات التعليم العالي.

ب ـ تعميم الدلالة، أي إطلاق الكلمة ذات المعنى الخاص على معنى عام. ولكي نوضح هذه بكلمات مستخدمة في العربية نلاحظ أننا نسمي دولة كبرى في أوربا باسم "ألمانيا"، وهذا الاسم في العربية مأخوذ بطريقة غير مباشرة- عن اسم تجمع بشري يشغل أحد الأقاليم في وسط أوربا على الحدود مع فرنسا، فهؤلاء الذين يعرفون باسم Alemannen ليسوا كل الشعب، بل هم جماعة منه، جاوروا فرنسا، فأطلق اسمهم في لغتها على كل الشعب، وأخذت العربية مع الاتصال بأوربا الحديثة هذه الكلمة عن الفرنسية. ولو ذكرت تلك الكلمة الألمانية في لغتها لدلت على جماعة من الشعب، ولكن الكلمة دخلت الفرنسية ثم العربية لتدل على كل الشعب.

جـ ـ التعبير بالكلمة الدالة على العضو لتدل على أثره، مثال ذلك في العربية كلمة لسان التي دلت على عضو في الفم، ثم دلت على ما يحدثه هذا العضو من أصوات تكون كلمات تؤلف جملا تحمل معنى، أي على اللغة. وإلى اليوم يتوازى كلا المعنيين، فنحن نذكر تشريحية اللسان، ثم نتحدث عن المدرسة بكلية الألسن. وشبيه بهذه الكلمة العربية بدلالتيها كلمة Tongue في الانجليزية.

د ـ التعبير بالكلمة الدالة على الشيء المادي لتدل على تصور معنوي، مثال ذلك في العربية أن نقول: هذه فكرة ثمرة جهد متصل، وكلمة الثمرة لا تدل هنا على الثمرة المادية الملموسة ذات الحجم واللون، ولكنها الثمرة بمعنى النتيجة. وقد تأكدت فكرة تحول الدلالة من المادي إلى المعنوي عند كثير من الباحثين في القرن التاسع عشر، فوجود كلمة بمعنيين أحدهما مادي والآخر معنوي كان يجعل

البحث يقدم المعنى المادى على المعنى المعنوى وصت هذه الفكرة سائدة فى البحث الدلالى التاريخى.

٢) كان للبحوث النفسية والأنثروبولوجية وإعجاب الكثيرين فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين بنتائجها أثر بعيد فى البحوث الدلالية، وتناول علماء النفس قضايا الدلالة من عدة جوانب فى إطار نظرياتهم ومناهجهم. وأهم الاتجاهات النفسية فى دراسة الدلالة قد تصورت على النحو التالى :

أ ـ حاول عدد من الباحثين فى أواخر القرن الماضى، منهم الألمانى هيخت (١٨٨٨) Hecht بحث قضية التغير الدلالى على أساس قواعد مطردة مستقرة فى النفس الإنسانية، وكان علم نفس الشعوب Völkerpsychologie ـ فى تلك الفترة ـ يهدف عن طريق المقارنة إلى معرفة تلك القواعد المطردة المستقرة فى النفس الإنسانية. كان بحث الدلالى المتأثر بهذا الاتجاه يحاول أن يفسر التغير الدلالى بالبحث عن الفعل النفسى الكامن وراء التغير.

ب ـ عرف الباحثون المواقف النفسية من بعض الكلمات، وأن مجموعات محددة تصنف فى إطار الكلمات المحرمة أى فى إطار التابو Taboo، وأمكن ملاحظة أن التابو اللغوى يجعل بعض الكلمات موضع حرج فلا تذكر فى الحديث العادى. وأهم هذه المجموعات ما يدل على الأمراض الخبيثة والوحوش الكاسرة وألفاظ الجنس. وفسر الباحثون فى علم النفس هذه المجموعات بملاحظاتهم حول ربط الإنسان بين هذه الكلمات وما تدل عليه. فكأن النطق باسم الحيوان المفترس استدعاء له، يتجنبه الإنسان خوفا من بطشه، وقد أدت هذه الظاهرة إلى تنوع كبير فى أسماء الحيوان المخيفة للإنسان فى كل بيئة لغوية، وما أكثر تسميات الأسد فى العربية وما أكثر تسميات الثعابين فى لغات كثيرة، وهى تسميات نشأت ـ فيما يبدو ـ لتكون صفات لهذا الحيوان، ثم استقرت بعد ذلك. أما الأمراض الخبيثة فنحن نتجنب ذكرها، وأصبح نطق اسمها إيذاء لشعور السامع، وكأن ذكر اسم

المرض تقريب لمرض نفسه من السامع. ولاحظ باحثون أيضا أن عوامل نفسية تكمن وراء تجنب ذكر كلمات دالة على الجنس بشكل مباشر، ويتم التعبير عنها في التعامل العلمي بكلمات أجنبية.

جـ - بحث سلوكيون من علماء النفس جوانب السلوك الانساني باعتبارها سلسلة تتألف من المثير Stimulus والاستجابة Response. وكان اللغوي الأمريكي بلومفيلد يبحث اللغة في إطار المدرسة السلوكية وشاركهم تصورهم في أن معنى الصيغة اللغوية هو الموقف الذي ينطق فيه المتكلم تلك الصيغة والاستجابة التي تثيرها هذه الصيغة لدى السامع. والمعادلة عنده على النحو التالي :

موقف المتكلم ←——— الكلام ←——— استجابة السامع

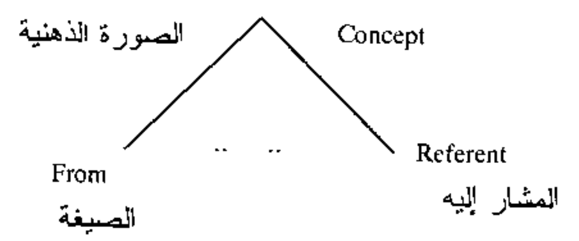
يرى بلومفيلد الصلة وثيقة بين موقف المتكلم والاستجابة لدى السامع. ولكن المواقف التي تجعلنا نستخدم الكلام تتضمن كل شئ في الحياة وكل ما يحدث في الكون، ولذا يرى بلومفيلد أن إعطاء تحديد دقيق لمعنى الصيغة اللغوية يشترط وجود معرفة دقيقة بكل شئ في عالم المتكلم. وهكذا عقد بلومفيلد أمر الدلالة وجعلها أضعف جانب في دراسة اللغة، حتى تكتمل معلوماتنا العلمية عن العالم.

د - قياس المعنى من أشهر جهود علماء النفس في التحليل الدلالي والفكرة الأساسية في قياس المعنى تقوم على وضع مجموعة معايير يمكن في ضوئها عمل اختبارات نفسية لذلك، الكلمة لها إيحاء وترتبط بمجموعة عناصر دلالية تختلف عما تشير إليه في الواقع الخارجي، وما المعنى إلا مجموعة العلاقات المصاحبة لاستخدام الكلمة بما تثيره لدى السامع من استجابة. وبهذا فقد وضع أصحاب قياس المعنى مجموعة أسئلة تكون الإجابة عنها محددة لإيحاء الكلمة، وهذه الأسئلة العشرون، نحو : هل هو سعيد أو حزين؟ هل هو صلب أو طرئ؟ هل هو طيب أم سئ؟ قد تفيد في

معرفة المعنى الانفعالى أو المعنى المصاحب، ولكنها لا تحدد المعنى الأساسى للكلمة.

اهتم اللغويون فى الخمسين عاما الماضة اهتماما متزايدا بمحاولة التعرف "طبيعة الدلالة". ويعد جهد الباحثين اللغويين فى هذا الاتجاه هدفا إلى بحث طبيعة الدلالة من داخل البنية اللغوية مع ربطها بالعوامل الخارجية، ولكن التركيز هنا كان على بحث الدلالة فى إطار البنية اللغوية، أى عدم الدخول إلى بحث المعنى من الخارج برؤية نفسية أو انثروبولوجية، بل يكون المنطلق بحث البنية الدلالية والإفادة فى هذا البحث من كل ما يعين على فهم ذلك. وأهم الجهود لتحديد طبيعة الدلالة تتلخص على النحو التالى :

أ ـ الثالوث الدلالى The Semiotic Triangle، هذه الفكرة جاءت فى كتاب الباحثين Richards و Ogden. وتقول الفكرة بأن الصيغة اللغوية (أو الكلمة) تثير فى العقل صورة ذهنية تشير إلى ما هية خارجية.



ومعنى هذا أن الصيغة اللغوية ترتبط دلالتها بالمشار إليه عن طريق الصورة الذهنية، وهذه الفكرة قديمة فى التراث العربى، فقد طرح سؤال قديم عن طبيعة المعنى، وهل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية أو بإزاء الماهيات الخارجية؟ وكان رأى الفخر الرازى: "اللفظ يتغير بحسب تغير الصورة فى الذهن، فإن من رأى شبحا من بعيد وظنه شجرا أطلق عليه لفظ الشجر. وهكذا يرى الرازى العلاقة غير مباشرة بين اللفظ والماهية الخارجية، ولكن العلاقة مباشرة بين اللفظ والصورة الذهنية، وهى فكرة تحمل نواة الثالوث الدلالى عند ريتشاردز وأوجدن.

ب ـ الوظيفة الدلالية وسياق الموقف The Context of Situation :

التحليل الدلالي في رأى اللغوي الانجليزي Firth له أهمية كبيرة في البحث اللغوي في كل مجالاته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. والمعنى في رأى فيرث هو مجموع الوظائف التي تقوم بها الصيغة اللغوية، وهي الوظائف الآتية:

أ ـ الوظيفة الصوتية، مثال هذا التمييز بين الوحدات الصوتية والصور الصوتية على أساس دلالي، فإحلال صوت محل آخر مع تغيير المعنى معناه أن كل صوت منهما وحدة صوتية مستقلة، وإحلال صوت محل آخر مع عدم تغير المعنى يدل على أن كلا الصوتين في إطار وحدة صوتية واحدة واختلاف التنغيم قد يؤدي إلى اختلاف المعنى. مثال هذا في العربية عبارة : سلام عليكم نطقها للتحية يختلف عن نطقها للإعراب عن الغضب.

ب ـ الوظيفة الصرفية ، وهذا معناه وجود ارتباط بين الصيغة اللغوية والدلالة، يتضح هذا من دلالة وزن "فاعل" في العربية على من قام بالفعل، وكل أوزان المشتقات في العربية لها ارتباطاتها الدلالية، وكذلك المصادر لها أوزانها وكثير منها ارتباطات دلالية: فُعَال للمرض وفِعَالة للحرفة وفَعَلان للحركة ... الخ.

جـ ـ الوظيفة النحوية، ونعني هنا ارتباط تراكيب بأعيانها بدلالات محددة فالجملة الشرطية لها تراكيبها والجملة الاستفهامية لها تراكيبها، وهناك علاقة وثيقة بين التركيب والدلالة.

د ـ الوظيفة المعجمية ، وهي الدلالة التي يحددها سياق الموقف، أي السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه الكلمة، ولذا أطلق عليها فيرث أيضاً: المعنى السياقي Contextual Meaning. وهكذا جعل فيرث المعنى قسيما للشكل اللغوي، وجعله محوراً أساسيا في التحليل في كل المجالات.

جـ - هناك حقيقة أساسية اتضحت في نظر المنهجي والتطبيق العملي عند اللغويين المعاصرين الباحثين في الدلالة، وأصبحت تشكل منطلقا أساسيا في التحليل. وهي حقيقة أن اللغة نظام متكامل في نفسه، له تكامله الداخلي، ولكل لغة نظامها الدلالي الخاص بها. تختلف اللغات في تصنيفها للظواهر الموجودة في الواقع الخارجي اختلافا بعيدا، فالعلاقة بين اللغة والماهيات الخارجية ليست علاقة مطابقة. وهدف البحث الدلالي أن يوضح طبيعة النظام اللغوي في علاقاته الدلالية. وليس من هدف البحث الدلالي أن يبحث خصائص الظواهر المادية والمعنوية المشار إليها. ومن ناحية أخرى فإن البحث الدلالي ينطلق من الواقع اللغوي ولا ينطلق من فروض وضعت بعيدا عنه. وبقدر قدرة الفروض التي تكونت في خارج علم اللغة على كشف طبيعة الدلالة والبنية الدلالية للغات يكون قبولها من اللغويين.



الفصل العاشر

البنية الدلالية

يعتمد البحث الدلالي على مجموعة من الوسائل يحاول عن طريقها دراسة البنية الدلالية في اللغات الطبيعية، إنَّ تعرف طبيعة العلاقات الدلالية للكلمات داخل اللغة الواحدة، وكذلك الوسائل اللغوية وغير اللغوية لتحديد المعنى تعد من أسس دراسة المجالات الدلالية وتحديد السمات الفارقة بين الكلمات التي يضمها كل مجال من هذه المجالات.

أولا: العلاقات الدلالية Semantic Relations:

العلاقات الدلالية بين المفردات في اللغة الواحدة متنوعة، منها علاقة الترادف وعلاقة الاشتراك اللفظي وعلاقة التضاد

١) الترادف Synonymy:

كان الفلاسفة اليونان أول من أثار قضية الترادف، فالعلاقة بين التسمية والمسمى كانت موضع البحث والجدل، الأشياء المادية الموجودة في الواقع الخارجي محدَّدة، وللشيء الواحد منها أكثر من تسمية، وعلى ذلك فهناك ترادف. والمقصود بالترادف وجود كلمتين أو أكثر بدلالة واحدة أي يشيران إلى شيء واحد. وقد انتقلت هذه القضية إلى المفكرين العرب من لغويين وغير لغويين، وقال بعضهم بوجوده في العربية، ولكن الرأي السائد لديهم أن الترادف الكامل غير موجود، فالمطابقة الكاملة بين دلالة كلمة ودلالة أخرى ضرب من المبالغة. وسادت فكرة أن الترادف تقارب في الدلالة وليس تطابقا.

وفكرة الترادف ذات أهمية خاصة في العمل المعجمي، كثيرا ما يشرح معنى الكلمة في المعجم بكلمة أخرى، وهذا يعني أن الكلمتين بمعنى واحد. ولكن المعاجم

لا تكتفي بهذه الطريقة وسيلة لشرح المعنى، بل تضيف تفصيلا وصفية توضح المعنى المراد. إن شرح بالمرادف له مشكلته المعجمية، إذ إنه يمكن أن يوقع القارئ في حلقة مفرغة، فلو شرحنا كلمة عظيم بأنها تعني كبير ثم شرحنا كلمة كبير بمعنى عظيم، نكون قد وقعنا في غموض يصفه بعض الباحثين بمصطلح: الدور Circularity وقد نظر الباحثون في المترادفات محاولين تصنيف ألفاظها في مجموعات، وأهم هذه المجموعات ما يأتي:

أ ـ الترادف بين مجموعة ألفاظ دخيلة ومجموعة ألفاظ موروثة، ففي الانجليزية مثلا نجد كلمات من أصل جرماني قديم تقابلها ألفاظ دخيلة من اللاتينية أو اليونانية فكلمة World من الجرمانية القديمة (في الألمانية Die Welt) وكلمة Universe دخيلة من اللاتينية Universum. ومثل هذا نجده في الكلمتين brotherly من الجرمانية القديمة (في الألمانية bruderlich) و Fraternal من اللاتينية Fraternus. وهذه الثنائيات ترجع إلى عامل تاريخي يتعلق بتكون مفردات اللغة الإنجليزية. وتوجد في اللغة العربية ثنائيات ترادف من هذا الضرب، بين لفظ دخيل ومقابله العربي. فجهاز التيلفون Telephon عرف بهذا بكلمة الأوربية الأصل وعرف بكلمة 'الهاتف'. والكلمتان مستخدمتان جنبا إلى جنب في البيئة اللغوية العربية؛ وثمة ثنائيات أخرى "Television" و 'مرناه أو إذاعة مرئية"، "ترين' Train و 'رَتْل' والكلمتان في تونس تسمية لما يسمى في المشرق بكلمة 'قطار' وكذلك الكلمة ذات الأصل الايطالي "Teatro" وكلمة 'مسرح'. ومع هذا كله، فثمة فرق في الاستخدام السياقي بين كل طرف من أطراف هذه الثنائيات، فالمعنى يتفق بين الكلمتين في مواقع محددة ولكنه مختلف في مواقع أخرى تستخدم فيها كلمة منهما ولا تستخدم فيها تلك فنحن نذكر: الهاتف من بعيد وليس هو التيلفون، ونذكر الرتل من الحسناوات وليس هو الترين Train ، وتكتب الصحف عن مسرح الجريمة وليس هو التياترو. وهكذا يمكن القول بأن هذه الكلمات

مترادفة فـي عـدد مـن سيقـات. ولكـن القـول بالمطابقـة الدلاليـة الكاملـة ضـرب من المبالغة.

ب ـ الترادف بين لفظين من مستويين لغويين مختلفين أو ألفاظ من بيئات لغوية مختلفة. وتوجد أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة في اللغات، ففصل الخريف يسمى في الولايات المتحدة الامريكية وبعض المناطق في غرب بريطانيا Fall ولكنه يسمى في باقي مناطق اللغة الانجليزية Autumn، والكلمتان مترادفتان لأنهما تدلان على المعنى نفسه، ولكن لكل منهما مجالها الجغرافي. وفي بعض دول المشرق العربي تطلق كلمة 'تَمُّوز' على الشهر المعروف في باقي الدول العربية بشهر 'يونيو'، وهنا نجد لأسباب تاريخية منظومتين كاملتين لأسماء الشهور الميلادية في العربية الفصحى المعاصرة. وثمة ترادف أيضا بين 'سيارة نقل' في مصر و 'شاحنة' في دول المشرق، وكذلك بين 'محطة بنزين' في مصر، 'طلمبة البنزين" في السودان، و'بنزينخانه' في العراق والدلالة واحدة. وفي مجال الأفعال نجد كذلك كثيرا من الترادف، فالفعل حجَّر في تونس يرادف منع في باقي الدول العربية. ويبدو أن اختلاف البيئات اللغوية جغرافيا كان من قديم وراء وجود المترادفات بكثرة في اللغة العربية.

جـ ـ الترادف باختلاف المعنى الانفعالي والتقويمي، وهنا نجد ثنائيات من الكلمات، تعبر الواحدة منها عن المعنى بمحتوى انفعالي أو تقويمي يختلف عن الأخرى. وحسبنا أن ننظر في المجال السياسي، لنجد ثنائيات من الكلمات، بل نجد أكثر من كلمتين لوصف موقف ما من زاويتين مختلفتين. قد يوصف الشخص بأنه 'محافظ' وهذه كلمة إيجابية الدلالة ولكن وصفه بأنه 'رجعي'، أو متزمت، يحمل حكما تقويميا سلبيا عليه. وعلى العكس من هذا فإن وصف الشخص بأنه 'مجدد' يكسبه درجة من الاحترام في عدة دول عربية، ولكنه اذا وصف بأنه 'تقدمي' أو 'ثوري' كان ذلك محل شبهة في هذه الدول. وكلمة 'رجل دولة" توحي

بالتقدير، ولكن بيئات كثيرة تستخدم كلمة "سياسي" وفيها ايحاء الحيلة والدهاء. ومن هذا الجانب الانفعالي والتقويمي تختلف دلالة كثير من كلمات اللغة التي تصنف في إطار المترادفات.

وأخيرا، فإن الفيصل في تحديد كون الكلمتين مترادفتين كامن في السياق، فإذا أمكن انتزاع كلمة من جملة وإحلال كلمة أخرى محلها دون تغيير المعنى فالكلمتان مترادفتان. وهذا ممكن - في حالات بأعيانها - ولكن ينبغي التحفظ في ذلك في محاولة التحديد الدقيق للمعنى. وهنا تختلف أكثر المترادفات، ولذلك يعد الترادف عند أكثر اللغويين المعاصرين تقاربا دلاليا وليس مطابقة دلالية كاملة.

٢) الاشتراك اللفظي Homonymy وتعدد المعنى Polysemy مصطلحان مختلفان يجعلهما بعض الباحثين موضوعين مستقلين، ويجمع بينهما باحثون آخرون. يتفق المصطلحان في دلالة كلمة واحدة على مدلولين اثنين، ولذا فهذه الظاهرة عكس الترادف. ودلالة كلمة واحدة على معنيين أو أكثر مما يلاحظ في اللغات المختلفة. فكلمة Bank في الانجليزية والألمانية تعني شاطئ النهر كما تعني تلك المؤسسة المالية. وكلمة 'عين' تعني في العربية عين الانسان، وعين الماء، وعين الابرة، والعين - أيضا - الجاسوس. ووفق هذا الرأي فإن الاشتراك اللفظي لايعني اختلاف الدلالة في إطار الكلمة الواحدة، وذلك أن وجود معنيين اثنين أو أكثر للصيغة اللغوية الواحدة يدل على وجود كلمتين أو أكثر، فالكلمة صيغة لغوية دالة على معنى، فإذا تنوعت الصيغ اللغوية أو تعددت الدلالات تعددت الكلمات، حتى لو حدث مشترك لفظي. أما تعدد المعنى فيعني أن الكلمة واحدة ولكنها ذات معنيين، أحدهما هو المعنى الحقيقي والآخر هو المعنى المجازي. وبعض اللغويين يجعل الحد الفاصل بين الاشتراك اللفظي وتعدد المعنى موضوعا في تاريخ اللغة. المشترك اللفظي يعني هنا أن كلمتين مختلفتين تغير نطقهما عبر الزمن، وأصبحتا تنطقان

نطقا واحدا، مثا see يـرى sea بحر. النطق و حـد والمعنـى مختلف، وهـذا مـن المشترك اللفظى لتعدد الأصول.

الفرق اذن بين الاشتراك اللفظى وتعدد المعنى متعلق بتاريخ الكلمة، وله بالتـالى أثره فى العمل المعجمى، فالدلالتان المختلفتـان لصيغـة صوتيـة واحـدة تعـدان كلمتين مختلفتين فى إطار المشترك اللفظى فيكون لهما فى المعجم مدخلان مختلفان، وتعدان كلمة واحدة فى إطار تعدد المعنـى فيكـون لهمـا فـى المعجـم مدخـل واحـد. وهكـذا يهدف التمييز بين الأمرين إلى تحديد المداخل المعجمية. ويقوم التمييز بين هذا وذلـك بوسائل تأصيلية اشتقاقية، فكثيرا ما تكـون الصيغـة اللغويـة الواحـدة ذات الدلالتيـن مـن أصلين مختلفين، يحمل كل أصل منهما اتجاه إحدى الدلالتين. مثال هـذا فـى العربيـة: الكلية فى عبارة مثل: كلية الآداب. تختلف دلالتها عن عبارة قضية كلية. المعنى الأول دال على مؤسسة أكاديمية تخصصية أو بالأحرى على جزء من الجامعة، والمعنى الثانى دال علـى العمـوم والشـمول. ولا علاقة بين المعنيـين. ولكـن القـول بأنهمـا كلمتـان مختلفتان اتفقتا ـ فقط ـ فى الصيغة اللغوية، يقـوم علـى أسـاس أن الأولـى مأخوذة مـن كلمة College الانجليزية والكلمات الأوربيـة المماثلـة لهـا فـى الأصـل لدلالـة علـى المدرسة الثانوية أو المدرسة العليا. والثانية مأخوذة من المادة السامية القديمـة الممتـدة عبر القرون فى العربية واللغات السامية الحديثة، وهى مادة (ك ل ل) الدالة على العمـوم والشمول. وعلى العكس من هذا نجد الدلالات المختلفة لكلمة 'عين' تمثل دلالات مختلفة لكلمة واحدة، أى من أصل اشتقاقى واحد، والكلمـة ترجـع الى المعجـم السـامى المشـترك وامتدت فى تاريخ العربية عبر القرون.

ولكن المشكلة الأساسية فى قضية تعدد المعنى ـ وكذلك فى الاشتراك اللفظى ـ خاصة بإيضاح حدود المعنى الواحد عن المعنى الآخر. ولنأخذ عددا من الألفاظ الدالـة على تنـاول الطعـام والشـراب والدخـول فـى ثـلاث لغـات، هـى العربيـة مـن جـانب والإنجليزية والألمانية من الجانب الآخر، وهـى الأفعـال: أكـل، وشرب، ودخـل فـى

العربية من جانب، ثم في الانجليزية والألمانية to eat = essen, to drink = trinken, to smoke = rauchen من الجانب الآخر. وليس صحيحا أن الفعل eat, essen له دلالة واحدة، فتناول الطعام المطبوخ مثل اللحم يختلف بالضرورة عن تناول الحساء، ومع هذا ففي الألمانية والانجليزية لكلا الأمرين فعل واحد في كل منهما. أما التدخين فله فعل آخر في كل لغة منهما، فهل يعد الفعل eat, essen - في هذا المجال - ذا دلالة واحدة أو دلالتين. فليست حدود المعاني على نحو واضح بلا غموض. ولكن يكفي لإيضاح القضية أن نبين أن الانجليزية والألمانية في هذه المجموعة من الأفعال تحددان طريقة التناول إما أكلا بأدوات المائدة أوشربا مباشرا كما يشرب الماء من الكوب، في حين تنطلق العربية من طبيعة المادة التي تُتَناول، جامدة كانت أو غير جامدة، فتناول الجامد "أكل" وهو ما يمضغ، ونعبر الجامد "شرب" سائلا كان أو دخانا، ثم يأتي الفعل "دخّن" ليشغل حيزا جزئيا من دلالة الفعل "شرب". وهكذا تتداخل حدود الدلالات وتختلف من لغة لأخرى.

٣) التخالف Antonymy:

التخالف علاقة دلالية أساسية، وتعد من أهم العلاقات المحددة لدلالة الكلمة. إنّ تعرف الكلمات الواقعة مع كلمة أخرى في علاقة تخالف يحدد لنا دلالات هذه الكلمة عن طريق ثنائيات التخالف، فكل ثنائي يمكن أن يرشدنا إلى معنى من معاني الكلمة. ولنضرب لذلك مثلا بكلمة: ساعة، فيمكن أن تكون في الثنائيين التاليين:

ساعة / دقيقة ساعة / منبه

التخالف الأول يدخل بنا في معنى الساعة باعتبارها وحدة زمنية، تخالف - أيضا - اليوم والشهر والسنة. أما التخالف الثاني فيدخل في معنى الآلة المحددة للزمن، وهنا تأتي ساعة (الحائط أو اليد، أوالجامعة) في مقابل المنبه، وكأن رنينه الموقظ جعل منه شيئا له كلمة مستقلة عن باقي الآلات المحددة للوقت. وهذا تحديد في إطار

المفردات العربية، وفي لغات أخرى نجد توزيع الكلمات والدلالات مختلفا، والمهم هنا أن نثبت كون كل علاقة تخالف ثنائي مثبتة لمعنى معين.

ولكن التخالف ليس دائما ثنائي العناصر، ففي حالات كثيرة ليس من الممكن وجود هذه الثنائيات، بل تكون الكلمة في مجموعة دلالية ذات علاقة تخالف. فالألوان مثلا تكون مجموعة دلالية في كل لغة من اللغات، والذي يحدد كون العناصر المكونة للمجموعة الدلالية في علاقة تخالف أن يكون وجود عنصر منها نافيا لوجود باقي العناصر. فاذا وصف شئ ما بأنه أزرق، فمعنى ذلك أنه ليس أبيض وليس أسود وليس أحمر، وهكذا.

وفي بحث التخالف تتضح أيضا فكرة التدرج Gradability في الصفات، فإذا قورن شيئان قلنا: (هذا البيت كبير، وذلك البيت أكبر) كنا - في رأي عدد من الباحثين - أمام مثال من تخالف التدرج، ومثل هذا يمكن أن ينظر إليه في الجمل التي تنفي صفة من الصفات ولا تتضمن بالضرورة إثبات العكس منها. فلو قلنا (هذا البيت ليس كبير) لا يعني هذا بالضرورة أنه صغير، بل قد يكون متوسط الحجم، وهكذا نجد فكرة التدرج في الصفات أساسية في فهم طبيعة التضاد.

٤) درجة العموم Hyponomy:

العموم والخصوص من العلاقات الدلالية الأساسية، وتختلف الألفاظ في داخل المجموعة الواحدة من هذا الجانب اختلافا بعيدا. ففي مجال الحيوان مثلا نجد كلمة ذات دلالة عامة تشمل تحتها كلمات كثيرة أخرى، كلمة 'حيوان" من ألفاظ العموم والكلمات: أسد، نمر، قط، فرس، كلب من الكلمات الداخلة تحت كلمة 'حيوان .

وفي هذه الكلمات بالتالي درجة ما من العموم، فيمكن أن نجد مثلا تحت أية كلمة منها مجموعة أكثر تخصصا ولذ ليس الأمر خاصا بدرجة من العموم وأخرى من الخصوص، بل يمكن ترتيب الكلمات الخاصة بذلك في شكل هرم دلالي.

وتختلف اللغات من هذا الجانب اختلافا بعيدا، فكلمة "مجلة" في العربية تدل على مجموعة من المطبوعات الدورية العلمية والترفيهية المصورة، في حين تجعل اللغة الألمانية لدورية العلمية اسما هو Zeitschrift. أما الدورية الترفيهية المصورة فهي Illustrierte. وكلمة "طالب" في اللغة العربية أوسع دلالة من كلمة Student في الألمانية، فالكلمة العربية تطلق - في المقام الاول - على الدارسين في الجامعة في مرحلتي التعليم العام والدراسات العليا، بل تطلق أحيانا على تلاميذ المدارس الثانوية وعلى الدارسين بمراكز التدريب المهني، أما في الألمانية فيقابلها Schüler لطالب الثانوي، ثم Student لطالب مرحلة الليسانس، ثم Kandidat لطالب الدراسات العليا، أما Praktikant فهي لمتدرب في التعليم المهني. وكلمة "كلية" في العربية أوسع دلالة على من مقابلها في الألمانية، فنحن نطلقها على المعهد الأكاديمي مثل كلية الآداب، وعلى معهد إعداد الضباط مثل كلية الشرطة أو الكلية الحربية، وعلى معهد إعداد المهندسين التطبيقيين مثل كلية الفنون التطبيقية. وعلى بعض المدارس مثل كلية رمسيس بالقاهرة أو كلية سان مارك بالاسكندرية. وهكذا تختلف درجة العموم والخصوص في دلالة الكلمات بين اللغات المختلفة، مما يجعل محتواها الدلالي غير متطابق. وهذا يفرض على المعجمي مراعاة ذلك.

ثانياً : مصطلحات دلالية في التراث العربي :

ترد في التراث العربي مصطلحات دلالية - لم نشر إليها من قبل - وبها رؤية لبعض القضايا الدلالية. من هذه المصطلحات: الأضداد، والتعريب.

١) **الأضداد**: المقصود بالأضداد استخدام كلمة بمعنيين متضادين مثل دلالة الجون على الأبيض والاسود. وقد ألف اللغويون العرب سلسلة من كتب الأضداد أقدمها لابن السكيت، وأشهرها كتاب الأضداد للأنباري. وقد ضم مؤلفو كتب الأضداد مجموعة من المفردات التي وجدوا فيها دلالة على المعنى وضده[١]. ولكن البحث

(١) حول الأضداد في اللغات السامية، انظر:

Nöldeke, Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1904-1910.

الحديث يميز بين مثل هذه الكلمات على نحو يجعلها خارج دائرة الاضداد، وذلك في ضوء مايأتي:

أ ـ تبين المعنى المركب الدال على شيئين في الوقت نفسه، فعندما نجد الجون في الدلالة على الأبيض والأسود في وصف الحمار الوحشي، فقد يعنى أنه مخطط، وليس لكون الكلمة تدل على لونين ضدين.

ب ـ التمييز بين التراكيب على أساس اختلاف حروف الجر، وعلى هذا فالفعل رغب ليس فيه ضديه، بل التركيب (رغب في) له دلالة تختلف عن (رغب عن)، واختلاف حرف الجر هنا سمة فارقه في المعنى.

جـ ـ مراعاة دلالة بعض الألفاظ على العموم، فكلمة (إنسان) تدل على (الرجال) كما تدل على (النساء)، تدل على (الأطفال) وتدل على (الكبار) أيضاً، ومن غير الصحيح أن ننشد فيها ضديه لمجرد أنها دالة على العموم.

د ـ وجود معنيين مختلفتين للحدث الواحد بسبب رؤيتين مختلفتين للحدث نفسه فالفعل (فتح) في العبارة فُتحت القنطرة، يعنى أنها فتحت لمرور السفن في حين أنها أغلقت أمام السيارات.

هـ ـ ضرورة التمييز في بحث الأضداد بين المستويات اللغوية في اللغة الواحدة، وكذلك بين لغات الفرع الواحد، الفعل (وثب) يدل في العربية الشمالية على القفز، لكنه يدل في العربية الجنوبية وغيرها من اللغات السامية على الإقامة والاستقرار. وهنا يوجد تضاد في المعنى للكلمة ذات الأصل الواحد، غير أن هذه الكلمات تكونت دلالاتها عبر الزمن في لغات مختلفة، وليست متضادة عند جماعة لغوية واحدة.

٢) **الغريب** : المقصود بالغريب تلك الألفاظ البائدة التى قل استخدامها فأصبحت المعرفة بها غريبة عند أبناء الجماعة اللغوية، فإذا ما استخدمت نجمت ضرورة

شرحها وإيضاحها. وقد خصص اللغويون المعرب كتب، مثل المعرب المصنف لأبي عبيد (المتوفى سنة ٢٣١ هـ)، وهناك فصول كثيرة للمعرب، في المزهر للسيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) وغيره من كتب اللغة.

والمشكلة التي تواجه البحث في تلك الألفاظ التي جمعها اللغويون من المعرب أنها تمثل موقفا، إنه موقف اللغويين في القرن الثالث للهجرة في بيئة زراعية في العراق من الاستخدام اللغوي في البادية قبل ذلك التاريخ، يتضح هذا : مثلا من أنهم جعلوا كلمة 'القَليب' من المعرب، وهذه الكلمة تعني البئر، وهي الكلمة الأكثر شيوعا حتى اليوم عند أكثر القبائل في جزيرة العرب. هي غريبة — إذن عن بيئة العراق، ولكنها مألوفة شائعة عند بدو الجزيرة العربية. ومن ثم ينبغي أن توضع قضية المعرب في إطار فكرة تنوع المستويات اللغوية جغرافيا وزمنيا.

ثالثاً : أنواع المعنى :

تختلف كلمات اللغة من عدة جوانب تتعلق بنوع دلالتها، ولهذا أثره في كيفية تحديد دلالتها في المعجم وفي نوع المعلومات التي تقدم في المعجم إيضاحا لها. وقد استقرت لعدة أنواع من المعنى مجموعة مصطلحات، أهمها:

١) المعنى الاشارى : Ostensive meaning :

المقصود بالمعنى الإشارى المعنى الذى يمكن إيضاحه بالإشارة إلى الشئ المدلول عليه، فإذا سئل أحدنا وهو راكب قطارا عن الحصان فأشار من النافذة قائلاً: هو ذلك الحيوان تحت الشجرة. كان المتحدث قد أفاد من الاشارة لتحديد المعنى.

وثمة مجموعة ملاحظات حول المعنى الاشارى ترد عند المتخصصين في الدلالة:

١) المعنى الإشارى مرتبط بدرجة عالية من التوقع بشأن شكل الشئ موضع الاستفسار، فالاشارة تتم — عادة — إلى منظر به أشياء كثيرة، والتوقع هو ما يساعد على استخراج الشئ المعنى من بين كل عناصر الصورة.

٢) المعنى الإشارى يطبق ـ فقط ـ على مجموعة محدودة من الأشياء، وهى تلك الأشياء المادية ذات الشكل الواضح والمتميز. فثمة أشياء مادية كثيرة ليس من السهل عرضها في أشكال واضحة، فالأحماض مثلا لا تتميز بأشكالها. وهناك أشياء كثيرة متعددة الأشكال.

٣) تطبيق فكرة المعنى الإشارى في عمل المعجمى تقتصر على الإفادة من الصور في المعاجم العامة باعتبار الصور وسيلة إيضاح مناسبة، وكذلك فى إعداد المعاجم المصورة، وهى المعاجم التى تقوم على الصور فى صفحة وأسماء الاشياء التى تضمها الصورة فى الصفحة نفسها أو فى الصفحة المقابلة. وهكذا يلاحظ أن المعنى الاشارى وسيلة لايضاح المعنى في قطاع من المفردات. ولعل أهم مشكلة تواجه هذه الطريقة في تحديد المعنى أن الحدود غير واضحة في كثير من الحالات، فنحن نعرف في العربية كلمة (جَبَل) كما نعرف كلمة (تَلّ). ولكن ما الارتفاع المطلوب الذى يجعلنا نقول بأن هذ (تل) أو أن هذا (جبل)؟ ولدينا في العربية في مصر كلمة (كتكوت) وكلمة (دجاجة)، ولكن ما الفرق بينهما؟ أى ما الحجم الذى الذي يقرر لنا كون هذا داخلا في الكلمة الأولى أو فى الكلمة الثانية؟ وعدم وجود هذه الحدود الفاصلة فى الواقع المادى يجعل الأمر قضية تسمية لغوية، وليس أمر مطابقة بين النظام اللغوى والواقع الخارجي.

٢) المعنى المعجمى والمعنى النحوى :

المعنى المعجمي Lexical Meaning هو المعنى الذى يقدمه المعجم للأسماء والأفعال شرحا لدلالتها مستفيدا من كل ما يتاح من وسائل لتحديد المعنى. ولكن المعنى النحوى البنيوى Grammatical Meaning = Structural M. هو الإكمال الطبيعى للمعنى المعجمي.

وقد أوضح اللغوى الامريكى فريز Fries أن المعنى البنيوى يتناول ثلاثة أمور:

أ ــ دلالة الأدوات، مثل حروف العطف وحروف الجر .... إلخ.

ب ــ دلالة الوظائف النحوية، مثل الفاعلية والمفعولية.

جـ ــ دلالة نمط الجملة، مثل: الدلالة في الجملة الشرطية.

وتطبيق هذا في العمل المعجمي يتضمن أمرين:

الأول : لايجوز أن يقتصر المعجم على الأسماء والأفعال، بل عليه أيضا أن يسجل دلالة الأدوات، وقد اهتم النحاة العرب بهذه الأدوات ودلالالتها اهتماما كبيرا فألفوا في ذلك كتبا، مثل معاني الحروف للرماني (المتوفى ٣٨٥ هـ)، ومغني اللبيب لابن هشام الانصاري (المتوفى ٧٦٢ هـ). وهناك معاجم عربية تناولت قدرا من دلالة الأدوات، ولكن الإفادة الكاملة من هذه الفكرة والاهتمام ببيان الوظائف النحوية في داخل موادها في المعجم يعدان ضروريين في المعجمات الحديثة.

الثاني : ينبغي في العمل المعجمي بيان الوظائف النحوية بالقدر الذي تسمح به صيغة المادة، فالأفعال مثلا فيها: اللازم والمتعدي لمفعول واحد والمتعدي لمفعولين والمتعدي لثلاثة مفاعيل، وهناك أفعال تلزم البناء للمجهول. ومن الأسماء ما يستخدم للمذكر فقط، ومنها ما يكون للمؤنث فقط، ومنها ما يكون للمذكر والمؤنث معا. وكل هذه الوظائف النحوية لها مكانها في المعجم في داخل كل مادة ومع كثير من الكلمات.

وثمة فروق عند كثير من الباحثين، وفي مقدمتهم مارتينية Martinet وهاليداي Halliday بين الوحدات النحوية والوحدات المعجمية، أي الوحدات التي تبحث من ناحية المعنى النحوي والوحدات التي يشرح معناها المعجمي. ويقوم التمييز بين المجموعتين على أساس كون المجموعة الأولى مغلقة محدودة والثانية مفتوحة قابلة للنمو والزيادة. المجموعات المغلقة Closed Sets محددة ثابتة لاتزيد بزيادة النصوص التي يقوم الباحث بتحليلها، مثال هذه المجموعات: الضمائر وأسماء

الإشارة والأسماء الموصولة وعبر هذا. أما المجموعات المفتوحة Open Sets فهى قابلة للزيادة بالنمو الطبيعى لمفردات اللغة، وهى لذلك غير محدودة وكثيرة، وأعدادها تقبل الزيادة. ويرى هؤلاء الباحثون التركيز في المجموعة المغلقة على بيان المعنى النحوى في حين يكون التركيز في المجموعة المفتوحة على بيان المعنى المعجمى وما يصاحبه من معطيات نحوية.

٣) المعنى في العلاقات التركيبية :

هناك علاقات تركيبية من أنواع مختلفة، والمقصود بالعلاقة التركيبية ارتباط أكثر من كلمة على نحو يجعل استخدامهما أو استخدامها متلازما لأداء المعنى المراد. وأهم أنواع العلاقات التركيبية :

أ ـ التضام : Collocation

التضام يعنى ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية، ويكون معناها مفهوما من الجزيئات المكونة لها. فكلمة كرسى، مثلا تستخدم في عدة تراكيب على سبيل التضام، وتدور هذه التراكيب حول معنيين اثنين، أولهما يظهر في التراكيب: جلس على الكرسى، صنع كرسيا، كرسى منخفض، كرسى خشبى، كرسى حديدى، أما المعنى الثانى فهو في تراكيب، مثل كرسى الفلسفة كرسى علم اللغة، كرسى الأستاذية. واضح من هذه التراكيب أن المعنى الأول داخل في المجال الدلالى للأثاث والمعنى الثانى داخل في المجال الدلالى للوظائف، ومعنى تركيب التضام جمع لمعنى المكونات وجميع هذه التراكيب منطلق أساسى لتحديد المعنى.

ب ـ التراكيب الثابتة : Idioms

هناك عدة أنواع من التراكيب الثابتة، تكون من كل منها أكثر من كلمة في علاقة تركيبية لها دلالتها التى لاتتكون من مجرد مجموع دلالات العناصر المكونة لها. وفي كثير من الحالات نجد التركيب الثابت في لغة من اللغات تقابله كلمة واحدة

في لغة أخرى. إن ثمرة من نوع الحمضيات تسمى في مصر (يوسف أفندى). وهذا تركيب ثابت ومعناه لا يؤخذ من دلالة الكلمتين المكونتين له، واسمه في دول عربية أخرى (ماندرين)، وهنا نجد كلمة واحدة دخيلة في مقابل تركيب ثابت. ومثل هذا يقال في (قمر الدين)، ومعناه ليس جمعا لدلالة القمر مع الدين.

وهناك تراكيب ثابتة ذات عنصرين تربطهما الواو، ومن هذه التراكيب (لأحصر ولباس)، (عربي والعجمي). وهذه تراكيب يتجاوز معناها معنى العنصرين المكونين لها إلى دلالة العموم والشمول.

جـ ـ العبارة الجاهزة : Ready-made Utterances

المقصود بالعبارات الجاهزة تلك التراكيب المكونة من أكثر من كلمة، وتطول عادة إلى أكثر من كلمتين، وذلك مثل عبارات التحية: كيف حالك؟ صباح الخير، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام، تشرفنا. وهي عبارات يتعلمها ابن اللغة باعتبارها عبارات متكاملة، تدل بكلماتها دلالة محددة، وهي دلالة يعطيها التركيب كاملا متجاوزا دلالات الجزيئات المكونة. ومعنى هذا أن مستخدم اللغة لايكونها من جديد في كل مرة. وهذه العبارات تستخدم في مواقف اجتماعية متكررة، وتعد عنصرا لغويا في طقس اجتماعي.

وقد لاحظ عالم الانثروبولوجيا مالينوفسكي B. Malinowiski أن ثمة أحداثا كلامية كثيرة ـ وفي كل البيئات ـ لاتهدف إلى نقل معلومات أو الأوامر أو التعبير عن أمل، بل هدفها مجرد إثارة الشعور بالود والروح الاجتماعية. أطلق عليها مصطلح Phatic Communion. وبعض هذه العبارات الجاهزة داخل في هذه الأحداث الكلامية، ولكن بعض العبارات يتكون من عناصر تكاد تكون ثابتة بدرجة محدودة من المرونة. ففي مجال الترحيب بإنسان يمكن القول: فرصة عظيمة، فرصة سعيدة، أنا سعيد بهذه الفرصة. وهنا المرونة قائمة ولكنها محدودة، أما البائع عندما يقول للداخل

إلى محله: أهلا وسهلا، فهو لا يعنى عناصر التركيب، بل هى عبارة جاهزة فى موقف ترحيب لإثارة درجة من الود والأمن.

وفي العمل المعجمى ينبغي النظر فى كل العلاقات التركيبية بأنواعها المذكورة باعتبارها علاقات أساسية في المعنى، ولذا ينبغي مراعاة ذلك في تحديد المداخل وأن تكون هذه التراكيب الثابتة والعبارات الجاهزة كاملة كعناصر في المعجم، ولا يجوز تمزيقها إلى عناصرها المكونة.

رابعاً : السياق : Context

كلمة السياق كثيرة الدوران في البحوث اللغوية، تناولها الباحثون في الدلالة بمعنيين مختلفين، يمكن تحديدهما في أمرين، هما السياق اللغوى Linguistic Context على عكس السياق الاجتماعي Social context، ويسمى السياق الاجتماعي عند فيرث Firth باسم Context of Situation أى سياق الموقف. وعند بالمر Palmer باسم Non Linguistic Context أى السياق غير اللغوى[1] . وهناك باحثون يستخدمون كلمة السياق دون تمييز بين السياق اللغوى من جانب والسياق الاجتماعي من الجانب الآخر.

ويشمل السياق اللغوى كل العلاقات، وهى كل العلاقات التى تتخذها الكلمة فى داخل الجملة. وهذه العلاقات الأفقية Syntagmatic relations على عكس العلاقات الجدولية Paradigatic relations وهى العلاقات الاستبدالية التى تتخذها الكلمة مع كلمات أخرى يمكن أن تحل محلها. وإيضاح هذا بالأمثلة على النحو التالى:

أمثلة العلاقة الأفقية : قام بو جهه، شجرة باسقة، كتاب قيم، علم الدلالة.

---

[1] انظر Firth, Papers in Linguistics, Lyons, Introduction 413; Palmer, Semantics 43-58, 92-101.

أمثلة العلاقات الجدولية: جلس الطالب على الكرسي، جلس الأستاذ على الكرسي، جلس المدير على الكرسي.

وعلى هذا فالعلاقة بين (قام) و (واجب) أفقية، وكذلك بين (شجرة) و(باسقة)، وبين (كتاب) و (قيم)، وكذلك بين (علم) و (الدلالة).

أما العلاقة الجدولية فنجدها بين الكلمات التي يصح استخدامها في الموقع نفسه في الجملة الواحدة، وهي كلمات: الطالب والأستاذ والمدير.

في إطار البحث الدلالي تعد العلاقات الأفقية ـ بكل أنواعها ـ موضوعا للسياق اللغوي، ويدخل في هذا بالضرورة ظواهر مختلفة منها التضام والتراكيب الثابتة والعبارات الجاهزة. ويتناول كل ما يربط كلمتين أو أكثر في سياق لغوي مثل:

ـ اسم + حرف جر	الحق له، الحق عليه، باقة من الورود، مجموعة من
ـ فعل + حرف جر	رغب في، رغب عن .
ـ مضاف + مضاف إليه	رئيس الجامعة، طالب الجامعة.
ـ صفة + موصوف	فكرة جديدة، فكرة قديمة.
	فتاة طويلة، شجرة باسقة.
ـ فعل + مفعول به	أصدر مرسوما، أعلن خبرا.

وهكذا تعد كل علاقات السياق ضرورية في العمل المعجمي.

أما السياق الاجتماعي فهو أيضا ضروري في تحديد الدلالة، ويكفي أن نشير إلى أن عبارة (سلام عليكم) تحمل دلالات تختلف باختلاف التنغيم في نطقها وفقا للمواقف الاجتماعية المختلفة، فنطقها عند الغضب يختلف عنها عند التحية. ودراسة استخدام الكلمة أو العبارة أو التركيب في الموقف الاجتماعي أمر متعدد الجوانب، ولابد من أن تضع الدراسة العناصر المختلفة المحددة لطبيعة هذا الموقف، وفي مقدمتها:

أ ـ الزمن (وقت العمل، وقت الراحة الأسبوعية، وقت العطلة الصيفية .... إلخ).

ب ـ المكان (مكان عمل، منزل، نادى، مدرسة، قطار .... إلخ).

جـ ـ مكانة المتحدث (الوظيفة، الثروة، العمر . إلخ).

د ـ مكانة المخاطب (الوظيفة، الثروة، العمر ... إلخ).

هـ ـ العلاقة بينهما (رسمية، قرابة، صداقة، عدم معرفة).

و ـ الأفعال غير اللغوية المصاحبة للحدث (حركات اليد، قسمات الوجه ...).

ز ـ الموضوع (موضوع عمل، موضوع شخصى، موضوع سياسى ...).

ح ـ العناصر المادية المحيطة بالموقف (المنظر الطبيعى، المنزل).

ط ـ المعرفة السابقة بما دار (الموضوع جديد، استكمال موضوع قديم ...).

خامساً : المجالات الدلالية : Semantic Fields :

تعد نظرية المجال الدلالى من أهم نظريات البحث اللغوى الحديث، طورها عدد من الباحثين في ألمانيا وأمريكا، وأهمهم ترير Trier [1] ونايدا Nida [2]. وتقوم هذه النظرية على مبدأ التقابل، فلو كان الكون كله بلون واحد لما كنا في حاجة إلى كلمات للألوان ووجود كلمات مجتمعة في مجال دلالى واحد يفرض علينا في بحث دلالة كل كلمة أن نحدد العلاقات الدلالية التى تربطها بالكلمات الأخرى داخل نفس المجموعة الدلالية، فالكلمة لاتتخذ قيمتها الدلالية في نفسها ولكنها تتحدد بالنسبة لموقعها في داخل المجال الدلالى.

---

(١) عنوان كتاب ترير :

Trier, Jost. Der Deutsche Wortschatz im Sinnbezirk des Verstandes. Heidelberg, 1931.

(٢) آخر كتب نايدا وأهمها في هذا المجال .

F. Nida, Componential Analysis of Meaning, 1975.

ولنأخذ مثلاً إحدى الكليات الجامعية تمنح تقديرات (ممتاز، جيد جداً، وجيد، ومقبول). في حين تمنح كلية أخرى تقديرات (ممتاز، جيد، ناجح). فهنا نجد كلمة (جيد) اختلف معناها في النظامين، وكلمة (ناجح) في النظام الثاني ليس لها مقابل مباشر في النظام الأول وإذ أردنا أن نحدد قيمة كل تقدير من هذه التقديرات علينا أن نعين موقعه في داخل نفس النظام الذي ينتمي إليه. ففي العمل المعجمي لا يصح أن نقول عن (ممتاز) تقدير رفيع وعن (جيد جداً) تقدير رفيع، وهذا خطأ عندما نسوى بين كلمتين ـ ثبت لنا ـ أنهما غير مترادفتين وعلينا أن نضع التقديرات بالنسبة إلى بعضها البعض، فيكون تقدير (ممتاز) أعلى التقديرات الجامعية، أما (جيد جداً) فهو تقدير جامعي أقل من ممتاز وأعلى من جيد وبهذا نكون قد حددنا قيمته في داخل المجموعة التي ينتمي إليها.

وثمة مثال آخر يوضح فكرة نسبية الدلالة، وهو مثال خاص بالرتب العسكرية، وهنا ينبغي على المعجمي أن يحدد موقع الرتبة بالطريقة السابقة، فلا يجوز أن يقول عن رتبة (عميد) رتبة عسكرية عالية وعن رتبة (لواء) رتبة عسكرية عالية، وكذلك رتبة (فريق)، ففي هذا تمييع للحدود الفاصلة دلاليا. ويمكن أن يوضح هنا بيان موقع الرتبة، ففي شرح كلمة (عميد) رتبة عسكرية ضابط عظيم أعلى من عقيد وأقل من لواء. وهكذا في باقي الرتب العسكرية.

ويتضح لنا من مثال (عميد) ضرورة بحث هذه الكلمة في عدة مجالات دلالية ففي الوظائف الجامعية نجد أيضاً كلمة عميد، ومن ألقاب التكريم بين العلماء نجد (عميد الأدب العربي)، ومن ألقاب التكريم الأسرى نقرأ عن (عميد العائلة ..) وفي المجال الدبلوماسي نقرأ عن (عميد السلك الدبلوماسي). وهكذا نجد أنفسنا مطالبين ببحث كلمة (عميد) في كل مجالاتها الدلالية، فنحصل على دلالتها في كل مجال من هذه المجالات.

ولكن الأمر في كثير من الكلمات يحتاج إلى تحديد عدد من المعايير التي يمكن على أساسها أن تعرف الدلالة الدقيقة للكلمة في إطار مجموعتها الدلالية. فإذا أردنا أن نحدد دلالة كلمة (أب) لكان علينا مثلاً أن نبحث مجموعة الألفاظ الدالة على القرابة. أب، أم، أخ، أخت، عم، خال، عمة، خالة، جد، جدة. وهناك طريقة يمكن تطبيقها لمعرفة المعايير التي نحدد عن طريقها دلالة كل كلمة من الكلمات ولنأخذ أية كلمتين. أب وأم، لنحدد السمة الفارقة بينهما، وهي – هنا – الجنس، وهذا المعيار يميز لنا أيضاً بين كلمات أخرى في المجموعة، ولكنه لا يكفي، فالفرق بين الأب والابن وجد فرق في الجيل، وهذا هو المعيار الثاني، وكلا المعيارين لا يكفيان، وعلينا أن نضيف إليهما للتمييز بين العم والخال معياراً ثالثاً، وهو اتجاه القرابة ودرجتها. وهذه المعايير تميز ألفاظ القرابة، فتكون دلالة كل كلمة منها من مجموع سماتها الدلالية اعتماداً على هذه المعايير المذكورة. وعلى هذا نخرج بالتحديدات الأساسية لدلالات ألفاظ القرابة

وتعد أفعال الحركة من المجموعات الدلالية الطريفة في كل لغة من لغات الأرض: سار، مشى، اقترب، ابتعد، جرى، طار، سبح، زحف. لابد من استخراج معايير نميز بين هذه المفردات، وتكون البداية التمييز بين كلمتين، هما (سار) و (طار). وهنا نجد المعيار الفارق هو مكان الحركة أرضاً وجواً، فإذا أضفنا كلمة (سبح)، قلنا أرضاً وجواً وبحراً. والمعيار الثاني هو سرعة الحركة – وبهذا نميز بين (مشى) و (جرى)، والمعيار الثالث وسيلة الحركة، على الأرجل أو على البطن أوباستخدام كل الأطراف في (زحف)، والمعيار الرابع اتجاه الحركة بعداً أو قرباً في (اقترب) و (ابتعد) أو دون اتجاه محدد (سار) (طار) (جرى) (سبح). وهكذا نحدد في ضوء هذه المعايير السمات المميزة لكل فعل من أفعال الحركة، وهذه السمات هي مجموع نصيبه من كل معيار من هذه المعايير .

وعلى ذلك، فتحديد المجالات الدلالية، ثم بحث الكلمات في داخل كل مجال دلالي وفق معايير مناسبة لهذا المجال يعطينا ـ آخر الأمر ـ مجموع السمات التي تميز كل كلمة ـ دلالياً ـ عن الكلمات الأخرى في داخل المجموعة، وإذا اتفقت كلمتان في السمات الدلالية فالكلمتان مترادفتان. وبعد تحديد هذه المعايير وبحث المفردات على أساسها تتضح ملامح المجموعة وسمات كل كلمة منها. وهذا التحديد أساسي قبل تحرير المعجم، فتحليل الدلالات في ضوء المجالات الدلالية عمل أساسي في مراحل الإعداد المعجمي.

الفصل الحادي عشر

الأسرة اللغوية الأفروآسيوية

تكون اللغات الأفروأسيوية أسرة لغوية واحدة من أكبر الأسرات اللغوية في العالم القديم والوسيط والحديث وتضم هذه الأسرة عدة أفرع لغوية، هي: الفرع السامي، والفرع المصرى القديم، والفرع البربرى، والفرع التشادى، والفرع الكوشي. وكان الباحثون قد أدركوا العلاقة بين اللغات المختلفة التي تدخل في إطار اللغات السامية، ثم اتضحت أوجه الشبه بين هذه اللغات واللغة المصرية القديمة. واتسع مجال المقارنة فدخلت اللغة البربرية وقورنت مع اللغات السامية وثبتت القرابة أيضا. وامتدت الدراسات المقارنة إلى بعض اللغات الافريقية ذات الصلة باللغات السامية فاتضحت أوجه الشبه البنيوية أيضا. وهكذا تكونت لدى الباحثين صورة عن القرابة بين عدد من اللغات في شمالي وشرقي أفريقية وغربي آسيا، ولذا وصف اللغوى الأمريكي جرينبرج هذه الأسرة بأنها الأسرة الأفروأسيوية.

تقوم وحدة اللغات الأفروأسيوية على اشتراكها في عدد من الخصائص البنيوية، أوضحها ما يأتي:

(١) التمييز بين المذكر والمؤنث في الصيغ الصرفية المختلفة، ووجود هذه السمة دليل على انتهاء اللغة موضوع البحث إلى اللغات الأفروأسيوية، فاللغات الهندية الأوروبية كانت تميز بين المذكر والمؤنث والمحايد، وهذا واضح حتى الآن في اللغة الألمانية. أما اللغات الأورالية الالتائية فلا تعرف مثل هذا المعيار في التصنيف، فليس منها ما يصنف بين المذكر أو المؤنث. ويقوم التصنيف في عدد من الأسرات اللغوية الأفريقية وفق معايير أخرى، ليس من بينها التصنيف وفق الجنس النحوى، فاللغة السواحلية مثلا تصنف الأسماء وفق السابقة التي يبدأ بها الاسم. أما اللغات الأفروأسيوية فتصنف الكلمات وفق معايير من أهمها التذكير والتأنيث، أي وفق

الجنس النحوي، وتستخدم التاء في كل اللغات الأفروأسيوية لتمييز المؤنث عن المذكر. فاللغات الأفروأسيوية تتفق من ناحية مبدأ التصنيف ومن ناحية الوحدة الصرفية الدالة على التأنيث.

٢- استخدام عدد من الوحدات الصرفية بعض الوظائف النحوية في اللغات المختلفة، منها النون والكاف. أما النون فتقوم بالربط بين وحدة صرفية للفعل أو للاسم مع وحدة صرفية تعبر عن المتكلم ومثال هذا في اللغة العربية نون الوقاية التي تستخدم لربط الفعل بضمير المتكلم، مثل: كلمني. أما في لغة الهوسا -وهي من اللغات التشادية- نجد هذه النون تربط بين الاسم والضمير المتصل، فمثلا Yaronka تعني ابنك، وتتكون من (yaro) بمعنى ابن، و(n) للربط، (ka)، ويلاحظ في المثال السابق أيضا استخدام الكاف والفتحة للمخاطب المذكر، أما في المؤنث فضمير المخاطبة المؤنثة ki في الهاوسا وفي اللغة العربية أيضا. أما التاء فتكون في اللغات الافروأسيوية المختلفة صيغا خاصة بالمؤنث، على نحو ما نعرف في اللغة العربية.

٣- هناك لغات كثيرة تدخل في الأسرة الأفروآسيوية، وتكون صيغ اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل بالسابقة m، نجد هذا مثلا في اللغات السامية وفي اللغات التشادية، ومنها لغة الهوسا مثل هذا في العربية اسم المكان (موضع) من المادة وضع، و سم الآلة (منشار) من المادة، واسم الفاعل (مقيم) من الفعل أقام، وشبيه بهذا أبنية اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل في لغة الهوسا وغيرها من اللغات التشادية.

أولاً: اللغات السامية:

يضم الفرع السامي من اللغات الأفروآسيوية عددا من اللغات القديمة والحديثة التي لها دور واضح في الحضارة الإنسانية. وتعد اللغات السامية من أقدم اللغات الإنسانية التي وصلت إلينا مدونة، فاللغة الأكدية في أرض النهرين قد دونت منذ ٢٥٠٠ق.م.وهي بهذا من أقدم اللغات المدونة وقد وصلت إلينا نصوص مدونة بلغات

سامية مختلفة مند هذا التاريخ المبكر وعبر حوالي خمسة وأربعين قرنًا. كما يعرف العالم الحديث عدة لغات سامية حية، أهمها العربية والأمهرية ومنها العبرية الحديثة واللهجات الآرامية الحديثة والمهرية والشحرية والسقطرية. وكل هذه اللغات قد نشأت عبر مراحل من التغير عن لغة واحدة مشتركة لم تصل نصوص منها، وهي اللغة التي يسميها الباحثون باسم اللغة السامية الأولى. وهناك اقتراح بتعديل تسميتها إلى: اللغات العروبية.

١- الخصائص المشتركة في اللغات السامية:

تتفق اللغات السامية في مجموعة من الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وتظهر هذه الخصائص بشكل أوضح في اللغات السامية القديمة، ويمكن تفسير أي خروج عن هذه السمات المشتركة في أية لغة مفردة بأنها خالفت باقي لغات الأسرة السامية في أحد الجوانب المذكورة.

وأهم هذه الخصائص المشتركة في اللغات السامية ما يأتي:

(أ) نجد في اللغات السامية مجموعة أصوات الحلق: العين والحاء والغين والخاء والهاء والهمزة. وهذه المجموعة موجودة في شكلها الكامل في اللغة العربية. وقد حدثت لها بعض تغيرات في عدد من اللغات السامية أدت إلى تداخل بعض هذه الأصوات، وهذا واضح مثلا في اللغة العبرية إذ حل فيها صوت العين محل صوتين اثنين هما العين والغين، ومعنى هذا أن اللغة السامية الأم كانت تميز بين العين والغين كما تميز بينهما العربية، ولكن الصوتين تحولا في العبرية إلى صوت واحد هو العين. ومعنى هذا أن الكلمات التي توجد في العبرية بالعين يمكن أن يقابلها في العربية من الناحية الاشتقاقية كلمات تضم صوت العين أوصوت الغين

(ب) توجد في اللغات السامية مجموعة أصوات مطبقة. تشترك هذه الأصوات من الناحية النطقية في ارتفاع اللسان درجة في أثناء النطق بها مع اتخاذه شكلا مقعرا.

والأصوات المطبقة في العربية هي الصاد والطاء والضاد والظاء. وقد عرفت اللغة السامية الأم هذه الأصوات المطبقة على نحو وجودها في العربية، وفي اللغة العربية الجنوبية القديمة. أما في اللغات السامية الأخرى فتوجد أصوات الأطباق بعدد أقل، فالعبرية مثلا تعرف صوت الصاد -في نطقه المختلف قليلا عن النطق العربي- مقابلا اشتقاقيا لثلاثة أصوات عربية هي الصاد والضاد والظاء. فأية كلمة عربية بها ضاد أو طاء أو صاد يكون مقابلها الاشتقاقي في اللغة العبرية -إن وجد- كلمة تضم الصاد العبرية.

(جـ) يقوم بناء الكلمة في اللغات السامية على أساس الصوامت والوزن. ومعنى هذا أن المعنى الأساسي يرتبط بالصوامت، فالكلمات: فعل ، وفاعل يرتبط معناها الأساسي بالفاء والعين واللام، والكلمات: كتب ومكتب وكتابه يرتبط معناها الأساسي بالكاف والتاء والباء، والكلمات: عَلِم، عالم، علْم يرتبط معناها الاساسي بالعين واللام والميم أما الوزن مثل وزن فاعل فيحدد المعنى الدقيق للكلمة بأن يدل مثلا على من قام بالفعل، وعلى هذا تتفق الكلمات: كاتب، ضارب، عامل، لاتفاق وزنها.

(د) تصنف الصيغ في اللغات السامية من ناحية الجنس النحوى إلى مذكر ومؤنث، ومن ناحية العدد إلى مفرد ومثنى وجمع. وهناك لغة سامية هي العبرية قل فيها استخدام المثنى وأصبح مقصورا على الأشياء الموجودة في الواقع الخارجي في شكل ثنائي مثل اليدين والرجلين. أما من ناحية النهايات الإعرابية فاللغات السامية القديمة عرفت التمييز بين ثلاث حالات في إعراب الاسم، فهناك نهاية للمرفوع وأخرى للمنصوب وثالثة للمجرور، يتضح هذا بصفة خاصة في الأكادية والعربية.

(هـ) وهناك عدد كبير من المفردات الأساسية المشتركة في كل اللغات السامية، ويمكن تقسيم هذه المفردات إلى المجموعات التالية:

- ألفاظ خاصة بجسم الانسان (رأس، عين، يد، رجل، شعر).

-ألفاظ خاصة بالنبات والحيوان (قمح، سنبلة، كلب، ذئب).

- بعض الأفعال الأساسية (ولد، مات، قام، زرع).

- الأعداد الأساسية (من اثنين حتى عشرة).

- حروف الجر الأساسية (من، على، في).

وفوق هذا فإنه من الممكن لباحث في اللغات السامية تعرف المواد اللغوية المشتركة في كل هذه اللغات، والتي قامت اللغات السامية المختلفة بالإفادة منها لتكوين كلماتها الكثيرة المتجددة.

ولاشك أن درجة التقارب بين اللغات السامية المختلفة تجعلها تشكل فرعا واحدا في إطار الأسرة الافروآسيوية, معنى هذا أن اللغة العربية أقرب إلى اللغة العبرية أو إلى اللغة الاكادية منها إلى لغة الهوسا. فالعربية والعبرية والاكادية من الفرع السامي، ولغة الهوسا من الفرع التشادى، والفرع السامي والفرع التشادى يدخلان في الأسرة الأفروآسيوية.

٢- الفرع الأكادى

اللغة الأكادية أقدم لغة سامية دونت. فقد كتبت أقدم نصوصها حوالي سنة ٢٥٠٠ق.م. والأكاديون هم تلك الجماعات السامية التي هاجرت من مهد الساميين في جزيرة العرب -على أرجح الآراء- إلى العراق. وتعد هذه الهجرة أقدم الهجرات السامية، وعندما دخلت هذه الجماعات السامية أرض العراق التقت بشعب متحضر قديم وتعلمت منه الكثير. كان العراق قبل هجرة الساميين إليه مركز حضارة السومريين، والسومريون شعب لاعلاقة له بالساميين، ولغته تختلف اختلافا بعيدا عن اللغات السامية بل وعن اللغات الافروآسيوية بأسرها.

تعلم الساميون الوافدون من السومريين نظام الكتابة، وكان السومريون يدونون لغتهم برموز تشبه المسامير، وتسمى هذه الكتابة باسم الكتابة المسمارية. وتعتمد هذه

رموز لمسمارية بصفة عامة- على تدوين كل كلمة بعد تقسيمها إلى مقاطع. ولذا فهي كتابه مقطعية من ناحية الأساس علمي ومسمارية من ناحية الشكل. وهذا الخط معقد له من ناحية التعبير عن الوقع المنطوق مبرة واحدة هو أنه يدون الحركات ضمن لمقطع، ولمقطع الوحد يتكون من صامت وحركة على أقل تقدير. فلو كتبت كلمة كَلْبٌ بالاكادية فإن المقطع الأخير يضم لباء ولضمة ويدون برمز مسمارى مخالف للرمز الدال على الباء والفتحة، ويختلف عن الرمز المسمارى الذى يدل على الباء والكسرة. وهكذا تتعدد الرموز، وتكثر مما يجعل لكتابة صعبة التعلم. ولكن هذا الخط مفيد للباحث في التحليل اللغوى.

احتفظت اللغة الاكادية بعدد من الخصائص المعرقة فى القدم منها ظاهرة الإعراب على نحو ما نعرف فى إعراب الاسماء فى اللغة العربية، فهناك نهاية إعرابية لرفع وأخرى للنصب وثالثة الجر. وعلى العكس هذا الجانب المحافظ هناك تغيرات حدثت فى اللغة لاكادية فجعلتها تختلف عن باقى للغات لسامية. وأوضح هذه السمات فى الأكادية عدم لتمييز بين أصوات الحلق، فاختفت أصوات العين والحاء والهاء من الأكادية وقد فسر بعض الباحثين اختفاء هذه الأصوات بأنه نتيجة تأثير اللغة السومرية فلم تكن السومرية تعرف هذه الأصوات

لقد دخلت للغة الاكادية أرض النهرين فى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد تقريبا. وساد المنطقة حوالى ستة قرون ازدواج لغوى بين الأكادية والسومرية وهناك نقوش بكتا اللغتين من هذه لفترة. ويقسم العلماء لنقوش الأكادية المدونة بعد ذلك إلى عدة مستويات لغوية بابلية واشورية. وعندما سقطت آخر الدول الاشورية فى القرن السابع قبل الميلاد كانت اللغة الآرامية تنافس الاكادية فى العراق فقل استخدامها بصورة مطردة فى القرون التالية.

٣- الفرع الكنعانى

(ا) اللغة الأجريتية:

اسعة الأجريتية هى اللعة السامية الثانية من ناحية تاريخ تدوين أقدم النقـوش فقـد دونت نقوشها حوالـى سـنة ١٤٠٠ق م. وقـد اكتشـفت هـده نقـوش الأجريتيـة سـنة ١٩٢٩ فى أطلال مدينة قديمة جدء اسمها "أجريت" في النقوش، وتوجـد بـالقرب مـن رأس شمرا على ساحل الشام. وتمثـل اللعـة الأجريتيـة أقـدم لغـة سـامية عرفتهـا منطقـة الشام، فالأجريتية مثلا تميز بين أصوات تداخـلت بعـد ذلـك فـى العربيـة. فإذ كـانت العربية تميز بين الحاء والخاء على نحو ما كان فى اللغة السامية الأم فإن الاجريتية أيضا تميز بينهما. وقد تحولت خاء السامية إلى حاء في العربيـة فـالتقت فـى العربيـة الحـاء والحاء الساميان القديمتان فى صوت واحـد هـو الحـاء. وقـد دونـت الأجريتيـة بخـط أبجدى، ويعد هذ الخط مرحلة متطورة نقلت نظام الكتابة إلى مسـتوى بسـيط ودقيـق إلى حد بعيد. فقد صور الأجريتيون نظام الكتابة إلى أبجدية. وتقـوم الكتابـة الأبجديـة على أساس أن يعبر الرمز الواحد أى الحرف الواحد عن صوت واحد من أصوات اللغة وبهذا يحتاج تدوين اللغة إلى عـدد محـدود مـن الرمـوز، وبذلـك تـم عنـد الأجريتيين تبسيط نظام الكتابة، وعنهم أخذت بـقى الشعوب فكـرة الكتابـة الأبجديـة.. أمـا مـن ناحية الشكل فقد دون الأجريتيون حروف أبجديتهم برموز تشبه المسـامير، وبـذا تعـد الكتابة الأجريتية كتابة مسمارية أبجدية.

(ب) اللغة الفينيقية:

اللغة الفينيقية هى لغة النقوش التى وصلت إلينا مـن سـاحل الشـام ومـن جنـوب أوربا وشمال أفريقيا وجزر البحر المتوسط. وهذه النقوش مدونة بخط أبجـدى متطـور عن الخط الأجريتى. وهو خط أبجدى، لكل صوت رمز يكتـب بـه. والخـط الفينيقـى تتخذ الحروف فيه أشكالا هـندسية محتفظة ويشـبه إلى حـد مـا الخـط العـبرى. وتـؤرخ النقوش الفينيقية بفترة بين سنة ١٢٠٠ق.م. إلى سنة ١٠٠ ميلادية فـى منطقـة سـاحل

الشام. وهناك نقوش دونت بعد هذا التاريخ في شمال أفريقيا. ويطلق على النقوش الفينيقية في شمال أفريقيا اسم النقوش البونية.

(جـ) اللغة العبرية:

اللغة العبرية هي إحدى اللهجات الكنعانية، تعلمتها مجموعة من الأسيويين عندما هاجروا إلى أرض فلسطين فاكتسبوا لهجة كنعانية سائدة في فلسطين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وقد ظلت العبرية لغة الحياة اليومية في هذه المنطقة حوالي ستة قرون، إلى أن حلت محلها آرامية في نفس المنطقة. وقد ارتبطت اللغة العبرية بالدين اليهودي حتى بعد أن انتهت من الاستخدام في الحياة اليومية. وقد دونت أسفار العهد القديم على مدى عدة قرون، امتدت ـ أيضاً ـ بعد القرن السادس قبل الميلاد، فبعض الأسفار دون بعد هذا التاريخ باللغة العبرية فصلاً عن سفرين في العهد القديم دونا بالآرامية وتقسم المراحل التي مرت بها اللغة العبرية -اعتماد على النصوص التي وصلت إلينا- على النحو التالي:

(١) العبرية القديمة:

هي لغة أسفار الكتاب المقدس عند اليهود، وهو مكون من أسفار موسى الخمسة أي التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار المكتوبات أي الأسفار الأدبية. ويرمز اليهود إلى هذا الكتاب المقدس بالأحرف الأولى الدالة على هذا الكتاب (ت ن خ)، ويطلق عليه المسيحيون اسم العهد القديم تمييزا له عن العهد الجديد أي الأناجيل. ويكاد يكون العهد هو القديم المصدر الوحيد لتعرف العبرية القديمة، فهناك نقوش قليلة وصلت إلينا بالعبرية القديمة.

٢- عبرية المشنا:

المشنا هو الكتاب المقدس الثاني عند اليهود وقد دون بعد أن اكتمل تدوين العهد القديم. وقد ألف كتاب المشنا بين أواخر القرن الأول الميلادي ومنتصف القرن

الثالث للميلاد بلغة عبرية لم تكن لغة الحياة آنذاك، فقد كان مؤلفو المشنا يتحدثون بالآرامية في أمور الحياة ويرتلون الكتاب المقدس بالعبرية، وكانت العبرية لغة الدين، وبها ألفوا المشنا.

٣- العبرية الوسيطة:

العبرية الوسيطة هي لغة الكتب الدينية وغير الدينية التي ألفت في العصور الوسطى، وهناك خلاف بعيد حول تحديد نقطة البداية ونقطة النهاية بالنسبة لهذه المرحلة من تاريخ اللغة العبرية. لقد ازدهرت اللغة العبرية في إطار الحضارة الاسلامية في الأندلس فكتبت بها نصوص أدبية، فيها محاكاة للأدب العربي مثل المقامات، وترجمت إلى العبرية كتب عربية كثيرة وكتبت بها بعض المؤلفات الدينية والفلسفية

٤- العبرية الحديثة:

العبرية الحديثة هي اللغة الرسمية في إسرائيل. والعبرية الحديثة هي محاولة لاحياء اللغة العبرية بعناصرها الموروثة مع تطويرها لتعبر عن الحضارة الحديثة. ولذا فهناك اختلافات في بنية اللغة العبرية الحديثة تعكس تغيرا طرأ على هذه اللغة عبر مراحلها المختلفة، وهناك مصطلحات كثيرة دخلت إليها من اللغات الأوربية المختلفة. ويعكس نطق اللغة العبرية الحديثة العادات الصوتية عند أبناء اللغات الأوروبية، ويتضح هذا بصفة خاصة في عدم نطق أصوات الإطباق وأصوات الحلق بالطريقة المتعارف عليها عند العرب وفي اللغات السامية القديمة.

٤- الفرع الآرامي :

وصلت إلينا الآرامية في عدد من المستويات اللغوية منذ القرن العاشر قبل الميلاد إلى اليوم، ظلت الآرامية معروفة على مدى القرون الثلاثين الماضية وليست هناك لغة آرامية موحدة، بل تنوعت المستويات اللغوية الآرامية في كل فترة زمنية تنوعا بعيداً، وتغيرت خصائص هذه اللهجات بمضي الوقت.

(ا) آرامية الدولة :

وصلت الآرامية إلى مكانة رفيعة في القرون السابع والسادس والخامس قبل الميلاد عندما أعلنت لغة رسمية للإمبراطورية الإيرانية في عصر الأخمينيين، ولذا يطلق عليها في هذه الفترة مصطلح "آرامية الدولة". وهناك نقوش من هذه الفترة وجدت في منطقة واسعة من العالم القديم أقصاها شرقا في منطقة تقع الآن في باكستان وأقصاها غربا في أسوان بمصر. كانت الآرامية في كل هذه المنطقة لغة التعامل الدولي التي يتوسل بها أبناء اللغات المحلية المختلفة في تعاملهم مع بعضهم البعض. وقد دونت الآرامية في كل هذه النقوش بخط أبجدي بسيط كان من أسباب الإقبال على استخدامها.

(ب) السريانية:

السريانية أهم اللهجات الآرامية من الناحية الحضارية ارتبط تاريخها بالمسيحية، ولذا يرغب المسيحيون عن تسميتها بالآرامية باعتبار الآرامية لغة وثنية. وكانت السريانية لهجة منطقة محدودة في الشام وانتشرت مع ظهور المسيحية شيئا فشيئا إلى أن أصبحت لغة منطقة كبيرة في الشام والعراق ولغة ثقافية معروفة. وترجع أهمية اللغة السريانية في المقام الأول إلى أنها كانت وسيلة نقل التراث اليوناني إلى اللغة العربية. ففي القرون السابقة على الاسلام كان المثقفون المسيحيون السريان يتعلمون اللغة اليونانية ويقرؤون تراث اليونان، وعندما دخلت منطقة الشام والعراق بعد الفتح الاسلامي في إطار الحضارة الإسلامية الناشئة أسهم المسيحيون السريان في تكوين الحضارة العربية الإسلامية بترجمة ما عندهم من معارف يونانية إلى اللغة العربية ومن أشهر المترجمين السريان حنين بن إسحق وتلاميذه

جـ- اللهجات الآرامية الأخرى :

هناك عدد كبير من اللهجات الآرامية الحديثة نصم التمود وهو أحد الكتب المقدسة عند اليهود متنا وشرحا، والمتن بالعبرية ويسمى مشنا، أما الشرح يسمى جمر . وهذا الشرح المدون في العراق باللهجة الآرامية البابلية يكون مع المتن التلمود البابلي. أما الشرح المدون باللهجة الآرامية الفلسطينية فيكون مع نص المشنا ما يسمى باسم التمود الفلسطيني. وهناك لهجات آرامية كثيرة ترجمت إليها أسفار التوراة، وتعرف هذه الترجمات باسم الترجوميم. وفي العهد القديم سفران مدونان بالآرامية، هما سفر دانيال وسفر عزرا وعندما كانت اللغة العربية لاتكتب عند أهلها كان النبط وهم شعب عربي عاش في شمال الحجاز وجنوب الأردن يدون نقوشه بلهجة آرامية. وهناك لهجة آرامية توجد إلى اليوم في جنوب العراق عند الصابئة، وهم المندعيون الذين احتفظوا بدينهم وبلهجتهم الآرامية وبكتابهم المقدس إلى اليوم.

وتوجد اليوم عشرات القرى الآرامية في شمال العراق وإيران، وهناك قريتان آرميتان في سورية. وهذه القرى الآرامية تقع في مناطق جبلية حافظت على ارتباطها بالمسيحية. في السنوات الماضية هاجرت جماعات آرامية كثيرة من شرق تركيا إلى ألمانيا والسويد. ويقدر مجموع عدد الناطقين بالآرامية في هذه المناطق بربع مليون.

٥- الفرع الجنوبي:

يضم الفرع الجنوبي مدى اللغات السامية العربية (الشمالية) العربية الجنوبية، واللغات السامية في الحبشة.

(ا) العربية الجنوبية:

العربية الجنوبية مجموعة المستويات اللغوية التي وصلت إلينا في النقوش التي يسميها الباحثون باسم النقوش المعينية والسبئية والحميرية. وتؤرخ هذه النقوش بالفترة من القرن السادس الميلادى تقريبا، وقد وجدت هذه النقوش في النصف الجنوبي من

جزيرة العرب وعلى طرق التجارة التي كان الجنوبيون يقفون في محطاتها الموجودة حتى أقصى الشمال. وهذه النقوش مدونة بخط أبجدي بسيط يختلف من ناحية أشكال الحروف عن الخط العربي الشمالي، ويسمى الخط العربي الجنوبي باسم خط المسند. وبعد انهيار سد مأرب هاجرت قبائل جنوبية إلى الشمال، فأخذت تتعرب شيئا فشيئا بلغة الشمال، وأخذت العربية الشمالية قبيل الاسلام تنتشر في جنوب الجزيرة العربية، وزاد معدل التعريب بشكل واضح بعد دخول اليمن في الاسلام. ولم يبق من العربية الجنوبية إلى اليوم إلا مجموعة من اللغات في مناطق منعزلة نسبيا أهمها المهرية في اليمن الشعبية على حدود عمان، ويقدر عدد أبناء المهرية بحوالي ربع مليون، وتوجد لغة جنوبية حديثة في جزيرة سو قطرة في بحر العرب. وتسمى باسم اللغة السوقطرية، وهناك عدة مستويات لغوية عربية جنوبية في سلطنة عمان.

ب- اللغات السامية في الحبشة:

نشأت اللغات السامية في الحبشة نتيجة لهجرة عربية جنوبية من جزيرة العرب إلى شرق أفريقيا، هناك تشابه بين أقدم ما وصل إلينا مدونا في الحبشة وبين ما نعرفه في النقوش العربية الجنوبية القديمة.

لغة الجعز أقدم سامية عرفتها الحبشة، وهي لغة ذات ارتباط مسيحي واضح، وتشبه من هذا الجانب اللغة السريانية وكذلك اللغة القبطية. وقد ترجمت إلى لغة الجعز في القرن الرابع الميلادي مجموعة الأسفار المكونة للعهد المقدس لدى المسيحيين، وقد ظلت لغة الجعز ذات ارتباط كنسي واضح، فأكثر ما كتب بها وماترجم إليها نصوص دينية. اعتمدت هذه النصوص على أصول سريانية أو يونانية قبل تعريب مصر ثم على نصوص عربية بعد تعريب كتب الكنيسة القبطية في مصر. فالأحباش مسيحيون يتبعون الكنيسة القبطية. ولاتزال لغة الجعز لغة الطقوس الدينية في الحبشة.

وهناك لغات سامية حديثة في الحبشة، فلغة الجعز ماتت منذ قرون، ولم يعد لها استخدام في الحياة اليومية. وأكثر اللغات السامية استخداما في الحبشة اليوم هي الأمهرية، وهي اللغة الرسمية في الدولة وبها مؤلفات حديثة وتصدر بها الصحف وتستخدم في التعليم العام، أما اللغتان التجرينية والتجرية فهما أكثر اللغات انتشارا في اريتريا.

وتدون اللغات السامية المختلفة الموجودة إلى اليوم في الحبشة بخط يقوم على نظام المقاطع، فالحرف الواحد يرمز إلى صوت صامت مع حركة، والحركات كثيرة في اللغات السامية في الحبشة. ولذا يصل عدد الرموز المستخدمة في تدوين تلك اللغات إلى حوالي ١٨٠ رمزا. وأخيرا فلابد من الاشارة إلى أن دولة الحبشة تضم جماعات كثيرة العدد لها لغات مختلفة لاتنتمي إلى اللغات السامية.

ثانيا: الأفرع اللغوية الأخرى

تضم الأسرة الافروآسيوية إلى جانب الفرع السامي أربعة أفرع لغوية أخرى، هي: الفرع المصري القديم، والفرع البربري، والفرع الكوشي، والفرع التشادي.

(ا) اللغات المصرية القديمة:

اللغة المصرية القديمة من أقدم اللغات الحضارية في العالم. يرجع أقدم نقوشها إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد تقريبا، وهي بهذا موازية من ناحية الزمن للغتين السومرية والاكادية. وهناك أوجه كثيرة بين اللغة المصرية القديمة وبين اللغات السامية، منها استخدام التاء للدلالة على التأنيث والكاف للمخاطب والنون للجمع والياء للنسب. وتصنف اللغة المصرية القديمة واللغات السامية الأسماء من ناحية العدد إلى مفرد ومثنى وجمع، ومن ناحية الجنس النحوي إلى مذكر ومؤنث.

وقد دونت اللغة المصرية القديمة عدة قرون فتغيرت خصائصها اللغوية، ولذا يمكن تقسيم مراحل تطورها إلى عدة مراحل (مصري قديم، مصري متوسط، مصري

متأخر) وتعد اللغة القبطية آخر مرحلة من مراحل تاريخ اللغة المصرية القديمة. وقد كتبت اللغة المصرية القديمة بعدة خطوط أقدمها الكتابة الهيروغليفية وتقوم أساسا على تدوين الكلمة بشكل دال على معناها مع الرمز إلى العناصر الصرفية برموز إضافية محددة تشير إلى النطق وقد بسطت الكتابة في مراحل تالية وتحددت أشكالا مختصرة، ومن أهم هذه النظم المبسطة الخط الهيراطيقي والخط الديموطيقي

أما اللغة القبطية فقد دونت بالخط الأبجدي يقوم على الأبجدية اليونانية مضافا إليها سبعة أحرف لاتوجد في اليونانية. وقد ارتبطت اللغة القبطية بالمسيحية في مصر، وكانت تمثل ازدواجا لغويا مع اللغة اليونانية، ولذا دخلت القبطية ألفاظ يونانية كثيرة. ومن هذا الجانب تشبه اللغة القبطية اللغتين السريانية والجعزية.

(٢) اللغات البربرية:

هناك نقوش قديمة يزيد عددها عن ألف نقش وجدت في مناطق مختلفة من شمال أفريقيا، وتسمى عند الباحثين باسم النقوش الليبية أو النوميدية. وبعض هذه النقوش مكتوب بلغتين أحدهما هي الليبية والأخرى هي اللاتينية أو البونية، مما جعل فك الرموز الليبية التي دونت بها هذه النقوش أمرا سهلا. وهناك نقوش ليبية مدونة بحروف لاتينية ويونانية. ولم يستطع الباحثون تحديد تاريخ أكثر هذه النقوش على نحو دقيق، وبعضها يرجع إلى سنة ١٣٩ق.م.

وقد ثبت من الخصائص اللغوية لهذه النقوش قرابتها مع اللغات السامية، فعد بعض الباحثين اللغة الليبية لغة سامية انفصلت عن باقي المجموعة في وقت مبكر، ويصنفها باحثون معاصرون باعتبارها فرعا في داخل الأسرة الأفروآسيوية

تشترك النقوش الليبية القديمة مع اللهجات البربرية التي وصلت إلينا نصوص قليلة منها، مادوّن بالخط العربي وبخط بربري محلي، في خصائص مشتركة، وتعد المستويات اللغوية البربرية الحديثة امتدادا لليبية القديمة. تقوم بنية الكلمة في البربرية

على الصوامت والأوزان على النحو المعروف فى اللغات السامية. وهناك عدد من الوحدات الصرفية فى البربرية تؤدى الوظائف نفسها على نحو ما نعرف فى اللغات السامية، وذلك مثل التاء للتأنيث والنون للجمع. وتعرف البربرية أيضا التمييز بين الضمائر المنفصلة والضمائر المتصلة. أما أداة التعريف فهى فى البربرية أل ولكن يبدو أنها مستعارة من العربية لأن اللغات السامية لاتشترك فى أداة التعريف، وقد طورت كل لغة لنفسها أداة تعريف خاصة بها. وتوجد اللهجات البربرية فى منطقة شمال أفريقيا التى سادتها اللغة العربية بعد الفتح الاسلامى، بوصفها لغة الثقافة والعلم، ثم أدت هجرة بنى هلال فى منتصف القرن الخامس الهجرى إلى تعريب مناطق بربرية كبيرة، وكان الفتح الاسلامى قد عرب منطقة صغيرة على الساحل التونسى. وتوجد اليوم جماعات بربرية قليلة العدد فى ليبيا وتونس، ولكن أكثر البربر يعيشون فى الجزائر والمغرب وموريتانيا والصحراء ويقدر عددهم بحوالى عشرة ملايين وهناك جماعات بربرية فى دول أفريقية جنوب دول المغرب.

(٣) اللغات الكوشية:

اللغات الكوشية فرع من الأسرة الافروآسيوية يضم عشرات اللغات تبدأ فى جنوب مصر وتمتد على الساحل الشرقى الافريقى حتى الصومال، وأهم اللغات التى يضمها هذا الفرع اللغة الصومالية التى تستوعب الحياة اليومية فى الصومال وفى المناطق المتاخمة فى أثيوبيا وكينيا. وكانت دراسة البنية اللغوية لهذه اللغات وراء الفرض القائل بأن اللغات السامية تكون مع اللغات الحامية أسرة واحدة. ويتحفظ أكثر الباحثين تجاه مصطلح الحاميين لغموضه، ويفضلون اعترافا بالقرابة بين هذه اللغات والفروع اللغوية الأخرى جعلها فى إطار ما يعرف باسم الأسرة الأفروآسيوية.

(٤) اللغات التشادية:

تضم اللغات التشادية حوالى ثمانين لغة، أكثرها أهمية وانتشارا لغة الهوسا وتعد لغة الهوسا أكثر اللغات انتشارا فى افريقيا جنوب الصحراء، وهى اللغة السائدة فى

نيجيريا الشمالية والكاميرون وفى المنطقة المجاورة من جمهورية النيجر. ويقدر عدد أبناء الهوسا بما لايقل عن خمسة عشر مليونا، ويتعامل بها من غير أبنائها عدد لايقل عن عشرة ملايين. وهناك جماعات تتعامل بلغة الهوسا فى مواقع مختلفة فى أفريقيا العربية وأفريقيا الاستوائية. وأكثر المتحدثين بلغة الهوسا من المسلمين. وقد ارتبطت لغة الهوسا بالثقافة العربية الاسلامية عدة قرون، فكتبت بالخط العربى ودخلتها ألفاظ عربية كثيرة. وقد عدل نظام الكتابة فى عهد الاستعمار الأوربى وأخذت المدارس الحكومية فى تعليم لغة الهوسا مدونة بالخط اللاتينى. وتشترك اللغات التشادية مع باقى اللغات الأفروآسيوية فى عدد من الخصائص البنيوية المشتركة، من أهمها التمييز بين المذكر والمؤنث واستخدام التاء للتأنيث والنون للربط مع الضمير والميم سابقة تكون الصيغ الدالة على اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل، مما يشير إلى أن كل هذه اللغات تكون أسرة لغوية واحدة.

الفصل الثاني عشر

اللغات الهندية الأوربية

أثبتت بحوث القرن التاسع عشر أن عددا كبيرا من اللغات القديمة البائدة والوسيطة والحديثة في رقعة جغرافية شاسعة تمتد من الهند إلى أوربا تكون أسرة لغوية واحدة. وقد أطلق اللغويون الألمان على هذه الأسرة اسم اللغات الهندية الجرمانية Indogermanische Sprachen بينما تسمى هذه الأسرة عند غيرهم من الباحثين باسم اللغات الهندية الأوربية Indo European Languages. وقد أخذنا بالتسمية الأخيرة باعتبار أنها تقوم على أساس جغرافي واضح، وتشير إلى المنطقة الممتدة من الهند إلى أوربا. وليس معنى هذا أن أسرة اللغات الهندية الأوربية تضم كل اللغات في هذه المنطقة الكبيرة من العالم، فهناك لغات قديمة وحديثة في هذه المنطقة، لاتنتمي إلى الأسرة الهندية الأوربية. اللغتان العيلامية والسومرية ليستا من اللغات الهندية الأوروبية. كانت العيلامية في غرب إيران وكانت السومرية في العراق القديم. وكلتا اللغتين العيلامية والسومرية من اللغات البائدة منذ عصور سحيقة. ولكنا نجد -أيضا- عدة لغات حية في الهند وأوربا ولاتدخل في أسرة اللغات الهندية الأوربية. ففي جنوب الهند نجد مجموعة لغات متقاربة البنية تكون أسرة مستقلة هي أسرة اللغات الدرافيدية، وهي أسرة مستقلة لاعلاقة لها باللغات الهندية -الأوربية. وإذا ما توجهنا من الهند إلى أوربا نلتقي بلغات كثيرة أخرى تصنف في أسرات لغوية كثيرة، فهناك لغات القوقاز، ولغات الترك والمجموعة الفنلندية المجرية، ولغة الباسك، وكلها لاعلاقة لها بالأسرة الهندية الأوربية. ولذا يقوم تصنيف اللغويين للغات الهندية الأوربية على الخصائص اللغوية وليس على المنطقة الجغرافية.

ترجع اللغات الهندية الأوربية المختلفة إلى أصل واحد لم يصل إلينا على نحو مباشر. ولكن العلماء اتفقوا على تسمية اللغة التي خرجت عنها كل هذه اللغات باسم

اسعة الهندية الأوربية الأولى .وكانت توجد قبل عام ٢٠٠٠ق.م. في مهد اللغات الهندية الأوربية. وعندما هاجرت الجماعات البشرية من هذه المنطقة في فترات تاريخية متلاحقة أخذت اللغات المختلفة تتكون وتنفصل عن بعضها البعض وتختلف بالتالي عن اللغة الأقدم، أي أن الباحثين يربطون الهجرات ونشأة اللغات المختلفة. وإذ كان ثمة اختلاف حول مهد اللغة الهندية الأوربية الأولى قبل خروج الهجرات فإن كثيرا من الباحثين يميلون إلى افتراض إنها كانت في المنطقة التي توجد الآن في جنوب جمهورية روسيا إحدى جمهوريات الاتحاد الروسي، ومن هذه المنطقة خرجت موجات الهجرات جنوبا إلى إيران والهند وفي اتجاه الغرب إلى قلب القارة الأوربية ثم في اتجاه الجنوب إلى البلقان.

أولا: اللغات المفردة

المقصود باللغات المفردة في إطار الأسرة الهندية الأوربية تلك اللغات التي يكون كل منها فرعا مستقلا بذاته. اللغة الحيثية أقدم اللغات المفردة في الأسرة الهندية الأوربية. وقد وجدت النقوش الحيثية في آسيا الصغرى مكتوبة تارة بالخط المسماري وتارة بالخط الصوري. لقد تعلم الحيثيون الكتابة المسمارية عن السومريين، الذين كانوا أصحاب أقدم خط في العالم. وكان الحيثيون أول من كتب من أبناء اللغات الأوربية، ويبدو أن اللغة الحيثية قد عاشت في آسيا الصغرى منذ هجرة الحيثيين إلى هذه المنطقة سنة ٢٠٠٠ق.م. حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وقد تم اكتشاف عدد كبير من النقوش الحيثية سنة ١٩٠٥م

واللغة اليونانية أقدم اللغات الهندية الأوربية الحية منذ ثلاثة آلاف عام. لقد تعلم اليونان الكتابة من الفينيقيين في القرن التاسع قبل الميلاد، فكتبوا بخط أبجدي يعبر عن النطق تعبيرا مباشرا وكانت اليونانية قد عرفت لهجات كثيرة في فترة التالية لهجرة أبنائها الأوائل من مهد اللغة الهندية الأوربية الأولى إلى جنوب أوربا، ولكن اليونانية الكلاسيكية تطورت على أساس لهجة أثينا التي كتب لها السيادة والازدهار بعد انتصار

اليونان على الفرس. وترجع أهمية اللغة اليونانية القديمة إلى أنها اللغة التى دونت بها الآثار الأدبية والخطب السياسية والقضائية، كما كتبت بها الدراسات الفلسفية. وفى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد كانت اللغة اليونانية القديمة قد أصبحت لغة مشتركة ذات مستوى حضارى راق.

ويطلق على اللغة اليونانية فى عصر الحضارة الهيلينستية مصطلح Koiné أى اللغة المشتركة. وكانت هذه اللغة بعد فتح الاسكندر لمناطق شاسعة من الشرق لغة تعامل بين شعوب كثيرة فى العالم القديم، ثم كانت اللغة الرسمية فى شرقى الدولة الرومانية. وقد استخدمت هذه اللغة فى أقدم ترجمة للعهد الجديد، كان سكان الشام فى عهد المسيح يستخدمون الآرامية فى حياتهم اليومية، وكانت اللغة اليونانية لغة الحضارة والتعامل بين الطبقات المتميزة اجتماعيا وثقافيا فى الشام والعراق ومصر، وتكونت -أيضا- عدة جزر حضارية يونانية فى مناطق متباعدة حتى حدود الهند. وقد انكمش مجال استخدام اللغة اليونانية المشتركة بعد الفتح الاسلامى من جانب ومع دخول السلاف إلى البلقان فى القرن السابع الميلادى.

أما اللغة اليونانية الحديثة فقد بدأت تتخذ طابعها الحالى فى القرن السابع عشر، واستقرت فى القرن التاسع عشر لتكون لغة دولة اليونان والقسم الأكبر من قبرص. لقد كانت اللغة اليونانية فى مرحلتها القديمة وفى أثناء استخدامها بصفتها لغة تعامل حضارى قد حققت لنفسها مكانة دولية، وهى اليوم من اللغات الوطنية المحلية.

وتكون اللغة الأرمينية أيضا فرعا مستقلا من أفرع الأسرة الهندية الأوروبية، لقد دونت فى القرن الخامس الميلادى ومر تاريخها المدون بمراحل متتابعة، وقد خضعت المنطقة اللغوية الأرمينية لدول كبرى مختلفة على مر التاريخ، فأثرت لغات الفرس والرومان والبيزنطيين والعثمانيين، وأدى هذا إلى تأثر بنية اللغة الأرمينية ومعجمها بهذه اللغات الكثيرة التى احتكت بها، وهى اليوم لغة حوالى أربعة ملايين نسمة، ويعيش حوالى نصف أبناء اللغة الأرمينية فى جمهورية أرمينيا، ويعيش الباقون فى مصر ولبنان

وسوريا وفرنسا وأمريكا. وهم يتعاملون فى هذه الدول بلغتها، بالاضافة إلى احتفاظهم باللغة الأرمينية واهتمامهم بتعليمها لأبنائهم

واللغة الألبانية آخر لغة أوربية حديثة انتظم تدوينها إلى الآن، فقد دونت بعض النصوص باللغة الألبانية فى القرن الخامس عشر الميلادى ثم كتبت بعدة خطوط. كتبها البعض بالخط اللاتينى وكتبها آخرون بالخط اليونانى، وكتبها المسلمون بالخط العربى ولم يهتم أبناء اللغة الألبانية بالتأليف فى لغتهم لأنهم كانوا على مر التاريخ مجموعة لغوية صغيرة فى إطار دولة كبرى تتعامل بلغة غير اللغة الألبانية. وفى القرن التاسع عشر بدأت محاولات إصلاح الخط وتطويره ليكون معبرا عن اللغة الألبانية، ولم تستمر محاولات الإصلاح ويكتب لها النجاح إلا فى أواخر الحرب العالمية الأولى. واللغة الألبانية لغة حوالى ثلاثة ملايين فى ألبانيا، وهناك أقليات ألبانية تعيش فى مناطق مختلفة من جنوب شرق أوربا.

ثانيا: الفرع الهندى

تضم شبه القارة الهندية عددا كبيرا من اللغات، ففى جنوب الهند توجد مجموعة لغات تكون أسرة لغوية مستقلة هى الأسرة الدرافيدية. ولكن المقصود بالفرع الهندى هو تلك اللغات التى تدخل فى إطار الاسرة الهندية الاوربية. وليست هناك علاقة نسبية بين الأسرة الدرافيدية والأسرة الهندية الأوربية، فكلتاهما أسرة لغوية مستقلة. يبدأ الفرع الهندى تاريخه القديم حوالى سنة ٧٠٠ق.م، فهو بذلك من أقدم الأفرع اللغوية للأسرة الهندية الأوربية وهناك نصوص قديمة نعرفها فى مستويين لغويين، الفيدية والسنسكريتية، وقد دونت بالفيدية والسنسكريتية الأناشيد الدينية وكتب المعرفة الهندية القديمة. كانت السنسكريتية أقدم لغة من لغات العالم تناولها البحث النحوى، فاللغوى الهندى بانينى وضع قواعد السنسكريتية حوالى سنة ٤٠٠ق.م، ولاتزال معروفة بطريقة ما- عند بعض العلماء الهنود الذين توارثوا المعرفة بها عبر الأجيال، بعض هؤلاء يؤلف باللغة السنسكريتية حتى اليوم.

ومن أهم لغات الفرع الهندى فى العصور الوسطى لغة بالى Pali، وهى لغة بوذا والبوذية، وقد دونت اللغة البالية بخطوط كثيرة فهناك كتب باللغة البالية مدونة بالخط الكمبودى وكتب أخرى مدونة بالخط السيامى ومجموعة ثالثة مدونة بالخط البرمانى ومجموعة رابعة مدونة بالخط السنهاليزى، ولكن الباحثين الأوربيين يكتبونها بالخط اللاتينى.

وتوجد فى شبه القارة الهندية لغات كثيرة معاصرة يدخل أكثرها فى إطار الأسرة الهندية الاوربية، وأهم هذه اللغات الأردية والهندية، والبنغالية، والبنجابية، والمراثية، والراجستانية، والبهارية. والواقع أن الأردية والهندية لغة واحدة تتجه فى الانقسام. ويطلق عليها عند المسلمين لغة الأردو، أى لغة الجيش، وتسمى عند الهندوس باسم الهندوستانى. يكتب المسلمون الأردية بالخط العربى، مما يتيح الإفادة من ألفاظ فارسية وعربية كثيرة، فاللغة الأردية إحدى اللغات الإسلامية، وشأن لغات الأمم الاسلامية على مر التاريخ أن تقبل ألفاظاً عربية كثيرة. أما الهندوس فيكتبون اللغة الهندوستانية بالخط الديفانجارى القديم، ويحاولون التخلص بقدر الإمكان من الألفاظ العربية والفارسية وإحياء ألفاظ سنسكريتية قديمة أو نحت ألفاظ جديدة بدلا عن الألفاظ العربية الفارسية الدخيلة فى الهندوستانية. وبسبب التنوع اللغوى فى الهند توجد مشكلة كبيرة فى التعامل بين أبناء اللغات المختلفة، ولم تستطع اللغة المعروفة باسم الهندى أن تفرض نفسها، كما ينص الدستور الاتحادى الهندى لغة رسمية فى الهند.

أما اللغة البنغالية التى تنتمى أيضا إلى لغات الفرع الهندى، فتتجاوز أهميتها دولة بنجلاديش إلى داخل الهند، فهناك ملايين من أبناء اللغة البنغالية فى داخل الهند.

أما فى باكستان فالأردية هى اللغة الوطنية، وإلى جانب الأردية توجد فى باكستان أربع لغات محلية تستوعب مجالات الحياة اليومية، وهى اللغات السندية فى إقليم السند (كراتشى) والبنجابية فى إقليم البنجاب (لاهور) والباشتو فى إقليم سرحد

(شاور) والبلوشية في إقليم بلوشستان (كوتا). واللغتان السندية والسحابية من الفرع الهندي من للغات الهندية الاوربية. أما اللغتان البلوشية و لباشتو فهما من لفرع الإيرانى للأسرة الهندية لأوربية

ثالثا: الفرع الإيرانى

تعد اللغات الإيرانية فرعا من أفرع الأسرة اللغوية لهندية الأوربية، وترتبط بوشائج القرابة المباشرة مع لغات لفرع الهندى من اللغات الهندية الأوربية، فتاريخ اللغوى للفرعين الإيرانى والهندى يعود بهما إلى أصل واحد مشترك، يطلق عليه أحيانا اللغة الآرية الأولى. وأقدم ما وصل إلينا بهذه اللغة المشتركة التى صدرت عنها اللغات الإيرانية واللغات الهندية مجموعة أسماء جاءت في نقوش ترجع إلى سنة ١٧٠٠ق.م. تقريبا، ومعنى هذا أن هذه الأسماء يمكن أن تعد هندية بقدر ماهي إيرانية، أو بالأحرى هى من تلك اللغة الإيرانية الهندية الأولى.

وقد اتخذت القبائل والشعوب الإيرانية تاريخها المستقل عن الشعوب الهندية عندما انفصلت هذه الجماعات عن تلك، وبذلك بدأ التاريخ اللغوى للفرع الإيرانى. ويمكن تحديد تاريخ هذا الانفصال حوالي سنة ١٥٠٠ق.م تقريبا، وهنا يبدأ الفرع الإيرانى تاريخه، وقد صنف الباحثون تلك اللغات الكثيرة التى يضمها الفرع الإيرانى تصنيفا زمنيا إلى اللغات الإيرانية القديمة واللغات الإيرانية الوسيطة واللغات الإيرانية الحديثة، وبداخل كل مجموعة نجد مجموعة من اللغات واللهجات.

١- الإيرانية القديمة:

لقد عرفت الإمبراطورية الإيرانية فى عهد الاخمينيين (٥٥٩-٣٣٣ق.م) عدة لغات، فقد امتد إقليم الدولة فأصبح يضم كل انحاء إيران وأرض النهرين والشام ومصر وقسما من الحبشة. وكانت اللغة الفارسية القديمة لغة الملك ولغة البلاط ولغة الحكام. وإلى جانب هذه اللغة كانت الأكادية لغة التعامل الدولى فى الشرق كله، وبها دونت

نقوش ملكية كثيرة في كل أنحاء الامبراطورية، وهناك نقوش ملكية أيضا مدونة بالعيلامية، وهي لغة لاتمت بصلة قرابة إلى الاكادية أو إلى الفارسية القديمة وهناك نقوش دونت بلغتين بعضها بالفارسية والأكادية، وبعضها بالفارسية القديمة والعيلامية، أي بلغة الميت مع لغة أخرى. يضاف إلى كل هذه اللغات أن كثير من النقوش دون بلغات أقاليم الدولة، مثل المصرية القديمة في مصر والآرامية في الشام والعراق. وهكذا لم تكن اللغة الفارسية القديمة وحدها في إمبراطورية ايران، بل نازعتها مكانتها لغة دولية ولغات محلية كثيرة.

إن أكثر النقوش الفارسية القديمة ترجع إلى الفترة بين ٦٠٠ و٤٠٠ق.م. وقد لاحظ الباحثون حدوث تحول لغوي مهم في أواخر هذه الفترة، فقد تحولت اللغة الفارسية من النمط الإعرابي إلى النمط التحليلي. والفرق كبير بين النمطين، ففي النمط الإعرابي تقوم النهايات الاعرابية بإيضاح الوظائف النحوية لعناصر الجملة، ولكن النمط التحليلي يعتمد على ترتيب الكلمات في داخل الجملة وعلى عناصر الربط بين هذه الكلمات. وملامح هذا التحول في الفارسية القديمة اختفاء النهايات الإعرابية القديمة فأصبح ترتيب الكلمة في الجملة محدداً للدلالة. لقد حدث هذا التحول من النمط الإعرابي إلى النمط التحليلي بين عامي (٤٨٠-٤٠٠ق.م)، وبذلك نشأت الفارسية الوسيطة ثم الفارسية الحديثة. ويعد هذا التحول من النمط الإعرابي في الفارسية القديمة إلى النمط التحليلي في الفارسية الوسيطة السمة الأساسية التي نفرق بين المرحلتين.

٢- الإيرانية الوسيطة:

يضم الفرع الإيراني في المرحلة الوسيطة عدداً من اللغات، وكان الباحثون الأوروبيون حتى أواخر القرن التاسع عشر لايعرفون من المستويات اللغوية الايرانية الوسيطة سوى لغة واحدة هي الفارسية الوسيطة (البهلوية)، وقد تقدم البحث في القرن

العشرين تقدما بعيدا، فأصبحنا نعرف من اللغات واللهجات الإيرانية الوسيطة: الفارسية الوسيطة، ثم الصُّغْدِية والخوارزمية.

(١) الفارسية الوسيطة:

الفارسية الوسيطة امتداد الفارسية القديمة، ويطلق عليها أيضا اسم البهلوية، ويرجع هذا الاسم إلى كلمة Pahlaw ومعناها بارثي، ولذا فكلمة (بهلوى) تعني لغة البارثيين.

وقد دونت البهلوية بالخط الآرامي على نحو جعل الكتابة معقدة غير واضحة. وترتبط هذه الظواهر بطبيعة العلاقات اللغوية في دولة الأخمينيين، فقد كانت الآرامية اللغة الرسمية في الدولة، فكان كبار رجال الدولة يعرفون الآرامية، وظلت المعرفة بالآرامية هي السمة المميزة لطبقة كبار الموظفين عدة أجيال، فكانت مصدر فخرهم وسمة انتمائهم. وعندما أرادوا تدوين لغتهم الإيرانية لم يأخذوا في تدوينها بالمكونات الصوتية للكلمة الإيرانية المقصودة، بل اعتمدوا الفكرة التي تعبر عنها الكلمة الفارسية. ومعنى كتابة المكونات الصوتية تدوين الكلمة برموز تدل على نطقها الحقيقي، وهذا مالم يحدث في تدوين الفارسية الوسيطة، ولكنهم اعتبروا الكلمة الإيرانية كيانا دلاليا متكاملا، ودونوا هذه الكلمة بحروف الكلمة الآرامية التي تؤدى نفس معنى الكلمة الايرانية

ويتضح هذا الأمر من المثال الآتي تدل، كلمة (شاه) في الفارسية الوسيطة على الملك أو الامبراطور أو رئيس الدولة، وهذا المعنى يعبر عنه في الآرامية بكلمة (ملكا). وفي الكتابات البهلوية كانوا إذا أرادوا تدوين كلمة (شاه) لم يكتبوا هذه الكلمة بطريقة مباشرة بتدوين المكونات الصوتية لهذه الكلمة، بل كانوا يدونون الكلمة الآرمية المقابلة التي تؤدى نفس المعنى، وهي كلمة (ملكا)، ولما كان الخط الآرامي في ذلك الوقت لايدون الحركات القصيرة ولا الحركات الطويلة كانت النتيجة أنهم كتبوا (م ل

ك) لتعبير عن كلمة (شاه)، ولا علاقة صوتية بينهما إلا أن كليهما يعبر -دلاليا- عن الملك.

ولكن الكتابة البهلوية تدون -إلى جانب ما ذكرت- النهايات التصريفية وفق المكونات الصوتية لها، وهذا على عكس النظام المتبع في تدوين المفردات الأساسية. ولذا فتدوين البهلوية يقوم على نظامين مختلفين، نظام التدوين بالمعنى ثم نظام التدوين الصوتي. فإن المفردات الأساسية كانت تدون تدوينا لاعلاقة له بأصوات الكلمة -على نحو ما مثلنا، ولكن النهايات التصريفية مثل نهايات الجمع وتتكون من فتحة طويلة ونون (آن) فكان تدوينها يتم برموز توضح مكوناتها النطقية. وهذا النظام المزدوج جعل تعلم الكتابة أمراً معقداً مقصوراً على من كابد ذلك وتعلمه ليتاح له مجال الرقي الوظيفي والاجتماعي، وخصوصا في عهد الساسانيين (٢٢٦ ٦٥٢م) عندما كانت اللغة البهلوية اللغة الرسمية في الدولة الإيرانية.

(ب) الصُغْدِية:

الصغدية إحدى اللغات الإيرانية الوسيطة، وظلت معروفة عدة قرون في الحضارة العربية الإسلامية. ترجع أقدم نصوص وصلت إلينا بالصغدية إلى القرن الرابع الميلادي، وقد وجدت أكثر هذه اللغة في منطقة بخارى وسمرقند. وعلى الرغم من تدمير منطقتهم في أثناء غزو الاسكندر لها وتفرق جماعات منهم فإن الرحالة المقدسي في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي قد عرف الصغد، ولاحظ أن منطقة الصغد قصبتها سمرقند، وأن لغتهم تختلف عن لغة جيرانهم، لغة الصغد "لسان على حدة"، وقد وصلت إلينا النقوش الصغدية المتأخرة من القرن الحادي عشر الميلادي.

الكتابة المانوية وتدوين اللغات الايرانية الوسيطة:

كان تبسيط ماني (٢١٦-٢٧٤م) طريقة التدوين بداية مهمة، كان من الممكن أن تؤدي إلى تحول حضاري كبير، ولكن هذه المحاولة ظلت ذات أثر محدود. لقد أفاد ماني من نظام الكتابة الأبجدية كما كان متبعا عند الآراميين، وكان ماني نفسه من

أبناء إحدى اللهجات الآرامية الشرقية. وعندما أراد ماني أن يقدم بملك نسخة من تعاليمه مدونة في كتب أفاد من فكرة الكتابة الأبجدية المبسطة، في تدوين الفارسية الوسيطة، وبهذا دونت الفارسية الوسيطة لأول مرة بكتابة محدودة العناصر سهلة التعلم. ولما كانت دعوته تهديدا برجال الدين الزرادشت فقد ظلت كتابته موضع هجومهم، وهكذا اقتصر استخدام هذه الكتابة على الجماعات المانوية، وبها دونوا الصغدية والبارثية وهي كذلك إحدى اللغات الإيرانية الوسيطة- ودونوا بها - أيضاً - نصوصا من الفارسية الحديثة ومن لغات غير إيرانية، مثل لغة الأويغور التركية.

(جـ) الخوارزمية:

ظلت اللغة الخوارزمية محتفظة بالخصائص اللغوية للإيرانية الوسيطة قرونا طويلة في الحضارة العربية الاسلامية. وقد دون الخوارزميون لغتهم بالخط العربي، وهناك مخطوطات خوارزمية مدونة بالخط العربي دون تلك النقط الثلاث التي أضافها الفرس إلى حروف الخط العربي لتكوين حروف جديدة. وثمة مخطوطات أخرى يقوم تدوينها على الخط العربي مع الإضافات الفارسية. يعد تدوين تلك اللغة الإيرانية الوسيطة بالخط العربي مهما في بالمقارنة بذلك بالنظام المعقد للفارسية الوسيطة والنظام غير المتداول للكتابة الصغدية، وتعد دراسة تلك النصوص الخوارزمية المدونة بالخط العربي مفتاح فهم الكتابات الكثيرة باللغات الإيرانية الوسيطة المدونة بالخطوط المختلفة.

٣- الإيرانية الحديثة:

تطلق هذه التسمية على عدة مستويات لغوية، وليست هناك لغة واحدة تحمل اسم الإيرانية الحديثة، بل هي مجموعة لغات ومستويات لغوية،وأهم هذه اللغات:

(ا) اللغة الفارسية:

اللغة الفارسية الحديثة التي تستخدم في إيران في عهدها الاسلامي وعصرها الحديث. وتسمى هذه اللغة "فارسي" أو "دري" وترجع بداية تميز الفارسية الحديثة عن الفارسية الوسيطة إلى القرن الأول الهجري السابع الميلادي. وتعد الفارسية

لحديثة متداد متطور، لغة الفارسية الوسيطة كما كانت مستخدمة في جنوب غربي من إيران. كانت هذه اللغة لغة البلاط الساساني قبل الاسلام ولغة المراسلات الرسمية في العهد الساساني كما كانت لغة الطبقة العليا. وقد حدث التحول من الفارسية الوسيطة إلى الفارسية الحديثة في أواخر العهد الساساني، فالتغيرات الصوتية التي تميز الفارسية الحديثة في أقدم صورها عن الفارسية الوسيطة كانت قد اكتملت في القرن السابع الميلادي.

وعندما دخلت إيران الدولة الاسلامية بعد الفتح هاجرت إليها جماعات عربية كثيرة، ودخل الإيرانيون في الاسلام، وحاول كثير منهم العمل في الدولة الاسلامية، وأراد بعضهم الإسهام في الحضارة الاسلامية بتأليف الكتب العربية، فكان على كل هؤلاء الصحيين تعلم اللغة العربية. وهنا بدأ الايرانيون عصر الازدواج اللغوي العربية لغة التأليف ولغة الدولة ولغة الدين وهي أيضا لغة الحياة، والفارسية يقتصر استخدامها على الحياة اليومية المحلية. وهنا كانت العربية -وحدها- لغة الثقافة، فلم يؤلف الايرانيون بغيرها حوالي ثلاثة قرون. لقد عرف القرن الثالث الهجري محاولة محلية لجعل الفارسية لغة كتابة، ثم أصبح التأليف بالفارسية ظاهرة واضحة الملامح في القرن الرابع الهجري في إطار دولة السامانيين.

لقد تكونت الفارسية الحديثة في إطار الحضارة العربية الاسلامية، وصارت اللغة العربية عند العلماء الفرس المصدر الذي يستمدون منه مصطلحاتهم العلمية. لقد دون الفرس لغتهم بالخط العربي، وكان استخدامهم للخط العربي تعبيرا عن ارتباطهم بالإسلام في وقت مبكر، بينما كان الزرادشتية والمانوية واليهود والمسيحيون يدونون الفارسية بخطوط أخرى. وربما يرجع تدوين الفارسية بحروف عربية إلى منتصف القرن الثالث الهجري، ولكن تطوير نظام الكتابة العربية بإضافة النقط الإضافية لتكوين حروف مثلثة يرجع فيما يبدو إلى منتصف القرن الخامس الهجري.

وقد استقرت اللغة الفارسية لغة وطنية ورسمية في إيران منذ ذلك التاريخ، ودخلت بعد ذلك إلى شبه القارة الهندية لغة للآداب والثقافة. فكانت من أهم المواد الدراسية في معاهد التعليم الاسلامية في شبه القارة الهندية، واتحدت مكانها في هذه المعاهد إلى جانب اللغة العربية.

وعندما دخل الترك الدولة الاسلامية كانت الفارسية رافدا لغويا مهما قدم للغة التركية كثيرا من ألفاظ الحضارة والمعرفة. وبذلك ارتبطت الفارسية الحديثة بلغات كثيرة في العالم الاسلامي.

(ب) اللغة التاجيكية:

تنتمي اللغة التاجيكية إلى لغات المجموعة العربية من الفرع الإيراني من اللغات الهندية الأوربية. واللغة التاجيكية هي اللغة الرسمية في جمهورية التاجيك. ويتحدث بها هناك حوالي ثلاثة ملايين. واللغة التاجيكية أيضا إحدى لغات جمهورية ربكستان. وكانت السياسة اللغوية للاتحاد السوفيتي في جمهورياته الجنوبية تقوم على تحويل كتابة لغات هذه المناطق إلى الخط الكيريلي الذي تدون به اللغة الروسية. ولذا تكتب اللغة التاجيكية بالخط الكيريلي الروسي. وهناك اتجاه جديد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي لتدوينها بالخط العربي على نحو تدوين اللغة الفارسية.

(جـ) اللغة الكردية:

تنتمي اللغة الكردية إلى المجموعة الغربية من الفرع الإيراني من اللغات الهندية الأوربية، وتتحدث بها جماعات الأكراد في العراق وتركيا وإيران. وهي إحدى اللغات الوطنية المعترف بها -اليوم- في العراق. ويقدر عدد المتحدثين باللغة الكردية بحوالي سبعة ملايين موزعين في شمال العراق وشمال غربي إيران وشرقي تركيا، ولذا دخلتها ألفاظ كثيرة من التركية والفارسية والعربية.

(د) اللغة البلُوشِية:

اللغة البلوشية إحدى لغات المجموعة الغربية من الفرع الإيراني من اللغات الهندية الأوربية. وهي اللغة السائدة في إقليم بلوشستان في جمهورية باكستان، وتوجد جماعات بلوشية كبيرة العدد في أقاليم باكستان الأخرى خصوصا في اقليمي البنجاب والسند. وهناك جماعات بلوشية في إيران وأفغانستان. وهناك تفاوت كبير في تقدير عدد البلوش في هذه المناطق، إلا أن دراسة حديثة عن البلوش تقدر عددهم بعشرة ملايين في باكستان وستة ملايين في إيران وأفغانستان، وذلك بالإضافة إلى عدة آلاف من البلوش هاجروا منذ حوالي قرنين إلى الخليج العربي والكويت. والبلوشيون لايدونون لغتهم إلى الآن، ويكتفون باللغات الأخرى التي يعيشون في إطارها الحضاري.

(هـ) لغة الباشتو:

لغة الباشتو هي اللغة الوطنية واللغة الرسمية في دولة أفغانستان منذ ١٩٣٦، وهي لغة إقليم سرحد في دولة الباكستان وعاصمته بشاور، وهي تدرك لغة أكثر من خمسة عشر مليونا، وتكتب لغة الباشتو بالخط العربي.

رابعا: الفرع السلافي:

اللغات السلافية فرع من الأسرة الهندية الأوربية، وترجع كل لغات الفرع السلافي إلى أصل واحد مشترك. وقد افترض الباحثون أن هذه اللغة السلافية الأولى كانت قبيل بداية التاريخ الميلادي لغة موحدة أو تكاد تكون موحدة، ولم تصل إلينا نصوص هذه اللغة السلافية الأولى، ومع هذا فمن الضروري افتراض وجود هذه اللغة تفسيرا لنشوء اللغات المختلفة التي نجمت عن هذا الأصل المشترك.

وقد وصلت إلينا أقدم لغة سلافية مدونة في نصوص من القرن العاشر الميلادي، ويطلق على هذه اللغة اسم اللغة السلافية الكنسية القديمة أو اللغة البلغارية القديمة، وقد نسب هذا المستوى اللغوي للكنيسة، وذلك لأنها كانت اللغة التي استخدمها الأحوال

المسيحيان كيرل Kyrll وميثود Method فى التبشير بالمسيحية بين الجماعات السلافية فى القرن التاسع الميلادى. وظلت هذه اللغة مستخدمة فى الكنيسة الأرثوذكسية عند الجماعات السلافية زمنا طويلا، ولا تزال تستخدم بشكل محصور فى الطقوس الدينية لدى الكنائس الأرثوذكسية الروسية.

وقد دونت هذه اللغة السلافية الكنسية القديمة بخط يقوم على الخط اليونانى فى شكله المدون فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وكان هذا التدوين على يد كيريل، فنسب إليه الخط الكيريلى، وأدى ارتباط هذا الخط بالكنيسة الأرثوذكسية إلى انتشار هذا الخط عند الجماعات السلافية التى اعتنقت المسيحية الأرثوذكسية. ولذا كتبت به اللغات الروسية والبيلوروسية والأوكرانية والبلغارية والمقدونية والصربية. أما الجماعات السلافية الأخرى فقد عرفت المسيحية على يد المبشرين الكاثوليك، فكتبوا لغاتهم بخط يقوم على الخط اللاتينى، ولذا تكتب اللغات البولندية والتشيكية والسلوفينية والكرواتية بحروف تقوم على الخط اللاتينى.

وقد أخذت اللغات الوطنية للشعوب السلافية فى التكون على نحو تدريجى، وبدأت هذه اللغات تأخذ طابعها المتميز بعد القرن الحادى عشر الميلادى. ويمكن توزيع هذه اللغات على النحو التالى:

(ا) اللغة الروسية:

اللغة الروسية القديمة أهم اللغات السلافية وأكثرها انتشارا. ويبلغ عدد أبنائها أكثر من مائة وخمسين فى الاتحاد الروسى، وهى اللغة الثانية فى كل جمهوريات وسط آسيا التى لها لغات وطنية محلية وفى كل دول أوربا الشرقية. وتقوم اللغة الروسية المشتركة على أساس لهجة المنطقة التى تقع فيها العاصمة موسكو.

ويرجع التاريخ اللغوى المتميز للغة الروسية إلى القرن الحادى عشر الميلادى. ولكن عصر ازدهارها بدأ فى القرن الخامس عشر فى موسكو، التى كانت أول الأمر مركز ديني. وكانت للغة الروسية مكانة ثقافية مرموقة فى النصف الثانى من القرن

السابع عشر عندما أصبحت لغة الثقافة والأدب والإدارة في كل أنحاء الدولة القيصرية، وأخذ التأليف يتجه إلى موضوعات حية ويقترب بشكل متزايد من الأدب الأوروبي الغربي، وقد دخلت ألفاظ حضارية كثيرة من اللغات الأوروبية الأخرى، وخصوصا من اللغة الألمانية واللغة الفرنسية.

وقد عرفت اللغة الروسية في هذه الفترة عدة مستويات في لغة التأليف، فكان المستوى الرفيع يحاكي لغة السلافية الكنسية بما فيها من تأثيرات بيزنطية يونانية، وفي هذا المستوى اللغوي المفصح كانت تؤلف المآسي أما المستوى الثاني وهو المستوى المتوسط فكان يتمثل في لغة الإدارة والموضوعات العلمية، وكان المستوى الثالث هو العامية الراقية وبها كانت تؤلف الملهاة. وكان الفضل الأكبر في الدعوة إلى اللغة الروسية المشتركة لعالم لغوي روسي مرموق هو لومونوسوف (١٧١١-١٧٦٥) Lomonossow، وإليه تنسب جامعة موسكو. وقد أوضح لومونوسوف العناصر المشتركة بين هذه المستويات، وجعلها أساس اللغة المشتركة. وقطع الاهتمام باللغة المشتركة عدة مراحل إلى أن وجد التطبيق الحي عند بوشكين، وعنده زالت الحدود الفاصلة لتصبح اللغة المشتركة هي اللغة القومية

(ب) اللغة الأكرانية:

تسمى اللغة الأكرانية أحيانا باسم اللغة الروسية الصغرى، وهي لغة يتحدث بها اليوم أكثر من ثلاثين مليونا في أكرانيا. وقد عرفت اللغة الأكرانية في فجر نموها عدة مؤلفات من القرن الحادي عشر إلى الثاني عشر، وكانت اللغة السائدة في دولة كييف، وعندما حطم التتار دولة كييف ١٢٤٠م انهار الكيان الثقافي للغة الأكرانية. واستمر هذا الانهيار أكثر من خمسة قرون كاملة. ولم تحدث النهضة الحضارية واللغوية بعد ذلك إلا في فترة محدودة (١٧٩٨-١٨٦٣)، وانتهت هذه الفترة بأن فرضت السلطات القيصرية على أبناء الأكرانية اللغة الروسية. ولم تنته هذه السياسة إلا بانتهاء القيصرية سنة ١٩١٨. واليوم تعد الأكرانية لغة رسمية معترفا بها في كل مجالات

الحياة والثقافة فى جمهورية أكرانيا، وإلى جانبها توجد اللغة الروسية باعتبارها اللغة الثانية.

(هـ) اللغة البيلوروسية:

تسمى هذه اللغة أيضا باسم لغة الروس البيض، ويتحدث بها حوالى ثمانية ملايين فى روسيا البيضاء (بيلوروسيا) وقد ازدهرت اللغة البيلوروسية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

(د) اللغة البولندية:

اللغة البولندية هى اللغة الوطنية لحوالى ثلاثين مليونا فى جمهورية بولندا ولغة جماعات بولندية فى روسيا وتشيكوسلوفاكيا والولايات المتحدة الامريكية. يبدأ تاريخ اللغة البولندية بنصوصها منذ القرن الرابع عشر الميلادى. وتقوم الكتابة البولندية على أساس الخط اللاتينى، لأن البولنديين عرفوا المسيحية على يد المبشرين الكاثوليك، وكانت بولندا لذلك فى إطار الثقافة اللاتينية، حتى إن هناك عدة مؤلفات ألفها بولنديون حتى القرن السابع عشر باللغة اللاتينية، وحلت اللغة الفرنسية فى القرن الثامن عشر محل اللغة اللاتينية، فأصبحت الفرنسية لغة المثقفين. وكان لهذا الموقف أثره فى إهمال البولندية، ولم يحدث الازدهار الحقيقى للغة البولندية إلا فى إطار الحركة القومية فى القرن التاسع عشر، فكانت اللغة رمزا للوحدة القومية.

(هـ) التشيكية السلوفاكية:

التشيك والسلوفاك شعبان سلافيان كانا يكونان جمهورية تشيكوسلوفاكيا، عدد مواطنيها كان حوالى ثلاثة عشر مليونا. وقد نشأت بعد ذلك الجمهورية التشيكية والجمهورية السلوفاكية، ولكل لغة من اللغتين تاريخ مستقل. فالتشيكية دونت منذ لقرن الثالث عشر الميلادى، وعاشت مراحل متتابعة من الازدهار الحضارى ثم الانكماش بالاقتصار على التعبير عن الحياة اليومية الريفية، ولم تحدث النهضة اللغوية

للتشيك إلا فى أواخر القرن الثامن عشر. أما السلوفاكية فقد انتضمت الكتابة بها فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى.

(ز) البلغارية:

عرف البلغار -أى سكان بلغاريا- تحولا لغويا فى القرن السابع والثامن والتاسع للميلاد، فبعد أن كانت بلغاريا بيئة لغوية لإحدى اللغات الألتائية أخذ الطابع السلافى يسود هذه البيئة، وأصبحت اللغة السائدة فى بلغاريا منذ القرن التاسع الميلادى إحدى اللغات السلافية، وبها دونت أقدم النصوص التى نعرفها باللغة السلافية الكنسية القديمة، ولذا تسمى هذه اللغة أيضا باسم اللغة البلغارية القديمة.

وقد مر التاريخ اللغوى للبلغارية بمراحل متعاقبة، أطولها تلك القرون الخمسة التى كانت بلغاريا فى أثنائها تابعة للدولة العثمانية (١٣٩٣-١٨٧٨). وقد بدأ الازدهار الجديد للغة البلغارية فى المائة عام الأخيرة من الحكم العثمانى، غير أن ملامحها الجديدة لم تتضح إلا بعد الاستقلال. والبلغارية -اليوم- هى اللغة الوطنية لتسعة ملايين فى جمهورية بلغاريا.

(ح) الصربية والكرواسية:

المنطقة التى كانت تشغلها جمهورية يوغسلافيا وجمهورية بلغاريا ظلت زمنا طويلا بيئة لغوية واحدة للغة السلافية الكنسية القديمة أى البلغارية القديمة، ومع انهيار الدولة البلغارية على يد العثمانيين سنة ١٣٩٣م دخلت منطقة اللهجات الصربية والكرواسية فى الدولة العثمانية. كان الصرب قد تحولوا إلى المسيحية الأرثوذكسية فكانوا يكتبون لهجتهم بالخط الكيريلى، أما الكروات فكانوا مسيحيين كاثوليك يكتبون لهجتهم بالخط اللاتينى. وقد حدثت فى إطار الحركات الوطنية منذ القرن الثامن عشر محاولات كثيرة لتقنين الاستخدام اللغوى، إلى أن أصبحت اللغة الصربية الكرواسية اللغة الرسمية الأولى مع قيام جمهورية يوغسلافيا، ويتحدث بها أكثر

من أربعة عشر مليون. وبعد انقسام هذا الكيان سياسي بدأ موقف جديد لم تتضح ملامحه لغوية بعد.

(ط) السلوفينية:

هي لغة مليونين في جمهورية سلوفينيا، وتقع في منطقة بحدود النمسوية والإيطالية مع يوغسلافيا السابقة. قد بدأ تدوينها في القرن السادس عشر، فترجمت إليها نصوص العهد الجديد. ولكن التأليف بها لم يصبح اتجاها واضحاً إلا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. وتكتب بالخط اللاتيني، وقد دخلتها ألفاظ كثيرة من اللغة الألمانية.

(ى) لغات البلطيق:

يضم بعض الباحثين لغات البلطيق مع اللغات السلافية في مجموعة واحدة بينما يجعلها البعض فرعاً مستقلا عن الفرع السلافي. اليوم تضم اللغات البلطيقية لغات محدودة، أهمها: اللغة الليتوانية واللغة اللاتفية. وقد عرفت منطقة شمال أوربا لغة أخرى من لغات البلطيق- بادت منذ القرن السابع عشر، وهي اللغة البروسية القديمة. أهم لغات البلطيق الحية هي اللغة الليتوانية. لغة جمهورية ليتوانيا اهتم بها الباحثون في علم اللغة المقارن لخصائصها المعرقة في القدم، ولكن أبناء اللغة الليتوانية قد حافظوا في عزلتهم في شمال - في تلك المنطقة التي ربما عاشت فيها جماعة تحدثت باللغة الهندية الأوربية الأولى على كثير من الخصائص اللغوية القديمة. أما اللغة اللاتفية، لغة جمهورية لاتفيا، فيتحدث بها مليون ونصف مليون في جمهورية تنسب إليهم وتقع على البلطيق.

خامسا: الفرع الكلتى

الكلتية من أقدم اللغات الهندية الأوربية في أوربا، انتشرت بعد هجرة مجموعة من أبناء اللغة الهندية الأوربية الأولى من موطنها المفترض في جنوب روسيا إلى جنوب

أوربا. كنت الكلتية لغة بلاد الغال القديمة (فرنسا) قبل انتشار اللاتينية، كما كانت لغة بريطانيا وإيرلندا قبل هجرة الأنجلوساكسون إليهما. وكانت أيضا لغة شمال إيطاليا وجنوب ألمانيا. وكانت الكلتية أيضا لغة شبه جزيرة أيبيريا. وقد انكمشت الكلتية في القرون الأولى بعد الميلاد، وكان هذا الانكماش اللغوي الكلتي في القارة الأوربية أكثر منه في أيرلندا وسكوتلندا، فقد بقيت الكلتية فيهما إلى حد بعيد، ولم تنحسر على نحو ما حدث في وسط وجنوب غرب أوربا.

ولاتزال الكلتية حية إلى اليوم في عدة أشكال لغوية، أهمها: اللغة الأيرلندية، واللغة الاسكوتلندية الغالية، واللغة البريتونية. ترجع أقدم نصوص اللغة الأيرلندية إلى القرن الثامن الميلادي، ولها تراث أدبي كبير. ولاتزال اللغة الأيرلندية ثرية بالأدب الشعبي، وهي اللغة الأم للجماهير العريضة في أيرلندا. أما اللغة الاسكوتلندية الغالية فهي لغة المهاجرين الكلتيين إلى سكوتلندا في القرن الرابع الميلادي، ولاتزال اللغة الكلتية في منطقة لغوية صغيرة في القارة الأوربية، فاللغة البريتونية امتداد حديث للكلتية. والبريتونية لغة حوالي مليون ونصف مليون مواطن فرنسي في منطقة بريتاني وبعض الجزر القريبة منها. وفي كل المناطق التي تعيش فيها الكلتية في أشكالها الحديثة نجد محاولات شعبية للمحافظة عليها وجعلها لغة التعليم هناك. ولكن موقف أبناء هذه الجماعات اللغوية الكلتية من اللغات العالمية الحديثة متفاوت وغير محدد الاتجاه. إنّ تأكيد الذاتية الثقافية يتطلب المحافظة على اللغة المحلية، والصلة القوية باللغات الحية الكبرى تحقق مكاسب اقتصادية وعلمية

سادسا: الفرع الجرماني

يضم الفرع الجرماني من اللغات الهندية الأوربية مجموعة من اللغات الأوربية التي ترجع إلى أصل واحد. وتشترك لغات الفرع الجرماني في عدة خصائص لغوية، مما جعل الباحثين يرجعونها إلى أصل واحد هو اللغة الجرمانية الأولى. وقد تميزت

هذه اللغة عن اللغة الهندية الأوربية الأولى فى الفترة بين سنة ٨٠٠ق.م و ٦٥٠ق م. وظلت الجماعات الجرمانية تتحدث بالجرمانية فترة طويلة من الزمن، وعلى مدى أجيال متعاقبة هاجر بعضها في اتجاه مخالف لهجرات أخرى، وبذلك أخذت الخصائص اللغوية تختلف باختلاف الجماعات، وتميزت لهجتان أساسيتان، هما اللهجة القوطية النوردية، واللهجة الجرمانية الغربية. ولم يقف تيار الانقسام عند هذه الدرجة، فقد نشأت بالتالي عدة لهجات جديدة عن القوطية النوردية ولهجات أخرى عن الجرمانية الغربية. وبذلك تنوعت اللهجات الجرمانية تنوعاً بعيداً.

(أ) اللغة القوطية:

تضم المجموعة القوطية النوردية عدة لغات، أهمها اللغة القوطية واللغة النوردية القديمة. كانت اللغة القوطية قد انفصلت وتميزت بخصائص جديدة قبل المسيحية ببضع مئات من السنين. وقد تطورت عن القوطية لغتان قوطيتان، تسمى إحداهما باسم القوطية الغربية، والثانية باسم القوطية الشرقية.

وتختلف مستويات الاستخدام اللغوى للقوطية الشرقية عن القوطية الغربية الشرقية، فقد كان أهم ما دون بالقوطية الغربية تلك النصوص الدينية المترجمة إليها، ولذا ارتبط استخدامها بالمجال الديني المسيحى. فقد ترجم العهد القديم إلى القوطية الغربية وكذلك العهد الجديد، ولم تقم هذه الترجمة على النقل المباشر عن النصوص الأصلية فالعهد القديم مثلا لم يترجم عن النصوص العبرية والآرامية بل ترجم عن الترجمة اليونانية المعروفة باسم الترجمة السبعينية، وترجم العهد الجديد عن النص اليونانى أيضا. وقد أدى ارتباط اللغة القوطية الغربية بهذه المترجمات عن اليونانية إلى أن تأثرت القوطية الغربية باللغة اليونانية من ناحية بناء الجملة، كما دخلت إليها ألفاظ يونانية كثيرة خاصة بالمجال الديني.

أما اللغة القوطية الشرقية فقد كانت لغة كثير من النصوص الأدبية، أهما مـابدور حـول الطـــولات والأمـــجاد، وبهـذا امتـد تأثيرهـا فـى ملاحـم العصـــور الوسـطى الألمانية.

(ب) النوردية القديمة:

الفرع الثانى من المجموعة القوطية النوردية يعرف باسم اللغة النوردية القديمـة. وتعد هـذه النورديـة لغـة واحـدة، وهـى الأصـل التـاريخى الـذى خرجـت عنـه اللغـات السويدية والدانيمركية والنرويجية. ولذا كانت تذكر أيضاً باعتبارهـا السـويدية القديمـة والدانيمركية القديمة والنرويجية القديمة، وقد ظلـت هـذه اللغـة موحـدة حتـى حوالـى ٧٠٠م، ثم أخذت فى الانقسام بعد ذلك.

(جـ) الايسلندية

تعد الأيسلندية ثمرة انفصال مبكر عن النوردية القديمة فقـد هـاجرت جماعـات من النرويجيين -وكانت لغتهـم هـى النورديـة القديمـة- إلـى جزيـرة أيسـلندا (٨٧٤-٩٣٠م). وبذلك اتخذت هذه الجماعة البعيدة طابعاً خاصاً بها، كـانت أوضـح سـماته المحافظة على الخصائص اللغوية القديمة. وقد وصلت إلينا أناشيد شعبية كثـيرة مدونـة بهذه اللغة المحافظة، أهمها مجموعة الإدا Die Edda.

(د) اللغات السويدية والدانيةوالنرويجية:

تكونت عدة لغات وطنية فى المناطق التى كانت مـن قبـل تكـون البيئـة اللغويـة النوردية القديمة. وأهم هذه اللغات الدانيمركية أو الدانية، والسويدية والنرويجيـة، وقـد أخذت هذه اللغات طابعها المتميز باعتبارها لغات وطنية منذ بداية القرن التاسع عشـر، وقبل ذلك التاريخ كان تنوع اللهجات يسود الحياة اللغوية هناك.

إن دولة واحـدة كـانت تضـم الدانمرك والنرويج حتـى استقلال النرويج سـنة ١٨١٤م، وكـان السيادة اللغويـة فيهـا للغـة واحــدة هـى لغـة الدولـة (الدانمركيـة)

Riksmaal، وبعد انفصال النرويج سياسيا ظهر عندهم اتجاه للانفصال اللغوي يقوم على الإفادة من لهجة البلاد لتكوين لغة وطنية تختلف عن لغة الدولة التي سادت أيام الوحدة، ولذلك قامت سنة ١٨٤٧ دعوة إلى لغة البلاد Landsmaal، وهي اللغة التي تعرف أحيانا باسم اللغة النرويجية ومنذ سنة ١٨٩٧ اعترفت دولة النرويج بكلتا اللغتين في العمل الرسمي.

(هـ) الفرع الألماني:

يضم الفرع الألماني Deutsch عددا من المستويات اللغوية المتنوعة زمانا ومكانا وكانت هذه اللهجات تسود الحياة الشعبية في فترة كانت اللغة اللاتينية لغة الثقافة الرفيعة والعلم، وازداد الاهتمام باللغة الألمانية شيئا فشيئا إلى أن أصبحت لغة العلم والثقافة والحياة اليومية.

إن بداية التدوين المحدود باللغة الألمانية ترجع إلى القرن الثامن الميلادي، ودخلت الألمانية مجال الاستخدام الرسمي للدولة في القرن الثالث عشر (١٢٣٨م) بينما ظلت اللغة اللاتينية لغة العلم والثقافة، وبدأ استخدام اللغة الألمانية في التعليم الجامعي سنة ١٦٨٧م وصدرت بها أول مجلة شهرية ١٦٨٨م، ولكن اللاتينية ظلت منافسا قويا في الجامعات، حتى إن بعض الرسائل الجامعية كانت حتى أوائل القرن العشرين تقدم مكتوبة باللغة اللاتينية.

وهناك عوامل حاسمة أدت إلى التوحيد اللغوي في هذه المنطقة التي سادتها من قبل مجموعة كبيرة من اللهجات الألمانية، فقد حاولت الإدارة استخدام مستوى لغوي موحد، ومنذ انتهى القرن الخامس عشر حتى كانت الدواوين تستعمل لغة ألمانية موحدة وكان اختراع الطباعة حوالي ١٤٥٠م، ورغبة الناشرين في رواج مطبوعاتهم عاملا حاسما في إصرارهم على أن تكون الكتب بتلك اللغة المشتركة، وليست باللهجات المحلية وأدت ترجمة مارتن لوثر للكتاب المقدس إلى هذه اللغة المشتركة إلى أن أصبحت هذه اللغة رمز حركة الإصلاح الديني، وزادت مجالات

ستحدام هـده لغـة ممشتركة جيلا عـد جيـل، ورغـب مؤلفـون عـن لـأيف بالمستويات لغوية لمحلية، وفي منصف لقرن سـ ع عشر اتهى التأليف بالسويسريه ولهجات لمانية أخرى كثيره، وأصبحت سيادة في تأليف لغة لأمانيه لمشتركة

أم استخدام اللغة لأمانيه في لتعليم لشعوى فقد ر د بانتشار التعليم والوعى لغوى لقومي، فأصبحت بمضى لوقت وسيلة تدريس و سرح و لحوار و نقاش في كل المدارس و لمعاهد علمية، وكانت لغة لمسرح ولغة لاذاعة، إلى جانب كونها لغة لكتب و لصحيفة والإدارة وهكذا قلت مجالات ستخدام لهجات محلية بصوره متزايدة، و نحسرت لغة للاتينيه لتصبح لغة لألمانية لغة لحياة و علم و هي لغة مئة مليون من لأوربين في ألمانيا و لنمسا وسويسرا، وعند جماعات لمانية أخرى في دول أوربا.

(و) اللغة الهولندية:

تعترف لهولندية في نبتها المعوية من لغة الألمانية. فقد كانت إحدى لهجات لألمانية لكثيرة لتي سادت هذه لمنطقة، ثم دونت بها بعض نصوص الأدبية في لقرن الرابع عشر. وأدى لنزوع لسياسي نحو لاستقلال عن باقي لمناطق لألمانية ثم إعلان لاستقلال سنه ١٦٤٨م إلى الانفصال لنهائي، وبذلك اتخذت لهولندية تجاهها خاص متميزة عن الألمانية.

وفي فترة تالية خرجت جماعات من لمهاجرين الهولنديين إلى جنوب أفريقيا، ودونوا هناك لهجتهم الهولندية، وأطلق عليها اسم Afrikaans تمييزا لها عن لهولندية لأم. ولغة الافريكانز هي إحدى لغات لرسميه في اتحاد جنوب أفريقيا.

(ز) اللغة الفريزية:

تكون الإنجليزية و لفريزية فرعا في داخل لمجموعة لجرمانية. وقد انفصل هذا لفرع و حتفظ بخصائصه منذ منتصف القرن لخامس الميلادى، وتنوعت لهجات

بعد ذلك وزاد الانقسام في إطارها فنشأت لهجات أخرى، ودونت عدة لهجات منها، وبعد ذلك تكونت الهولندية وأخذت تسود الحياة اللغوية في تلك المنطقة. وبذلك انحسر استخدام الفريزية منذ القرن الخامس عشر الميلادي عن المجالات الحضارية، وظلت بعض المناطق الصغيرة في هولندا تتعامل بها في الحياة اليومية.

(ح) اللغة الإنجليزية:

أخذت اللغة الانجليزية في التكون بعد هجرات الانجليز والسكسون والجوت من القارة الأوربية في منتصف القرن الخامس الميلادي. وتأثرت هذه اللهجات في القرون التالية باللغة الدانمركية في أثناء حكم الدانمرك للجزر البريطانية (١٠١٦-١٠٤٢م) وباللغة الفرنسية في أثناء الحكم النورماندي الفرنسي منذ ١٠١٦م، وكانت اللغة الفرنسية في الفترة من القرن الحادي عشر الميلادي حتى منتصف القرن الرابع عشر لغة البلاط ولغة المثقفين، وظلت -أيضا- كانت لغة التعليم حتى ١٣٤٩م ولغة القضاء حتى ١٣٦٢م. وقد ساعدت عوامل كثيرة على جعل اللغة الانجليزية لغة حضارية وعلى انتشارها خارج الجزر البريطانية إلى أن أصبحت اللغة الدولية الأولى في العالم المعاصر. إن اللغة التي ألف بها تشوسر في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي كانت تقوم على لهجة لندن التي أصبح استخدامها في الأدب وعند رجال البلاط دعما لمكانتها. وكانت الطباعة منذ دخولها إلى انجلترا ١٤٧٥م ذات أثر فعال في انتشار الكتاب الانجليزي في مناطق اللهجات المحلية. ولاشك أن أهم العوامل التي دفعت باللغة الانجليزية إلى أفريقيا وآسيا واستراليا وجنوب أفريقيا وأمريكا هي الاستعمار والهجرات. فقد دخلت الانجليزية شبه القارة الهندية ومناطق واسعة في أفريقيا مع موجة المد الاستعماري، ثم كانت الهجرات إلى جنوب أفريقيا واستراليا. أما إعلان اللغة الانجليزية لغة رسمية في عدد من الولايات المتحدة الأمريكية فيعد أهم الأحداث الحاسمة في التاريخ الحديث للغة الانجليزية. كانت الانجليزية في بداية القرن التاسع عشر لغة ٢١ مليونا، فأصبحت في بداية القرن العشرين لغة ١٢٥ مليونا

أكثرهم فى الولايات المتحدة الأمريكية، واليوم يقدر عدد المتحدثين باللغة الانجليزية حوالى ٤٠٠ مليون من أبنائها، إلى جانب عدد مماثل ممن يستخدمونها بوصفها لغة تعامل.

سابعا: الفرع الروماني:

يضم الفرع الرومانى من اللغات الهندية الأوربية كل اللغات التى ترجع أصلها إلى للاتينيه بمستوياتها اللغويه المختلفة، وأهم هذه اللغات هى. الفرنسية والأسبانية، والبرتغالية،والإيطالية، والرومانية أى لغة رومانيا وذلك إلى جانب عدة لغات ولهجات فى جنوب أوربا وجزر البحر المتوسط.

(ا) اللغة اللاتينية:

نشأت اللغة اللاتينية فى منطقة روما، وكانت القبائل المهاجرة إلى إيطاليا حوالى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد تتحدث بعدة لهجات، وسادت بعد ذلك إحدى هذه اللهجات وهى لهجة مدينة روما وما حولها.

لقد انتشرت اللاتينية مع اتساع رقعة الدولة الرومانية، فكانت منذ ٢٦٦ق.م اللغة السائدة فى أكثر أنحاء إيطاليا. وقد عرفت اللاتينية آنذاك مستويين لغويين، واتضحت خصائصها اللغوية بمضى الوقت، هما اللاتينية الفصحى (الكلاسيكية) واللاتينية الشعبية. لقد اهتم الأدباء والخطباء بصقل الاستخدام الفصيح للاتينية، وكانت اليونانية مثلهم الأعلى فحاكوا التركيب اليونانية، وأدخلوا فيها كثيرا من الألفاظ اليونانية. ولكن الفلاحين والمواطنين البسطاء ظلوا بعيدين -إلى حد كبير- عن هذه المؤثرات الثقافية اليونانية، فكانوا يتعاملون باللاتينية الشعبية فى حياتهم اليومية، وهكذا نشأت الثنائية اللغوية. وزادت الفروق بين المستويين بمحاولة المثقفين تجنب الألفاظ الشعبية من جانب وبالتغير المطرد فى اللهجات اللاتينية من الجانب الآخر.

ولكن اتساع رقعة الامبراطورية الرومانية -بغزو أسبانيا فى القرن الثانى قبل الميلاد ثم بلاد الغال ثم مناطق الألب- جعل اللغة اللاتينية منتشرة فى منطقة واسعة.

ثم كان اختلاف لهجات الجماعات التي هاجرت إلى مناطق مفتوحة وتأثرت باللغات الأقدم في هذه المناطق سبباً في نشوء لهجات لاتينية شعبية جديدة.

وعندما انتشرت الثقافة اللاتينية بين طبقات شعبية كثيرة ودخلت جماهير غفيرة في المسيحية تأثرت اللغة الفصيحة باللاتينية الشعبية، كما دخلت ألفاظ فصيحة كثيرة وألفاظ يونانية إلى لغة المستويات الشعبية. ولكن اللاتينية الشعبية في الأقاليم المختلفة كانت تنمو نمواً لا صلة له بالفصحى وتختلف من إقليم إلى الآخر، ومهد هذا كله لنشوء اللغات الرومانية المختلفة عن اللغة اللاتينية الشعبية.

(ب) اللغة الفرنسية:

تقوم على اللاتينية الشعبية في لهجاتها التي وجدت في بلاد الغال، وكانت اللغة الفرنسية لغة الثقافة الرفيعة والدبلوماسية في أنحاء مختلفة من القارة الأوربية عدة قرون. وظلت الطبقات العليا في وسط أوربا من القرن الثاني عشر إلى القرن التاسع عشر تتلقى حول اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية، ثم قلت مكانة اللغة الفرنسية في وسط أوربا بعد الحرب العالمية الثانية. كانت اللغة الفرنسية أهم اللغة الرسمية ولغة الإدارة والتعليم في المستعمرات الفرنسية في أفريقيا وفي منطقة الهند الصينية. وبعد استقلال هذه الدول وجدت الفرنسية قدراً من المنافسة من اللغات الوطنية وكذلك من اللغة الإنجليزية التي بدأت تدخل برامج التعليم في هذه الدول. ويقدر عدد أبناء اللغة الفرنسية بحوالي مائة مليون في فرنسا وبلجيكا وسويسرا وكندا. واللغة الفرنسية إحدى لغات العمل في المنظمات الدولية، وهي اللغة الرسمية في عدد من الدول الأفريقية.

(جـ) اللغة الأسبانية:

تكونت الأسبانية نتيجة تطور اللاتينية الشعبية في لهجاتها التي كانت موجودة في شبه جزيرة أيبيريا. وقد كان لوجود اللغة العربية في هذه المنطقة عدة قرون آثارها الكثيرة في اللغة الأسبانية. وتعد الأسبانية أكثر اللغات الرومانية انتشاراً في العالم

المعاصر، فهي أيضا لغة أمريكا الجنوبية والوسطى أو بعبارة أخرى أمريكا اللاتينية كلها باستثناء البرازيل. ويبلغ عدد أبناء اللغة الأسبانية أكثر من مائتين وستين مليونا وهي أيضا إحدى لغات العمل في المنظمات الدولية.

(د) اللغة البرتغالية:

تعد اللغة البرتغالية ثمرة تطور اللاتينية الشعبية في شبه جزيرة إيبيريا، وتأثرت أيضا بالوجود العربي في المنطقة. والبرتغالية هي لغة البرتغال والبرازيل ولغة إقليم غاليسيا في أسبانيا، وقد فرضها الحكم البرتغالي لغة رسمية في المستعمرات الأفريقية للبرتغال قبل استقلالها، ومنها: أنجولا ويقدر عدد المتحدثين بها بنحو مائة وخمسين مليون.

(هـ) اللغة الكتلانية واللغات الرومانية الغربية الاخرى:

اللغة الكتلانية لغة سكان المدن في كتالونيا وفي جزر البليار، وهي اللغة الثانية بعد الأسبانية في دولة أسبانيا.

وبالإضافة إلى اللغات الفرنسية والأسبانية والبرتغالية والكتلانية هناك لغات ولهجات أخرى تنتمي إلى الجناح الغربي من اللغات الرومانية. كانت البروفنسالية في جنوب فرنسا، وعرفت ازدهارا كبيرا في القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر عندما نظم بها شعراء التروبادور غزلهم الذي يشبه الغزل في الشعر العربي الأندلسي. واللغة الريتورومانية هي اللغة الرسمية الرابعة في سويسرا، على الرغم من أن المتحدثين بها لا يزيدون عن خمسين ألف، وتوجد لهجات كثيرة في شمال إيطاليا تنتمي إلى هذا الجناح اللغوي، وهي في إيطاليا أيضا غربية ويقدر عدد أبنائها بحوالي نصف مليون.

(و) اللغة الإيطالية:

واللغة الإيطالية هي اللغة الأم في أكثر أنحاء إيطاليا، باستثناء الشمال حيث يسود الازدواج اللغوي بين الألمانية والإيطالية. ويقدر عدد أبناء الإيطالية بأكثر من

خمسين مليونا. وكان لها انتشار محدود بوصفها لغة ثانية في إثيوبيا والصومال وليبيا، وبعد انحسار موجة الاستعمار قل استخدام الإيطالية.

(ز) لغة رومانيا ومولدافيا:

واللغة الرومانية لغة جمهورية رومانيا، وتنتمي مع الإيطالية إلى الجناح الشرقي من اللغات الرومانية، وهي اللغة الأم عند حوالي عشرين مليونا في جمهورية رومانيا. أما سكان جمهورية مولدافيا فلغتهم في الواقع هي اللغة الرومانية، ولكنهم يدونونها بالحروف الكيرلية الروسية في إطار تبعيتهم للاتحاد السوفيتي ثم للاتحاد الروسي. ويقدر عدد أبناء المولدافية بحوالي مليونين.

الفصل الثالث عشر

اللغات الأورالية الألتائية

تتكون مجموعة اللغات الأورالية الألتائية من فرعين أساسين، هما الفرع الأورالي والفرع الألتائي وينسب كلا الفرعين إلى سلاسل جبلية، الأول منسوب إلى جبال الأورال التي تفصل أوربا عن آسيا والثاني إلى جبال الألتاي في وسط آسيا وأهم اللغات التي تدخل في هذه الأسرة اللغات المجرية والفنلندية والتركية والمغولية.

وتعد هذه اللغات في رأي كثير من الباحثين أسرة لغوية واحدة، وتقوم وحدة هذه الأسرة على أساس اشتراك لغتها في عدد من الخصائص البنيوية. وأهم الخصائص المشتركة في هذه اللغات من الناحية الصوتية وجود التوافق الحركي، ومعناه أن الحركة الأساسية في الكلمة تتحكم في باقي حركات اللواحق فتجعلها متوافقة معها. ويظهر التوافق الحركي Vocalic Harmony في كل اللغات الأورالية الالتائية بدرجات متفاوتة أقلها في اللغة الفنلندية وأوضحها في اللغات التركية. وتتفق اللغات الأورالية الألتائية في نظام البنية اللغوية. فكل هذه اللغات لغات إلصاقية فهناك كلمات أساسية ولواحق كثيرة تؤدي عددا كبيرا من الوظائف النحوية. وويتضح الفرق بين هذه اللغات في مجموعها بالمقارنة مع الخصائص المشتركة في الأسرات اللغوية الأخرى. اللغات الهندية الأوربية والأفروأسيوية تعرف حروف الجر، أما اللغات الأورالية الألتائية فإنها تعبر عن ذلك باللواحق، فإذا أردنا أن تقول ما معناه 'في المنزل' قلنا بالمجرية hazba وبالتركية evde. وفي المجرية كلمة haz وفي التركية كلمة ev تعنيان المنزل. أما تلك اللاحقة ba في المجرية ,de في التركية فقد عبرتا عن هذا المفهوم الذي نعبر عنه في اللغات السامية بحروف الجر. وحرف الجر يكون كلمة مستقلة قبل الاسم. أما اللواحق التي تلحق الاسم فتعبر في اللغات الأورالية الألتائية عن الوظائف

النحوية المختلفة ومن المعاني التي تؤديها هذه اللواحق أيضا معنى الوجود ومعنى العدم ومعنى الجمع وغير ذلك. وهذا التشابه اللغوي بين هذه اللغات جعل بعض الباحثين يجعلونها أسرة لغوية واحدة. ولكن الكلمة المعبرة عن النبات وهي من الكلمات الأساسية في كل اللغات تختلف في المجرية عنها في التركية. والملاحظ أن الكلمة المعبرة عن السمك تختلف في اللغتين أيضا وهذا الاختلاف المعجمي بين المجرية وهي من اللغات الأورالية والتركية وهي من اللغات الألتائية، جعل بعض الباحثين يتحفظون في قبول الرأي القائل بأن اللغات الأورالية واللغات الألتائية تشكل أسرة لغوية واحدة

أولا: اللغات الأورالية:

تشكل اللغات الأورالية الجناح الأوربي من اللغات الأورالية الألتائية، وأهم لغات هذه المجموعة: الفنلندية والمجرية فهي الأكثر انتشارا والأرقى حضارة والأكثر أهمية في التاريخ والحياة المعاصرة. أما اللغات الصموئيدية فتتحدث بها جماعات تعيش في الاتحاد الروسي في المنطقة الساحلية للبحر المتجمد الشمالي. ويزيد عدد أبنائها عن خمسة وعشرين ألف، وقد ثبت بحث هذه اللغات أنها تمت بصلة قرابة إلى اللغات الفنلندية المجرية.

١- اللغة الفنلندية:

يبلغ عدد أبناء اللغة الفنلندية حوالي أربعة ملايين. وهي أهم اللغات في جمهورية فنلندا التي تضم أيضا عدة أقليات لغوية تتحدث باللغة السويدية ولغة اللاب. ويرجع التاريخ الحضاري للغة الفنلندية إلى منتصف القرن السادس عشر، ففي سنة ١٥٤٨م تمت ترجمة الأناجيل إلى اللغة الفنلندية، فأصبح لدى الفنلنديين كتاب مقدس مدون بلغتهم واعتمد أداء الترجمة على الاستخدام اللغوي في منطقة توركو، وبذلك ارتبطت اللغة الفنلندية في تاريخها المبكر بلهجة هذه المنطقة التي نشأت اللغة الفنلندية في إطارها. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر كاد استخدام اللغة الفنلندية أن

يكون مقصوراً على كتب الثقافة الدينية، وكانت تكتب باعتبارها اللغة المحلية التي يفهمها المواطنون. أما باقي المجالات فقد كانت تسودها اللغة السويدية، التي ظلت لغة الثقافة واللغة الرسمية عدة قرون، ولم تنته السيادة اللغوية السويدية إلا مع انفصال فنلندا واستقلالها عن السويد سنة ١٨٠٩م وهنا بدأت اللغة الفنلندية تصبح اللغة الوطنية في دولة فنلندا. أخذ المؤلفون يتركون السويدية ليؤلفوا في العلم والثقافة باللغة الفنلندية. وبذلك ازدهرت اللغة الفنلندية في القرن التاسع عشر في إطار حركة القومية، ولم تستطع فترة الاحتلال الروسي (١٨٥٠ - ١٨٦٠) أن تقضي على القومية الفنلندية، وكان الاحتلال عاملاً دفع الفنلنديين إلى مزيد من الاهتمام بلغتهم القومية. وكان للعالم اللغوي الفولكلوري Lönnrot (١٨٠٢ - ١٨٨٤) جهد كبير في جمع الأناشيد الشعبية، وكون منها ملحمة الكاليفالا (١٨٣٥)، وله أيضاً فضل تأليف أول معجم للغة الفنلندية (١٨٨٠)، وبذلك أخذت اللغة الفنلندية مكانتها بوصفها لغة قومية ولغة ثقافة وعلم في دولة فنلندا.

وهناك لغة وثيقة الصلة باللغة الفنلندية، وهي اللغة الكاريلية. ويتحدث بهذه اللغة حوالي نصف مليون في الجمهورية الكاريلية المتمتعة بالحكم الذاتي في الاتحاد الروسي، وليس للغة الكاريلية تراث مدون، ولا تستخدم في مجالات الثقافة والتعليم.

وتعد اللغة الإستونية أهم اللغات التي تمت بصلة القرابة اللغوية للغة الفنلندية ويرجع تدوينها أيضاً إلى القرن السادس عشر الميلادي. واللغة الإستونية هي اللغة الوطنية في جمهورية إستونيا، ويتحدث بها حوالي مليون مواطن في إستونيا، ونصف مليون في روسيا وسيبريا وليتلاند.

وإلى جانب الفنلندية والكاريلية والإستونية، وهناك عدة لغات تنتمي إلى الفرع الفنلندي، وهي لغة اللاب والموردفينية وغيرهما. ويبلغ عدد المتحدثين بهذه اللغات مجتمعة حوالي المليونين يشكلون أقليات لغوية في الدول الإسكندنافية ومجموعة الاتحاد الروسي.

اللغة المجرية:

يضم الفرع المجرى Ugrian عدة لغات أهمها وأكثرها انتشارا للغة المجرية Hungarian. المجرية من أقدم اللغات الفنلندية المجرية التى دونت، فقد تم ذلك فى القرن الثالث عشر الميلاد، فهناك نص مجرى وصل إلينا مدونا سنة ١٢٢٠م. وقد ظهرت بشائر النهضة اللغوية المجرية فى القرن السادس عشر عندما ألفت بها بعض الكتب الدينية فى إطار حركة الإصلاح الدينى، وكان شأنها فى هذا الصدد شأن اللغات المحلية، وأصبحت اللغة المجرية منذ القرن السابع عشر لغة تأليف وثقافة وطنية ولكن اللغات الكثيرة نازعتها مكانتها فى بلاد المجر. ظل المجريون حتى القرن السابع عشر يتعاملون باللغة اللاتينية باعتبارها اللغة الرسمية ولغة القضاء ولغة العلم، وكان بعضهم يتوسل فى مجالات العلم باللغة الألمانية أيضا، فى حين كانت اللغة الفرنسية لغة الأرستقراطية فى وسط أوربا. ولهذا تأثرت اللغة المجرية فى مجالات العلم والثقافة باللاتينية وبالألمانية وفى ألفاظ الحياة الراقية باللغة الفرنسية. وقد زاد الاهتمام باللغة المجرية فى أواخر القرن الثامن عشر مع ظهور الحركة القومية المجرية، فأصبح المجريون يؤلفون بها فى مجالات العلم ويهتمون بها رمزا لقوميتهم ووجودهم.

ثانيا: اللغات الألتائية:

اللغات الألتائية هى الجناح الآسيوى من اللغات الأورالية الألتائية. وتشترك اللغات الألتائية فى الخصائص التالية:

(١) الأصوات:

١- يوجد فى اللغات الألتائية عدد كبير من الحركات، تصل فى كثير من هذه اللغات إلى سبع حركات، وفى اللغة التركية إلى عشر حركات.

٢- يسود فى اللغات الألتائية نظام التوافق الحركى، وهو نوع من المماثلة بين الحركات، فالحركات التى توجد فى الكلمة الأساسية تتحكم فى حركات اللواحق التى تلصق فى آخر الكلمة، فمثلا تتخذ الوحدة الصرفية الدالة على الملكية أو التبعية

الصور الصرفية الآتية (in, ،n,in,un) وتتحدد الصورة الصرفية المناسبة من هذه الصور الأربع طبقا لحركة الخاصة فى كل حالة بالكلمة الأساسية، ويتضح هذا من الأمثلة التالية:

ev-in	=	of the house
otobüs-ün	=	of the bus
orman-In	=	of the forest
vapur-un	=	of the steamer

وعلى هذا تحددت حركة اللاحقة وفق حركة الكلمة الاساسية:

الحركة الأساسية:	u a ü e
حركة اللاحقة:	u I ü i

وهناك عدة قوانين للتوافق الحركى فى كل لغة من لغات الالتائية، ولكن وجود هذه الظاهرة –بصفة عامة– يعد من السمات المميزة لهذه اللغات.

٣- لاتظهر بعض الصوامت فى أول الكلمة، أو يكون وجودها نادرا، ومن هذه الصوامت الراء والزاى، فلا تكاد الكلمات الأصلية فى اللغات الالتائية تبدأ بالراء أو بالزاى.

٤- أنواع المقاطع فى اللغات الالتائية محدودة، ولايوجد فيها مقطع يبدأ بصامتين أو أكثر.

(ب) بناء الكلمة:

١- اللغات الألتائية لغات إلصاقية، تتكون بنية الكلمات فيها من كلمة أساسية تلحق بها لواحق كثيرة.

مثال من اللغة التركية:

الكلمة الأساسية: خاف qorq تتكون منها بإضافة اللواحق، الكلمات الآتية:

خوف qorqut خائف qorqaq مخيف qorqunč

٢- تؤدى هذه اللواحق وظائف لغوية مختلفة، كالتعبير عن زمن الفعل وعن النفى وعن الجمع وعن المكان، وغير ذلك من المعانى التى تؤدى فى اللغات الأخرى بوسائل لغوية مختلفة. ولاتعرف هذه اللغات حروف جر سابقة على الاسم، بل تؤدى هذه المعانى عن طريق لواحق تأتى بعد الكلمة، أى أنها بدلا من Prepositions بل postpositions. ويتضح هذا من الأمثلة التركية التالية.

فى المنزل evde　　منزل ev هو (يكون) فى المنزل evdedir

٣- لاتعرف اللغات الألتائية تصنيف الصيغ من حيث التذكير والتأنيث.

جـ- المفردات

١- هناك مجموعات من المفردات الأساسية المشتركة فى اللغات الألتائية.

المعنى	الكلمة فى اللغات المغولية	الكلمة فى اللغات التركية
قوة	erke	aerk
قص	kırya	qirq
جفف	qata	qat
حلب	saya	say
فهم	uqa	uq
دفع	saki	saq

ويلاحظ فى الأمثلة السابقة، وكلها من الكلمات الأساسية، أنها من أصل واحد. وأهم الفروق بين الصيغ المغولية والصيغ التركية يتعلق بآخر الكلمة، فقد حذفت الحركة الأخيرة فى الصيغ التركية، وهذا الحذف ملاحظ فى كل الأمثلة التركية السابقة.

٢- يصم معجم مشترك في سعات لأثائية ألفط أسسية في كل لأفرع لتركية ولمعولية والتونغوزية.

لعات لمعوية		سعات التركية		انعت لتونعوزية	
aqa	= أح كير	aya	أخ كير	age	ســـ
boroyan	مطر	buran	عصمة جليدية	buran	عصمة

وعلى برغم من وجود حتلاف نسبي في الدلالة فإن لاحتلاف يمكن تفسيره في إصر التغير الدلالي.

٣- يشمل معجم لمشترك الأفط الخاصة بالموضوعات تالية:

(أ) أسماء أعضاء جسم لانسان، ودلك مثل لألفاظ لدالة على: ركبة، رأس، شعر، فم، اذن، وجه، صدر، قدم

(ب) الأسماء الدالة على علاقات قرابة، ودلك مثل الألفاظ الدالة على: أب، أخ كبير، أخت كبيرة، عم، جد أقرب لأب.

(ج) أسماء لحيوان، ودلك من لألفاظ لدالة على: خروف، فأر، جمل، حية سمك، ثور، حمار، دب.

(د) أسماء لظواهر طبيعية، ودلك مثل الألفاظ الدالة على: يوم، ليل، ضوء، رمل، مطر، جليد.

أقدم لنقوش التي وصلت مدونة باللغات لتركية كانت من قرن الثامن الميلادي. وهي ثلاث مجموعات، منها: النقوش الرونية التركية، وقد دونت هذه النقوش في أرض أورية على عكس المجموعتين لأورخونية و لأيغورية فقد دونت في وسط آسيا وقد دونت هذه النقوش التركية في لفترة من لقرن الثامن الميلادي إلى لقرن الرابع عشر لميلادي، ولد هذا توز تاريخي بين لنقوش لتركية لقديمة في كل مجموعاتها، واستمر هذا لتوزي عدة قرون. وكانت منطقة بعاريا من القرن الثامن

إلى القرن الرابع عشر للميلاد قد عرفت ازدواجا لغويا، كان الشعب يتحدث بلغة سلافية، ووقع هؤلاء السلاف تحت حكم الترك الوافدين من آسيا وجنوب روسيا. وظل الازدواج اللغوى فى بلغاريا انعكاسا لتقسيم السكان إلى ترك حاكمين وسلاف محكومين. وقد وجدت عدة لهجات تركية في بلغاريا، وسادت أكثر هذه اللهجات التركية سيادة اللغة البلغارية السلافية. وقد تكونت فى باقى المناطق لغات تركية مختلفة، وبعضها تعد من اللغات التركية ذات التراث، وهى التركية والأذرية والجغطائية.

(١) اللغة التركية:

اللغة التركية هى لغة الدولة العثمانية، وأهم اللغات التركية فى التعبير عن الحضارة الاسلامية، وهي لغة الجمهورية التركية، وأهم اللغات التركية فى العصر الحديث. يرجع تاريخ اللغة التركية إلى القرن الخامس عشر الميلادى. وقد ازدهرت اللغة التركية فى إطار الدولة العثمانية، ولذا تأثرت كثيرا بالعربية والفارسية، وكانت اللغات العربية والفارسية والتركية، تستوعب مجالات التعبير الحضارى فى الجناحين الغربى والأوسط من العالم الاسلامي. وتسمى اللغة التركية فى هذه الفترة باسم التركية العثمانية، وكانت تدون بالخط العربي. وقد عاشت التركية العثمانية فى إطار الحضارة الاسلامية، وكانت المثل الثقافية فى إطار الدولة العثمانية تجعل اللغتين العربية والفارسية أهم أدوات الثقافة الرفيعة. وأدى هذا الاهتمام بالعربية والفارسية إلى دخول عدد كبير من الألفاظ العربية والفارسية إلى التركية، ويتضح هذا التأثير بصفة خاصة فى المجالين الديني والثقافي.

وقد دخلت اللغة التركية في النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلى مجالات التعبير عن الحضارة الحديثة. فتأثرت باللغة الإيطالية وباللغة الفرنسية فى ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية، وأخذ بعض الكتاب يطرحون قضية التجديد اللغوى باعتباره الطريق نحو التقدم والحضارة. ونادى كثيرون بالإقلال من الألفاظ

الدخيلة من العربية والفارسية التي كان الفصحاء يتبارون في حشدها، وطالب بعض الكتاب بمحاولة الاقتراب من لغة الشعب في التعبير الأدبي. وظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين محاولات لإصلاح نظام الكتابة بابتكار علامات إضافية تجعل الكتابة التركية أصدق تعبيرا عن الصوامت والحركات التركية. وعندما ألغيت الخلافة سنة ١٩٢٤م وأعلنت الجمهورية التركية دولة علمانية كانت تركيا أول دولة تنفصل بإرادة حكامها عن الإطار الاسلامي الحضاري وتولي وجهها شطر الغرب. وفي ذلك العام أيضا كانت المحاولات الروسية لفصل الاقاليم الجنوبية عن الارتباط الحضاري بباقي أنحاء العالم الاسلامي قد اتخذت شكلا رسميا، ودبت بتعديل نظام كتابة اللغات التركية في جنوب الاتحاد السوفيتي من الحرف العربي. كان استخدام الحرف اللاتيني في تدوين اللغة التركية سنة ١٩٢٨ نقطة تحول في التاريخ اللغوي والحضاري التركي، فكان إعلانا بالتحول عن الارتباط بالعربية والفارسية ودعوة إلى التغريب في اللغة التركية. وقد حاولت الحكومات التركية بقرارات رسمية التخلص من كلمات عربية وفارسية كثيرة كانت قد دخلت التركية واحلال كلمات تركية بديلة. وعلى الرغم من كل هذه المحاولات فقد ظلت نسبة عالية من الألفاظ العربية والفارسية مستقرة في اللغة التركية، ولاتزال الدولة تسمي نفسها رسميا باسم Turkiye Cumhuriyeti دون رفض كلمة "الجمهورية" وهي كلمة عربية. ولكن تحول نظام الكتابة عن الخط العربي إلى الخط اللاتيني أوقف دخول كلمات عربية جديدة وفتح الباب لدخول ألفاظ كثيرة من اللغات الأوربية.

٢- اللغة الآذرية:

اللغة الآذرية هي لغة آذربيجان، وتسمى هذه اللغة باسم "آذري". وتعد اللغة الآذرية أقرب اللغات -من حيث البنية النحوية والمعجم الأساسي- من اللغة التركية، ومن الممكن أن يتفاهم آذري بلغته مع تركي أناضولي بلغته في موضوعات كثيرة دون أن يكون أحدهما قد تعلم لغة الآخر، وكأن اللغتين لهجتان للغة واحدة. واللغة الآذرية

هى للغة سئدة فى جمهورية آذربيجان وعاصمتها باكو، وتوجد جماعات آذرية فى إيران. ويقدر عدد أبناء اللغة الآذرية بحوالى ثلاثة ملايين ونصف (١٩٥٩)، ثلاثة أرباعهم فى جمهورية آذربيجان.

وكانت اللغة الآذرية فى إطار الحضارة الاسلامية إحدى اللغات التى صنفت بها المؤلفات الأدبية وهذا التراث الأدبى الآذرى منذ القرن الثالث عشر الميلادى. وبهذا تكون الآذرية أقدم فى الاستخدام الأدبى المدون من اللغة التركية. وكان الأدباء الآذريون يجيدون العربية والفارسية، ودخلت ألفاظ عربية وفارسية كثيرة فى أشعارهم وكتاباتهم. وظهرت محاولات عند بعض الأدباء بعد ذلك للاقتراب من لغة الشعب والإقلال من التفاصح بالعربية والفارسية. وكانت الصحافة الآذرية فى أواخر القرن التاسع عشر عاملا مسيرا للوعى الوطنى فى إطار النهضة الاسلامية. ولكن إعلان جمهورية آذربيجان السوفيتية (١٩١٨)، تم تحويل نظام تدوين اللغة الآذرية من الخط العربى إلى الخط اللاتينى (١٩٢٤) ثم إلى الخط الكيريلى الروسى (١٩٣٩) كانت عوامل حددت التوجه الحضارية إلى النسق الروسى، وبذلك بدأت مرحلة جديدة فى الآذرية جمهورية آذربيجان، وتكونت مفردات جديدة فى الإطار الحضارى الروسى، يتضح من المقارنة مع التركية كيف دخلت ألفاظ روسية اللغة الآذرية. إن الترك فى جمهورية تركيا أحلوا محل الكلمة العربية " انقلاب" كلمة تركية الأصل هى devirme. أما اللغات التركية فى وسط آسيا -ومنها الآذرية- فإنها تستخدم فى هذا الصدد كلمة أوربية مأخوذة عن الروسية، وهى: revolyutsiva وإلى جانب هذا يلاحظ أن الآذرية فى إيران ظلت تكتب بالخط العربى

٣- اللغة الجغطائية:

اللغة الجغطائية إحدى اللغات التركية ذات التاريخ الأدبى والثقافى، وقد دون الأدب الجغطائى منذ القرن الثالث عشر الميلادى بالخط العربى. وكانت اللغة الجغطائية زاخرة بالألفاظ الفارسية والعربية، تراثها محاكاة للتراث الفارسى والعربى

وصت احعطئية أهم لعات شرقي دولة لتتر، بى أد قدم لأورسك صرد تتر من وسط سيا وشرقي يرال في هرن سدبع عشر، فأحدت لهحتهم الأركية في سبدة. ويوم نتحدث لسعه لأربكة حوي ستة ملايين، أكثرهم في جمهورية أركستن، وصهم حمعت في جمهوريات لنجيك وقرغير وقزق.

اللغات الوطنية للشعوب التركية:

هناك مستويت لعوية كثير عند جماعت تركية في وسط آسيا. كان استخدمها مقصور عى لحدة ليومية، أما في مجالات لثقفة فقد كنو يتعملون بغير لعتهم لمحلية ولكن لسسة لعوية للاتحاد لسوفيتي جعت هذه لمسويات لعوية لمحلية لعات وطنية، وهذه لعات متقاربة في لبية ولمعجم حتى إن بعضها يكد يكون لمثابة لهجات من لعه التركية، ولكن أسعها يعدونها ليوم لعات وطنية.

أهم اللغات الوطنية للشعوب التركية

(١) اللغة الأوزبكية:

وهي أهم لعت تركية في وسط سيا ويتحدث بها أكثر من ستة ملايين، أكثرهم في جمهورية ربكستن، وتوجد جماعات أربكية في جمهورية التجك وجمهورية لقرغر وجمهورية لقزاق. وتعد لغة الأوزبكية أهم اللعات في جمهورية ربكستن، إذ يشكل أبناؤها أكثر من ٦٠٪ من موطني هذه لجمهورية.

٢- اللغة التتارية:

تعد لغة التركية الثانية في وسط آسيا، ويتحدث بها حوي سبعة ملايين أكثرهم في جمهورتي تتار وبشكير، وكتاهما من جمهوريت لاتحاد لروسي. ولكن تتار يشكلون في تارستان كثر سكن، والباقون من لروس ولبشوباش.

٣- اللغة القازاقية:

تعد لغة القازاق اللغة التركية الثالثة في وسط آسيا، يبلغ عدد أبنائها أقل من أربعة ملايين، أكثرهم في جمهورية كازاخستان، أي جمهورية القازاق، وتوجد جماعات قازقية في الاتحاد الروسي وأزبكستان.

٤- اللغة الآذرية:

هي اللغة التركية الرابعة في وسط آسيا، يتحدث بها حوالي ثلاثة ملايين أكثرهم في جمهورية آذربيجان، وهناك أقليات في جمهوريتي جورجيا وآرمينيا. وذلك بالإضافة إلى وجود الآذرية في إيران

٥- اللغة الشوباشية:

هي اللغة التركية الخامسة في وسط آسيا، يبلغ عدد أبنائها حوالي المليون ونصف، يعيش حوالي نصفهم في جمهورية الشوباش، أما الباقون فهم في جمهوريات أخرى في داخل الاتحاد الروسي.

٦- اللغة التركمانية:

هي اللغة التركية السادسة في وسط آسيا، يتحدث بها حوالي مليون أكثرهم في جمهورية التركمان، وهناك جماعات تركمانية في شمال العراق وتركيا وإيران وشمال غرب أفغانستان والقوقاز. وكانت تدون بصورة منتظمة منذ القرن السابع عشر بالخط العربي، إلى أن عدل الاتحاد السوفيتي نظام التدوين إلى الخط الكيريلي الروسي وتدون في خارج جمهورية التركمان بالخط العربي.

٧- اللغة الباشكيرية:

هي اللغة التركية السابعة في وسط آسيا يتحدث بها حوالي مليون، أكثرهم في جمهورية الباشكير، وتوجد جماعات قليلة من الباشكير في جمهوريات أخرى داخل الاتحاد الروسي.

٨-اللغة القرغيزية:

هي اللغة التركية الثامنة في وسط آسيا يتحدث بها حوالي المليون، أكثرهم في جمهورية القرغيز.

وهناك لغات وطنية أخرى داخل الاتحاد الروسي، منها لغة الياقوت (٢٥٠,٠٠٠)، ولغة القارالباق (٢٥٠,٠٠٠)، واللغة الكوميكية (١٣٥,٠٠٠) ولغة الجوجوز (١٢٥,٠٠٠)، ولغة الأويغور (١٠٠,٠٠٠) فضلا عن أقليات لغوية أخرى يقل عددها عن مائة ألف.

تعديل نظام الكتابة:

قد كان تعديل نظام التدوين إلى الخط الروسي بالنسبة للآذرية والتركمانية، وتدوين باقي المستويات اللغوية المحلية وإعلانها لغات وطنية تنفيذا للسياسة اللغوية في الاتحاد السوفيتي بعد ١٩١٩. وتتضح ملامح هذه السياسة اللغوية مما يأتي:

١ تكوين أبجديات جديدة للشعوب التي لم تكن لها لغات وطنية مكتوبة خاصة بها وتعديل نظام تدوين اللغات التي كانت تتخذ الحرف العربي أساسا لتدوينها. وشكلت لهذا "لجنة مركزية للابجدية". وضعت في أواخر العقد الثالث أبجديات جديدة تقوم على الأساس اللاتيني، قطعت الصلة مع الخط العربي رمز الحضارة الاسلامية.

٢ أثبت التطبيق أن اتخاذ الحروف اللاتينية عند الجماعات التركية يجعل علاقاتها مع اللغة الروسية محدودة. ولذا قرر المؤتمر الأول لكل روسيا سنة ١٩٣٢مالموافقة على مشروع تعديل نظام التدوين إلى الخط الروسي. وبذلك أصبحت هذه اللغات التركية تدور في الإطار الحضاري الروسي، ودخلت اللغة الروسية برامج التعليم باعتبارها اللغة الأجنبية العالمية فأصبحت اللغة الثانية عند الشعوب التركية في داخل الاتحاد.

٣- أصبحت اللغة الروسية مصدر الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية، وقد أوضحت دراسة مفردات الصحف الأوزبكية أنه في سنة ١٩٢٣ كان ٢٨٪ من الكلمات من أصل عربي وفارسي و٢٪ من أصل أوربي، وفي سنة ١٩٤٠ قلت الألفاظ ذات الأصل العربي إلى ٢٥٪ وزادت الألفاظ الروسية والأوربية إلى ١٥٪. وقد زاد معدل التغير في كلا الاتجاهين: نقص الألفاظ العربية الفارسية من جانب وزيادة الألفاظ الروسية من الجانب الآخر. أما في مجالات العلوم فإن اللغة الروسية هي المصدر الوحيد بلا منافس، ويتضح هذا من دراسة المصطلحات الأساسية للكيمياء في لغة الباشكير، نجد ١٣٢٠ اصطلاحا أوربيا صيغته روسية ونجد ١٤٩ كلمة باشكيرية، وفي مصطلحات علوم الطبيعة نجد ٣٤٤ كلمة باشكيرية و ١٤٢٠ اصطلاحا أوربيا بصيغته الروسية. وهكذا نلاحظ أن الاتجاه العام في تكوين ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية في اللغات التركية في داخل الاتحاد السوفيتي يتلخص في العبارة الآتية: "توحد مفردات الاصطلاحات كاملة تقريبا من اللغة الروسية بدون تغير في الهجاء، ويؤدي هذا أيضا إلى تقريب جميع اللغات الوطنية بعضها البعض الآخر وكذلك من اللغة الروسية".

اللغات المغولية:

تضم أسرة اللغات المغولية ست لغات حديثة تطورت عن لغة واحدة هي اللغة المغولية القديمة، وقد تكونت هذه اللغات المغولية الحديثة في القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر للميلاد عن اللهجات المغولية المختلفة. وقبل نشوء هذه اللغات المغولية الحديثة كانت اللغة الواحدة الأم، وهي اللغة المغولية القديمة ذات شأن كبير، في القرنين الثالث عشر والرابع عشر استطاع أبناء هذه اللغة بقيادة جنكيز خان وخلفائه من بعده أن يجتاحوا منطقة كبيرة ويقيموا إمبراطوريتهم المترامية الأطراف. واليوم وبعد أن تطورت اللهجات المغولية وتكونت عدة لغات متقاربة يمكن القول بأن

أهم اللغات المغولية، وهي: اللغة المغولية، ولغة مغول بريات، واللغات الأويراتية، ولغة إقليم المغول في أفغانستان.

اللغة المغولية هي اللغة الرسمية لجمهورية منغوليا الشعبية، يتحدث بها اليوم حوالي مليون ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر الميلادي عندما اتضحت ملامح اللغة المغولية الكلاسيكية متميزة عن اللغة المغولية القديمة، وقد ظلت اللغة المغولية الكلاسيكية منذ ذلك الوقت لغة ثقافة ودين: فترجمت إليها مؤلفات بوذية كثيرة من اللغة التبتية في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاد. وعلى مدى هذه القرون كانت اللغة المغولية ــ القديمة ثم الكلاسيكية ــ تدون بالخط المغولي القديم، وهو الخط الذي يقوم على الخط الأويغوري الذي كتبت به عدة قبائل تركية، فتعلمه المغول منهم في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي. أما الخط المغولي المربع المأخوذ عن الخط التبتي فقد دونت به بعض النصوص في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر، ولكنه لم يستمر بعد ذلك، وظل الخط الأويغوري مستعملا حوالي سبعة قرون. أما الخط المغولي الحالي فيقوم على أساس الخط الكيريلي الروسي. وقد بدأ التدوين به سنة ١٩٤١ وتقرر استخدامه والالتزام به سنة ١٩٤٦

الفصل الرابع عشر

اللغات الأفريقية الأخرى

أولا: التصنيف النمطي

يقوم تصنيف اللغات ذات النصوص القديمة على أساس البحث التاريخي للنصوص في خصائصها الأقدم، ومن ثم تعرف سمات اللغة المشتركة التي خرجت عنها لغات المجموعة قيد الدراسة. هذا المنهج في التصنيف يقوم على أسس تاريخي تطوري، وقد طبق في وضوح وموضوعية في بحث الأسرات اللغوية التي دونت لغاتها المفردة منذ قرون، ولذا تطور هذا المنهج في بحث اللغات الهندية الأوربية واللغات السامية واتضحت ملامحه وظهرت نتائجه، وبذلك تحددت اللغات التي تدخل في إطار كل أسرة منهما بشكل يقيني وقاطع. ولكن هذا المنهج في التصنيف على الأساس التاريخي غير ممكن التطبيق في بحث اللغات الكثيرة التي لم تصل إلينا منها نصوص قديمة مدونة على النحو الذي يتيح لنا تعرف أصولها القديمة.

ويمكن إيضاح المشكلة مثلا بتصور باحث يود مقارنة اللغات الفرنسية والروسية والأردية في مستوياتها الحالية بحثا عن الأصل المشترك الذي خرجت عنه كل هذه اللغات، إن هذا الباحث لا يستطيع ـ في مثل هذه الحال ـ أن يصل إلى الأصل المشترك. والوصول إلى ذلك الأصل ممكن فقط بالرجوع إلى المستويات الأقدم، أي إلى اللاتينية والسلافية والسنسكريتية، وعندئذ يتضح التشابه وتتحدد ملامح التغير اللغوي الذي حدث، فكلما كثرت النصوص المدونة في عصور مختلفة من اللغات أمكن رسم ملامحها القديمة وأصبح إدراك القرابة بينها وتصنيفها أمرًا ممكنا على نحو يقيني، ولكن عدم وجود النصوص القديمة المدونة يعني عدم إمكان التصنيف على الأساس التاريخي.

ويعتمد تصنيف اللغات الأفريقية وغيرها من اللغات التي لم تصل إلينا منها نصوص مدونة قديمة- على أساس الخصائص اللغوية المشتركة. ويسمى هذا المنهج باسم: "التصنيف النمطي". وقد أوضح الباحث الأمريكي جرينبرج في كتابه "لغات أفريقيا J Greenberg, Languages of Africa"، الأسس اللسانية التي اتبعها في تصنيف تلك اللغات:

أ- التشابه بين المكونات الصوتية والمعنى الذي تحمله، فلا يكفي مثلاً أن يكون تصنيف الأسماء في لغة من اللغات إلى مذكر ومؤنث أساساً وحيداً يجعل هذه اللغة من اللغات الأفروأسيوية، بل لابد أن تكون علامات التأنيث أيضا هي علاماته المعروفة في تلك اللغات. ويدخل في هذا أيضا وجود ألفاظ أساسية على قدر من التشابه في المكونات الصوتية والمعنى.

ب- عمل المقارنة بين مجموعة لغات مرة واحدة، فلا تتم مقارنة لغة بلغة أخرى فهذه المقارنة الثنائية توضح أشياء محددة وتخفي أشياء أخرى، ولكن مقارنة المجموعة كاملة توضح انتماءها إلى أسرة واحدة.

جـ - الاعتماد على الأدلة اللغوية وحدها، وعدم اعتبار الآراء السائدة حول تصنيف القبائل أو علاقاتها أو قراباتها. فقد كانت هذه الآراء مصدراً لكثير من الأحكام الخاطئة.

وتعد هذه المعايير مقبولة عند جمهور الباحثين في اللغات الأفريقية واللغات الأخرى التي لا يمكن بحثها وفق الأساس التاريخي.

قدر اللغوي الأمريكي جرينبرج عدد لغات افريقيا بحوالي ٧٣٠ لغة، تنتمي إلى عدة أسرات لغوية. هناك لغات أفريقية كثيرة تنتمي إلى الأفرع المختلفة للأسرة الأفروأسيوية، وإلى جانب هذه الأسرة تتوزع اللغات الأفريقية الأخرى في رأي جرينبرج وغيره من المتخصصين في تصنيف اللغات الأفريقية على عدد من الأسرات اللغوية، أهمها:

١- لغات لبانتو.

٢- لغات النيجر الكونغو.

٣- اللغات النيلية الصحراويه.

وهذه الأسر ت تستوعب مع الأسرة الأفروآسيوية أكثر اللغات الافريقيه.

ثانيا: لغات البانتو:

تضم أسرة البانتو بضع مئات من اللغات الافريقية، وأكثرها في القسم الجنوبي من القارة. وقد ذكر لباحتون خمس عشرة لغة تعامل من بين اللغات المنتمية إلى أسرة البانتو، ومعنى هذا أن حوالي ثلث لغات التعامل في القارة الافريقية تدخل في إطار هذه الأسرة وأهم اللغات هي اللغة السواحلية، ثم تأتي بعد ذلك لغات أخرى منها الغانجالو، لسوان، لوري، نيانجا، دوالا، وغيرها من اللغات.

(ا) اللغة السواحيلية:

تعد اللغة السواحلية أهم لغات أسرة البانتو على الإطلاق، وأهم اللغات السائدة في شرقي أفريقيا. وفي هذه المنطقة تعد اللغات السواحلية وغاندا والأمهرية أهم لغات التعامل، أما الأمهرية فهي من الفرع السامي للأسرة الأفرواسيوية. وتدخل اللغتان الأخريان، وهما السواحلية وغاندا ضمن لغات البانتو.

هناك عدة آراء حول نشأة اللغة السواحلية وانتشارها والعوامل المؤثرة في ذلك. لاشك أن السواحلية من أسرة البانتو، ومعنى هذا أن بنيتها اللغوية تحمل السمات المميزة لهذه الأسرة منها مثلا تصنيف الأسماء وفق السوابق، فهناك مجموعة تبدأ بالمقطع ki في المفرد وتبدأ بالمقطع vi في الجمع وهي سمة تجعلها بعيدة كل البعد عن اللغات الأفروآسيوية. ولكن اللغة السواحلية زاخرة بألفاظ عربية بشكل يجعل الألفاظ العربية مكونات حاسمة فيها، ولايمكن تصور اللغة السواحلية دونها، وعلى هذا فاللغة السواحلية ذات بنية بانتوية؛ ولكن مفرداتها بها نسبة عالية من العربية، وهي لغة أفروآسيوية

وقد أدت هذه الحقيقة إلى عدة فروض حول نشوء اللغة السواحيلية، فمن قائل بأنها خليط بين لغة البانتو واللغة العربية، وهناك من يراها ثمرة اختلاط العرب اليمن والخليج بالسكان الأصليين في شرقي أفريقيا، وهناك من يرى فيها لغة نشأت من مجموعة لهجات البانتو وجدت في أثناء الاتصال بالعرب والاحتكاك التجاري بهم. وهكذا تدور هذه الآراء في إطار كون السواحيلية لغة بانتوية بها مفردات عربية كثيرة.

يبدأ التاريخ اللغوي للغة السواحيلية في الإسلام، فالحركة التجارية على الساحل الشرقي للقارة الافريقية جذبت عدداً من التجار العرب والفرس إلى منطقة القرن من مصب نهر تانا. واختلط الوافدون المسلمون مع الإفريقيين الذين دخلوا في الاسلام، فنشأ عن هذا الاختلاط نمط حضاري جديد، وتكونت بيئة لغوية ظهرت في إطارها اللغة السواحيلية

وعندما قامت دولة الزنج كان التعامل فيها باللغة السواحيلية وانتشرت هذه اللغة مع نمو الدولة. وبذلك أصبحت اللغة السواحيلية لغة تعامل زادت منطقتها بمضي القرون فأصبحت لغة المنطقة الساحلية بين مقديشو وسوفالا، ولغة الجزر مثل زنجبار وكلوة، وتكونت جماعات لغوية سواحيلية في جزر القمر وعلى الساحل الشمالي لمدغشقر.

ويعد القرن التاسع عشر مرحلة هامة في تاريخ اللغوي السواحيلية، فقد دخلت إلى أعماق القارة الافريقية من الساحل الشرقي، وكان النشاط التجاري للعرب في هذه المناطق وتعاملهم بها من عوامل انتشار هذه اللغة إلى منطقة البحيرات في وسط أفريقيا والكونغو فقد انتشرت السواحيلية على طرق القوافل وفي المحطات التجارية، ودخلت إلى مناطق كانت قد سادتها لغات أخرى من قبل. وكانت القرابة اللغوية بين هذه اللغات في إطار أسرة البانتو واللغة السواحيلية من العوامل التي يسرت تعلم أبناء هذه اللغات اللغة السواحيلية. وكانت اللغة الوحيدة المنافسة للغة السواحيلية في تلك المناطق

هي لغة الماساي من رعاة البقر، وما أن حصد الطاعون أكثر من ثلثي الماساي سنة ١٨٩١/١٨٩٠، حتى قلت مكانة هذه اللغة، وبذلك انعدمت المنافسة وفتح الباب أمام مزيد من الانتشار للسواحلية.

وأدى انتشار السواحلية إلى نشأة عدة مستويات لغوية وعدة لهجات. وحاولت البعثات التبشيرية الإفادة من السواحلية الواسعة الانتشار، ولكن الخلاف في اختيار لهجة معينة تكون وسيلة تقريب المسيحية إلى أبناء السواحلية كان قائما. اختار الكاثوليك السواحلية المستخدمة في زنجبار التي كانت تعد فصحى، أما البروتستانت فمن المستوى اللغوي السواحلية المستخدمة في الكونغو والمعروف باسم نجوانا، واعتبروها لغة مغايرة متميزة عن السواحلية، ولكن هذه المحاولة لم تنجح، وظلت المكانة قائمة في الكونغو أيضا – لغة السواحلية الفصيحة

لقد كتبت اللغة السواحلية عدة قرون بالحروف العربية، وكانت محاولات الأوربيين التغيير الخط للكتابة هادفة إلى قطع الصلة الحضارية بين اللغة السواحلية والحضارة العربية الإسلامية، وفي سنة ١٩٠٧ أعلنت الحكومة الألمانية إلغاء استخدام الحروف العربية في كتابة السواحلية في المنطقة التي احتلتها في شرقي افريقية.

وتستخدم اللغة السواحلية في مجالات مختلفة في دول شرقي أفريقيا، وخصوصا تنزانيا وكينيا وأوغندا على الترتيب. وقد أسست سنة ١٩٣٠ هيئة لغوية تعنى بقضية تطوير اللغة السواحلية وجعلها معبرة عن الحياة الحديثة، وقد عدت هذه الهيئة اللغوية لهجة زنجبار المستوى اللغوي المنشود. واليوم تتفاوت مجالات استخدام اللغة السواحلية في دول شرقي أفريقيا. نجدها في تنزانيا لغة الصحافة والثقافة والتعليم العام والإدارة والقضاء والسياسة. أما السياسة اللغوية في أوغندا فتهدف إلى جعل التعامل بين أبناء الجماعات اللغوية فيها يتم بالانجليزية وليس باللغة السواحلية. وبين المكانة الرفيعة للغة السواحلية في تنزانيا ومحاولة إزاحتها عن مكانتها في أوغندا نجد السواحلية في كينيا في مركز وسط، فالسياسة اللغوية لاتهدف إلى تدعيم السواحلية

وحدها بل إلى استخدام تسع عشرة لغة محلية في التعليم العام، وجعل الانجليزية لغة التعامل المشتركة إلى جانب السواحلية. ولكن الانجليزية تمثل الطموح نحو الثقافة الحديثة والرقي الاجتماعي، وبذلك تقل مكانة السواحلية عن الانجليزية في إطار السياسة اللغوية في كينيا. وعلى الرغم من هذه المشكلات التي تواجه السواحلية على المستوى الرسمي فإنها على المستوى الشعبي ذات انتشار كبير، وتعد من أهم اللغات الكبرى في القارة الأفريقية.

(ب) لغة غندا:

لغة غندا هي أهم اللغات المحلية في دولة أوغندا، وكانت من قبل لغة التعامل في مملكة بوغندا، ويتضح من هذه الكلمات: غندا، وغندا، بوغندا -أن السوابق لها دور كبير في بنية الكلمة وتصنيفها، وهذه هي الحال في لغات البانتو. كانت مملكة بوغندا أول منطقة حكمها الإنجليز فيما عرف بعد ذلك باسم أوغندا، وأفاد الانجليز من أبناء لغة بوغندا فأخذوا منهم العمال والموظفين للعمل في منطقتهم ثم في خارج منطقتهم، وبذلك أصبحت هي اللغة المشتركة بين موظفي الادارة والعمال. وتقوم مكانة لغة غندا على كونها لغة الإدارة ولغة التعليم العام، وهي بهذا أكثر اللغات المحلية انتشاراً في أوغندا. وهي مكانة محددة على أية حال، فالمنافسة مع السواحلية ومع الإنجليزية تجعل من لغة غندا مجرد لغة محلية، لها انتشارها في حدود أوغندا، ويتعامل بها حوالي مليونين.

(جـ) لغة الفانجالو:

هناك مجموعة من اللغات المنتمية إلى أسرة البانتو، تستخدم باعتبارها لغات تعامل في القسم الجنوبي من القارة الأفريقية، وأهم هذه اللغات لغة الفانجالو. ترجع لغة الفانجالو في تاريخها المعروف إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، أفاد منها المستوطنون البيض في التعامل مع الزنوج الأفريقيين. إن بنية هذه اللغة تجعلها -بصفة

عامة من لغات لـنتو، ومعجمها كذلك، ثم دخلت إليها ألفاظ كثيرة من الانجليزية ومن لغة الأفريكانر. وتعد لغة الفانجالو في مناجم اتحاد جنوب أفريقيا لغة العمل، فهنا تصدر الأوامر إلى العمال تنحدر أصولهم من أنجولا وروديسيا وزامبيا ومالاوى وتنزانيا، ولهم لغاتهم الأولى في تجمعاتهم في خارج مجال العمل، ولكنهم يتعاملون بها في مجال العمل، وقد أدى تحرك العمال وتهجيرهم من منطقة لأخرى إلى أن أصبحت لغة الفانجالو متداولة في مواقع عمل كثيرة في اتحاد جنوب أفريقيا وروديسيا وزامبيا وإقليم كاتانجا، وهي دائما لغة عمل ولغة تعامل بين الزنوج والبيض الذين يرفضون أن يحدثهم السود بالانجليزية، وبذا تعد لغة الفانجالو رمز سياسة العنصرية.

(د) لغة تسوانا:

هي لغة تنتمي إلى مجموعة البنتو، وتعد هي والانجليزية اللغتين الرسميتين في منطقة بوتسوانا في جنوب أفريقيا. وفي تلك المنطقة توجد أكثر من عشر لغات، غير أن سياسة الحكم غير المباشر جعلت لها مكانة أفضل من غيرها

(و) لغة مدينة بمبا:

تنتمي هذه اللغة إلى أسرة البانتو، انتشرت هذه اللغة بين العاملين في صناعة النحاس في زامبيا وجنوب كاتانجا من أبناء القبائل المختلفة، وتجنبوا في حياتهم الاجتماعية لغة الفانجالو، وأقبلوا على التعامل بلغة بمبا التي كانت منذ أوائل القرن العشرين لغة جماعة كبيرة من عمال الزنوج. وتعد هذه اللغة اليوم لغة واسعة الانتشار في هذه المناطق، لايقتصر استخدامها على العمال بل يعرفها الموظفون والمدرسون السود، وهي محببة إلى نفوسهم.

(ز) لغة نيانجا:

هي اللغة السائدة في دولة ملاوى (نياسالاند: سابقاً) في وسط افريقيا، ولهذه اللغة مكانة نسبية بين لغات المنطقة، لأنها كانت لغة قبيلة أتيح لأبنائها قدر من التعليم

العام والحرفي، فأصبح كثيرون منهم موظفين وعمالا فنيين، وفي المناطق المجاورة انتشرت بعثتهم حتى مناطق المناجم، ولهذه اللغة مكانتها في دولة ملاوي بوصفها أيضا لغة الشرطة والجيش، ولها كذلك مكانتها في شرقي زمبيا والمناطق المتاخمة لملاوي في موزمبيق، ولها انتشارها أيضا في منطقة من روديسيا يقدر عدد أبنائها والمتكلمين بها بحوالي المليونين.

(ح) لغة لوبا:

تضم اللغات المستخدمة في حوض الكونغو عدة لغات يدخل بعضها في لغات البانتو، وأهم هذه اللغات لغة لوبا. توجد هذه اللغة في عدة لهجات في منطقة جنوبي شرقي الكونغو، وقد كان تعاون قبيلة لوبا في المشروعات في كاساي وكاتانجا سببا في انتشار العمال المتحدثين بهذه اللغة في مناطق لم تكن تعرف هذه اللغة من قبل

(ط) لغة كينوبا:

هذه اللغة تنتمي إلى أسرة البانتو، أفاد منها الأوربيون في تعاملهم مع قبائل الكونغو، وأصبحت بمضي الوقت لغة التعامل التجاري وأجهزة الإدارة والإعلام، وهي اللغة المشتركة بين أبناء لغات محلية أخرى، ويقدر عدد متحدثين بحوالي ثلاثة ملايين.

(ى) لغة اللينجالا (لغة النهر)

تنتمي هذه اللغة إلى أسرة البانتو، انتشرت في المناطق الموجودة على نهر الكونغو فسميت بهذا الاسم لينجالا، أي: لغة النهر. وقد تطورت لغة اللينجالا منذ القرن التاسع عشر، وانتشرت فأصبحت من أهم اللغات المحلية في غربي الكونغو. وكان استخدامها عند الجنود عاملا في نشرها حتى شرقي الكونغو، أي إلى حدود منطقة انتشار السواحلية.

(ك) لغات البانتو في غربي وسط افريقيا

تعد اللغتان ياوندا ودوالا من أهم لغات البانتو. أما لغة ياوندا فهى لغة محلية في جنوبى الكاميرون، يتعامل بها أبناؤها وغير أبنائها من القبائل ذات اللغات المختلفة.

ولكن منطقة الساحل الشمالي للكاميرون تسودها لغة تعامل أخرى هي لغة دوالا التى تنتمي أيضا إلى أسرة البانتو، قد استخدمت هذه اللغة وسيلة للتبشير البروتستانتي وأصبحت لغة معترفاً بها في التعليم العام إلى جانب كونها تعامل ولغة الكنيسة، ولكن مكانتها لاتزال محددة، فالانجليزية منافس قوى لها في كل هذه المجالات.

ثالثا: لغات النيجر-الكونغو

تعد هذه الأسرة اللغوية من أكثر الأسرات اللغوية أهمية في القارة الافريقية، فهي تضم لغات كثيرة لها شأن في الدول الجديدة، منها لغة اليوروبا ولغة زاندى، ولغة ايفه، ويرى بعض الباحثين أن اللغة الفولانية تدخل في إطار هذه الأسرة.

(أ) لغة اليوروبا

تعد لغة اليوروبا -على أرجح الآراء لغة تنتمي إلى أسرة النيجر- الكنغو. ويبدو أن لغة اليوروبا كانت -من قبل- ذات مكانه أكبر، ولاسيما فى داهومى وتوجو وبعض الأجزاء الشمالية الشرقية من غانا، وهي على كل حال من أهم اللغات الافريقية، فعدد المتحدثين بها حوالى خمسة عشر مليونا أكثرهم في جنوبى غرب نيجيريا، وهناك جماعات من أبناء لغة اليوروبا في داهومى، وتوجد عدة مستويات لهذه اللغة، فهناك لغة فصيحة تحترم من الجميع وتستخدم فى التعليم وفى الأدب، ويتعامل بها أبناء اللهجات المختلفة إذا ماحدث تعامل بينهم، وتقوم هذه اللغة الفصيحة على إحدى لهجات اليوروبا، ولاتستخدم لغة اليوروبا عند غير أبنائها إلا بصورة محدودة.

(ب) لغة الولوف:

لغة الولوف من أهم لغات أسرة نيجر الكونغو، وهي أكثر اللغات المحلية انتشاراً في جمهورية السنغال، وترجع أهمية لغة الولوف إلى أن أبناءها يمثلون ٣٥٪ من أبناء السنغال، أما الباقون فمتوزعون على جماعات لغوية كثيرة، ويعد أبناء لغة الولوف بفضل انتشار التعليم الحديث بينهم أصحاب مكانة اجتماعية رفيعة، وقد جعل لغتهم منذ عدة قرون نوعاً من الانتشار على الساحل الغربي الأفريقي، وقد كان البرتغاليون في رحلاتهم البحرية في القرن السادس عشر يستعينون بمترجم لغة الولوف إلى جانب لغات افريقية أخرى. واليوم تعد لغة الولوف أهم لغات السنغال، ولها انتشار أيضاً في جامبيا. ويقدر عدد المتحدثين بها من أبنائها ثم من المتعاملين بها بحوالي مليونين

(جـ) لغة سانجو:

لغة سانجو من اللغات المهمة في أسرة النيجر الكونغو، وهي أهم اللغات المحلية في جمهورية أفريقيا الوسطى. وقد بدأت سانجو تبرز بين اللغات الكثيرة المتقاربة بنية ومعجماً في هذه المنطقة منذ أواخر القرن التاسع عشر. وقد دخل كثير من أبنائها في الفرقة العسكرية الفرنسية العاملة هناك، ومن ثم تسمى هذه اللغة أحياناً باسم sango ki tulugu (أي سانجو الخاصة بالجنود = سانجو لغة الجنود). وقد انتشرت لغة سانجو بسرعة كبيرة، وأصبح كثيرون من أبناء تلك المنطقة ولغاتها يقبلون على تعلمها ويتعاملون بها، بل أصبحت لغة الطبقة الرفيعة وشرطاً للرقي الاجتماعي.

واليوم يتحدث بلغة سانجو حوالي مليون من أبنائها وحوالي مليون آخر من المتعاملين بها في داخل الدولة، وأكثرهم يستخدمونها باعتبارها لغة تعامل في سن العمل، فالأطفال من أبناء اللغات الأخرى لايعرفونها، وإنما يكتسبونها بعد ذلك في المدارس أو في العمل. وعندما قامت جمهورية أفريقيا الوسطى كان قادتها ومثقفوها يتعاملون بلغة سانجو، فأصبحت لها مكانة اللغة الوطنية إلى أن أعلنت سنة ١٩٦٥ لغة رسمية لجمهورية أفريقيا الوسطى.

(د) اللغة الفولانية :

لغة الفولانية (= لغة الفول = لغة peul) من أهم لغات أسرة النيجر الكونغو في غرب أفريقية، يتحدث بها حوالي خمسة ملايين في المنطقة الممتدة من السنغال حتى جمهورية تشاد.

وهي لغة تستعمل سائدة في المنطقة الشمالية من الكاميرون، ولايزال متحدثوها يعدون من الطبقة السائدة. وهذا الموقف امتداد لأحداث التاريخ القريب عندما كان الفولانيون أصحاب دولة كبرى قبل دخول الفرنسيين المنطقة.وقد حاولت السلطات الفرنسية الإقلال من مكانة الفول ومن انتشار لغتهم بتشجيع لغات محلية أخرى في غرب أفريقيا.

(هـ) لغة إيفة:

لغة إيفة من لغات أسرة النيجر الكونغو، ولها انتشار نسبي في داهومي وتوجو. كان انتشارها قبل دخول المنطقة تحت الاستعمار الألماني، وأفادت منها الكنيسة في التبشير بالمسيحية، ولها اليوم عدد كبير من اللهجات، وتستخدم بعض مستوياتها في تأليف الكتب وتدوين المطبوعات.

(و) لغة الزاندى:

تعد لغة الزاندى -في رأي كثير من الباحثين- من لغات النيجر الكونغو وهي لغة منطقة كبيرة حكمتها قبائل الزاندى منذ بداية القرن التاسع عشر، فتعلمتها قبائل كثيرة وعندما قسمت هذه المنطقة بين القوى الاستعمارية البلجيكية والفرنسية والبريطانية قلت مكانة الزاندى ولغتهم بشكل ما. ويتحدث بها اليوم نحو مليون.

رابعا اللغات النيلية الصحراوية:

تضم هذه المجموعة الصغيرة -في تصنيف جرينبرج- عدة لغات، أهمها: صنغاي، كنوري، بالإضافة إلى عدد من اللغات تعرف باسم اللغات الشارية النيلية

(ا) لغة صنغاى:

يعد انتماء لغة صنغاى إلى الأسرة النيلية الصحراوية أمرا أقرب إلى الترجيح منه إلى اليقين. وهى اليوم أهم اللغات فى منطقة النيجر الوسطى. وترجع مكانتها إلى كونها لغة دولة كبيرة، عرفت أوج ازدهارها فى القرن الخامس عشر الميلادى، وضمت منطقة واسعة امتدت فى غرب أفريقيا تقابل اليوم السنغال ومالى وبعض مناطق نيجيريا الشمالية. وكانت هذه الدولة الكبيرة عاملا جعل لغة صنغاى أهم لغات التعامل فى غربى بلاد السودان. وفى بداية القرن العشرين كانت لغة صنغاى واسعة الانتشار بين أبناء لغات التمبرة والفولانية والطوارق فى غربى افريقية. ويعد عدد المتحدثين بها باعتبارها اللغة الأولى حوالى المليون، وباعتبارها لغة التعامل حوالى نصف مليون، بعضهم فى جمهورية السودان.

(ب) لغة كنورى

ارتبط تاريخ كنورى بدولة كانم وبورنو، التى كان لها فى التاريخ الافريقى دور كبير، فقد امتدت رقعتها من واداى شرقا إلى النيجر غربا وفزان شمالا. واستخدمت باعتبارها لغة تعامل بين أبناء كل القبائل فى هذه المنطقة، إلى جانب كونها اللغة الأولى عند قبائل كثيرة، وكانت لغة كنورى ذات انتشار كبير، غير أن لغات تعامل أخرى زاحمتها فى رقعتها، وأهم هذه اللغات: الهاوسا فى الغرب والفولانية فى الجنوب والعربية فى الشرق.

خامسا: أسرات لغوية اخرى:

١- هناك مجموعة لغات صنفها جرينبرج ضمن اللغات الشارية النيلية، وتضم فرعين كبيرين:

(١) الأسرة السودانية الشرقية، وأهم لغاتها النوبية بمستوياتها اللغوية المختلفة، ولغة داجو فى دارفور وغربى كردفان، ولغة الشلوك والدنكا والنوير فى جنوب السودان.

(ب) لغـــات وسط السودان، ومنها: بونجو. باكا، سجا، مورو، لومى.

٢- وهناك أخرى تسمى بلغات النيجر كردفان، وتضم هذه المجموعة تلـك السـودانية الشرقية التى لاتدخل ضمن الأسرة الشارية النيلية، وأهم هذه اللغات: كولايب.

٣- يضاف إلى ماسبق تلك اللغات المعروفة بمجموعـة لغات حويسـان، هـى اللغات التى سميت من قبل عند الأوربيين لغات الهوتنتوت والبوشمان، والتسمية الجديـدة مأخوذة عن كلمتين (حوى = هوتنتوت) + (سان = بوشمان) من لغتين محليتيـن. ومن أهم هذه اللغات لغات سانداوى ولغات هاتسا فى تنزانيا.

الفصل الخامس عشر

الأسرات اللغوية

فى آسيا والمحيطات والعالم الجديد

تضم قارات العالم القديم لغات كثيرة صنف الباحثون كثيرا منها ضمن الأسرات الأفروآسيوية والهندية الأوروبية والأورالية الالتائية. تبقى بعد هذا لغات كثيرة لا تمت بصلة القرابة إلى الأسرات الثلاثة المذكورة، وتضم القارة الأمريكية وجزر المحيطات لغات كثيرة ليس لها بالأسرات المذكورة صلة. ففى منطقة من أسبانيا وجنوب فرنسا نجد جماعة الباسك تكون أقلية لغوية ولغة الباسك ليست لها أية علاقة بالأسرة الهندية الأوروبية أو بأية أسرة لغوية معروفة أخرى. وهناك فروض كثيرة غير مقنعة تحاول ربط لغة الباسك بلغات أخرى مجهولة الانتماء. أما آسيا أكبر قارات العالم وأكثرها سكانا ففيها عدد من اللغات واللهجات لا تنتمى إلى الأسرة الأفروآسيوية أو الهندية الأوروبية أو الأورالية الالتائية. وقد أمكن تصنيف بعض هذه اللغات فى أسرات مثل الأسرة الدرافيدية فى جنوبى الهند، وبعضها لا يزال مجهول الانتماء مثل اللغة السومرية التى كانت أقدم لغات الحضارة فى أرض النهرين. وفوق هذا فالقارة الأفريقية والقارة الأمريكية وجزر المحيطات تضم لغات كثيرة ليس لها بالأسرات اللغوية المذكورة فى الفصول السابقة علاقة قرابة، ولذا نعرض لها بإيجاز فى هذا الفصل.

أولا : الأسرات اللغوية فى آسيا

(١) لغات حضارية قديمة:

هناك عدد من اللغات التى وصلت إلينا مدونة فى نقوش قديمة أظهرتها الحفريات فى العصر الحديث، ولم تكن هناك أية معلومات عن اللغات السائدة قبل اكتشاف هذه النقوش وفك رموز كتابتها وتحليل بنيتها اللغوية. إن أقدم لغة دونها

الانسان هي اللغة السومرية في أرض العراق القديم. وكان ذلك بخط صوري تطور إلى خط يعتمد على تدوين نطق الكلمة برموز تشبه المسامير، ومن ثم يطلق على هذه الكتابة اسم الخط المسماري. ولقد اتضح للباحثين أن اللغة السومرية قد دونت في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وهي بذلك أقدم من اللغات السامية التي سادت أرض النهرين بعد ذلك. وقد ثبت أن اللغة السومرية ـ التي كان لها أثر كبير في مفردات اللغة الأكادية، لا تمت إلى الأكادية بصلة قرابة، فالاكادية لغة سامية ولكن السومرية ليست من اللغات السامية، ولا يُعرف إلى أية مجموعة تنتمي هذه اللغة، ولذا فهناك فروض كثيرة في هذا الموضوع، وهي فروض ضعيفة تؤكد ـ أولا وقبل كل شئ ـ أن اللغة السومرية بعيدة -أيضا- عن اللغات الهندية الأوربية وعن اللغات التركية والمغولية والقوقازية.

وهناك لغات أخرى عرفها الشرق القديم، ولا يزال انتماؤها موضع نظر، وهي اللغات العيلامية والكاسية والخطية والأورارتية والمِتّانية، ولكنها وصلت إلينا في نقوش قديمة وبادت من آلاف السنين. أما العيلامية فقد دونت نقوشها منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت هذه اللغة وسيلة التعبير في مملكة عيلام القديمة، وعاصمتها سوسة. ولكن اللغة الكاسية التي كانت في منطقة جبال زاجروس فلا نعرفها إلا من خلال إشارات في النقوش الأكادية بين القرنين السادس عشر والعاشر قبل الميلاد. وأما اللغة الخطية فقد وصلت إلينا منها نقوش في منطقة بوعاركوى بالأناضول، ويتضح منها أن هذه اللغة سبقت دخول اللغة الحيثية إلى المنطقة. وكانت اللغة الأوراتية في منطقة أرمينيا في القرون من التاسع إلى السابع قبل الميلاد، وقد سبقت بذلك اللغة الأرمينية. وأخيرا لابد من الإشارة إلى اللغة الميتانية (= الخورية) التي وصلت منها نقوش من الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد في دولهم الصغيرة التي كانت في أرمينيا آسيا الصغرى والشام وفلسطين.

ويلاحظ فى هذه اللغات ـ كلها ـ أنها سبقت الأسرات اللغوية الأفرو أسيوية فى مناطق انتشارها والهندية الأوربية فى مناطق أخرى. فأرض مابين النهرين عرفت السومرية وهى غير سامية، ثم الأكادية وهى لغة سامية. والخطية والأوراتية، وهما لغتان غير هنديتين أوربيتين سبقتا الحيثية والأرمينية وهما لغتان هنديتان أوربيتان.

٢ـ اللغات القوقازية:

المقصود باللغات القوقازية تلك اللغات التى توجد فى القوقار، ولم يثبت انتماؤها إلى اللغات الهندية الأوربية أو إلى التركية أو إلى اللغات المغولية أو إلى أية أسرة لغوية أخرى. فهذه اللغات الباقية يجمعها المكان، ولذا فهى لغات القوقاز أو اللغات القوقازية وعلى هذا الأساس الجغرافى تضم هذه اللغات فى مجموعة لغوية، وليس من الممكن أن توصف بأنها أسرة، لأن كلمة أسرة تعنى علاقة القرابة، وليس هذا حال هذه اللغات. وأهم اللغات القوقازية: الشركسية واللغات الداغستانية والجورجية والمجريبية ولغة اللاظ.

(أ) الشركسية:

اللغات الشركسية الثلاث، وهى الشركسية العليا والشركسية السفلى والكبردينية، أهم لغات القوقار الشمالية. وعلى الرغم من أن المتحدثين بهذه اللغات لا يزيد عددهم عن ربع مليون فإن هذه اللغات أصبحت لغات مدونة داخل الاتحاد الروسى، وتؤلف بها الكتب المدرسية فى أقاليم شمال القوقاز.

(ب) اللغات الداغستانية:

وهناك عدد كبير من اللغات فى منطقة شمال القوقاز، ويزيد عدد هذه اللغات عن خمسين لغة يتحدث بها حوالى مليون ونصف. ومن أهم هذه المجموعة ما يسمى باسم اللغات الداغستانية، عددها ٢٢ لغة، ويتحدث بها حوالى ٩٠٠ ألف نسمة. كانت هذه اللغات تدون بالخط العربى، وعدل نظام كتابتها سنة ١٩٢٤ إلى الخط

اللاتيني، ثم أخذت تدون منذ ١٩٣٨ بالخط الروسي. وإلى جانب هذه اللغات الداغستانية يوجد بالقوقاز الشمالي أكثر من عشرين لغة أخرى تتحدث بها جماعات لغوية قليلة العدد.

(جـ) اللغة الجُورجية:

تضم مجموعة اللغات القوقازية الجنوبية عدد من اللغات، أهمها اللغة الجُورجية ويتحدث بها أكثر من مليونين ونصف في جمهورية جورجيا وفي مناطق في شمال أذربيجان والمناطق المتاخمة لها في شمالي شرقي تركيا واللغة الجورجية ذات تاريخ حضاري على مدى عدة قرون، يرجع خطها الحالي إلى القرن الثالث الميلادي، ونظام كتابته أبجدي أتاح وجود تراث مدون باللغة الجورجية، وهي اللغة القوقازية الجنوبية الوحيدة التي تستخدم في المستوى الثقافي وفي التأليف، وهي لغة التدريس في مدارس جورجيا وجامعتها في تفليس.

(د) المنجريلية ولغة اللاظ:

هما لغتان من اللغات القوقازية الجنوبية. أما اللغة المنجريلية فيتحدث بها ٢٠٠ ألف، ولغة اللاظ في شمال شرق تركيا يتحدث بها حوالي ٥٠ ألفا، وليست لهما كتابة متعارف عليها عند أبنائها، وليس لهما تراث حضاري. فأبناء المنجريلية يتعاملون في مجالات الثقافة باللغة الجورجية، أما أبناء لغة اللاظ في لاظستان في جمهورية تركيا فيتعاملون باللغة التركية في أمور الثقافة والإدارة.

وهناك لغات كثيرة أخرى تتحدث بها جماعات قليلة العدد في منطقة القوقاز، ومع هذا فبعضها يدون ويستخدم في التعليم.

٣- اللغات الدرافيدية:

تعرف شبه القارة الهندية مجموعة كبيرة من اللغات الهندية الأوربية، كما تضم لغات أخرى لا تنتمي إلى هذه الأسرة، فاللغات الدرافيدية يتحدث بها اليوم أكثر من

مائة مليون من الهنود وسكان سرى لانكا (سيلان)، وهي لغات كثيرة متقاربة في البنية والمعجم، ولذا فهي تكون أسرة لغوية واحدة، وأهم لغات هذه الاسرة تيلوجو وتاميل والملايالام، وغير ذلك من اللغات الدرافيدية، وعددها ١٥٣ لغة.

أما لغة التيلوجو فهي أكثر اللغات الدرافيدية انتشارا، ويتحدث بها أربعون مليونا من الهنود في الجنوب الشرقي (١٩٦١). ولها تراث يبدأ تاريخه في القرن الحادي عشر الميلادي، ومع هذا فتعد لغة التيلوجو اللغة الوطنية الثانية في الهند بعد اللغة المعروفة باسم اللغة الهندية.

لغة التاميل هي اللغة الدرافيدية الثانية في الهند، وهي اللغة الوطنية الخامسة في الهند بعد الهندية والتيلوجو والبنغالية والمراتي، يتحدث بها نحو أربعين مليونا. في جنوبي شرقي الهند وشمالي سيلان ولغة التاميل مكانتها أيضا بفضل تراثها القديم النثري، فهي اللغة التراثية الأولى من لغات الدرافيدية. ومن هذا الجانب يأتي ترتيبها بين لغات الهند بعد السنسكريتية.

وتقترب لغة الملايالام ويتحدث بها نحو عشرين مليونا في خصائصها اللغوية من لغة التاميل وأخيرا تأتي لغة كاناد ويتحدث بها نحو عشرين مليونا. وهناك لغات درافيدية كثيرة أخرى في جنوب الهند، ويمتد بعضها في جزر لغوية في الباكستان، كما تعد لغة التاميل من أهم لغات سرى لانكا.

٤- الفيتنامية ولغات اللون - خمير:

اللغة الفيتنامية (= اللغة الأنامية) هي أكثر اللغات انتشارا في فيتنام، يتحدث بها حوالي ٣٥ مليونا. وهي لغة ذات تراث مدون منذ القرن السابع عشر، ويقوم الخط الفيتنامي على الخط اللاتيني مع علامات إضافية، وكان المبشرون البرتغاليون قد أخذوا في تدوين اللغة الفيتنامية معتمدين على القيم الصوتية للحروف في نطق البرتغاليين، ولذا يستخدم مثلا حرف (d) في تدوين صوت الدال الفيتنامية، لأن هذا الحرف يعبر

كثيرا فى اللغة البرتغالية عن صوت قريب من الذال وكانت اللغة الانامية قد دونت قبل ذلك بكتابة تقوم على الخط الصينى، وظلت كلتا للكتابتين مستخدمتين فترة من الزمن.

ويعد تحديد انتماء اللغة الفيتامية من القضايا التى لم تتضح بعد، فثمة سمات مشتركة بينها وبين لغات المون ـ خمير، جعلها باحثون من لغات المون خمير، أما الرأى المقابل فيجعل اللغة الفيتامية احدى لغات التاى، ويرد أوجه الشبه مع لغات المون خمير إلى تأثير الفيتنامية بهذه اللغات، وتدخل لغات التاى فى المجموعة اللغوية الصينية ـ التبتية.

وتعد لغات المون خمير أسرة لغوية توجد لغاتها فى مناطق من الهند وبورما والهند الصينية وبلاد جنوبى شرقى آسيا. وأهم لغات هذه المجموعة لغة الخمير أو الكمودية ويتحدث بها حوالى ٤ ملايين، ولغة المون ويتحدث بها نصف مليون جنوبى شرقى بورما. ولكلتا اللغتين تاريخ حضارى قبل العصر الحديث. وقد دونتا بخط يقوم على الخط الهندى.

٥- مجموعة اللغات الصينية التبتية:

تضم مجموعة اللغات الصينية التبتية عددا من اللغات الواسعة الانتشار فى جنوب شرقى آسيا، وأهم هذه اللغات اللغة الصينية التى تعد من حيث عدد الناطقين بها اللغة الأولى فى العالم. وتضم مجموعة اللغات الصينية التبتية أيضا أسرة لغات التاى والمجموعة اللغوية التبتية البرمانية.

اللغة الصينية:

اللغة الصينية لغة نحو ألف مليون نسمة فى الصين، وهناك ملايين الصينيين فى مناطق أخرى من جنوب شرقى آسيا. وهى بهذا أكثر اللغات انتشارا فى هذه المنطقة من العالم المعاصر. وقد أدى استخدام اللغة الصينية فى هذه الرقعة الواسعة من العالم على مدى عدة قرون إلى تغيرات محلية فى اتجاهات مختلفة، وبذلك نشأت الأشكال

اللغوية المختلفة التى تعرف باسم الماندرين والكانتونية وغير ذلك. وثمة سؤال يطرح نفسه فى هذا الصدد، وهذا السؤال هو: إلى أى حد يمكن وصف هذه الاشكال اللغوية بأنها لغات مستقلة أو لهجات مختلفة للغة واحدة؟

إن القضية اللغوية فى الصين هى قضية التوحيد اللغوى مع تبسيط نظام الكتابة، والجانبان مختلفان ولكنهما متكاملان متداخلان. فقد أدى انتشار اللغة الصينية إلى تغيرها على المستوى المنطوق فى الأقاليم المختلفة، وظلت الكتابة موحدة. وأهم الاشكال اللغوية الصينية هى: الماندرين. وإذا التقى ابن الماندرين مع ابن الكانتونية أو ابن وُو أو هَكّا لما أمكن التفاهم اللغوى المباشر، ولو بعد حين. وهذا شبيه بلقاء الانجليزى مع الألمانى أو الفرنسى مع الأسبانى، فلا بد أن يتحدثا بلغة واحدة حتى يتم التفاهم الشفوى، ولكن الكتابة قد تكون وسيلة التفاهم بينهما. فإذا كتب الانجليزى للأسبانى 8 = 6+2 لترجم الملتقى ذلك الرمز المكتوب إلى لغته وفهم المراد. شبيه بهذا أمر الصينيين فى المناطق المختلفة، النطق مختلف، والكتابة واحدة. ويرجع هذا إلى أن الكتابة الصينية بغض النظر عن تقوم على أساس الدلالة، على أساس الصوت، فالبيت له رمز فى الخط بغض النظر عن الأصوات المكونة للكلمة واختلافها من منطقة لأخرى. وتتضح هذه الحقيقة إذا علمنا أن الكتابة للصينية يزيد عمرها عن ثلاثة آلاف وخمسمائة عام، وظلت ثابتة الملامح لا تكاد تتغير، بينما حدثت تغيرات لغوية على المستوى المنطوق على مدى القرن.

لقد اتضح للصينيين أن الكتابة الصينية برموزها التى تزيد عن أربعة آلاف رمز صعبة التعلم، وصعبة فى الطباعة ومتعذرة فى الآلة الكاتبة، ولذا وضعت الثورات الصينية المتتابعة برنامجا للإصلاح اللغوى يهدف إلى توحيد اللغة مع تبسيط الكتابة. ويقوم التوحيد اللغوى على أساس تعليم كل أبناء الصين لغة الماندرين وجعلهم يستطيعون التحدث بها بوصفها اللغة الصينية المشتركة، وتطوير نظام كتابة هذه اللغة الصينية المشتركة، ليصبح بسيطا يسهل تعلمه.

(ب) لغات التاى:

تضم مجموعة لغات التاى عددا من اللغات المنتشرة فى الدول الصغيرة فى جنوبى شرقى آسيا، وأهمها اللغة السيامية وتسمى أيضاً لغة التاى. وهى لغة أربعين مليونا فى تايلاند، واللاوسية فى تايلاند وفى لاوس، وهى اللغة الرسمية فى لاوس، بالإضافة إلى عدد من اللغات فى هذه المنطقة.

(جـ) المجموعة التبتية البرمائية:

تتكون هذه المجموعة من فرعين واللغة التبتية أهم لغات الفرع التبتى، وهى لغة أربعة ملايين فى دولة التبت ولهذه اللغة تاريخ حضارى يرتبط بترجمة التراث السنسكريتى، وتدون منذ القرن الثامن الميلادى بخط يقوم على الخط الهندى والفرع البرمانى تمثله لغة بورما، ويتحدث بها نحو عشرين مليون فى دولة بورما

٦ـ اللغات الملايوية البولينيزية:

تشمل اللغات الملايوية البولينيزية عدد من اللغات التى تتحدث بها قبائل وشعوب كثيرة فى جزر أندونيسيا والاقيانوسيه من مدغشقر غرب إلى جزر المحيط الهادى شرقا، وفى هذه المنطقة الواسعة من العالم توجد آلاف الجزر آلاف اللغات واللهجات وعشرات المجموعات اللغوية، وأهم هذه المجموعات:

(أ) المجموعة الاندونيسية:

تضم المجموعة الاندونيسية عدة لغات فى الجزر الكثيرة من الفلبين فى المحيط الهادى ثم فورموزا وإندونيسيا وماليريا إلى مدغشقر فى المحيط الهندى بالقرب من الساحل الشرقى للقارة الأفريقية. ويبلغ عدد المتحدثين بهذه اللغات حوالى ١٩٠ مليونا فى دول مختلفة فى هذه المنطقة. وأهم لغات هذه المجموعة اللغة الاندونيسيه واللغة الماليرية ولغة جاوة، وأخيرا لغة مدغشقر.

واللغة الاندونيسية هي لغة الملايو في شكلها المتعارف عليه في دولة إندونيسيا، فالأصل التاريخي أن هذه اللغة كانت لغة ساحل سومطرة ثم انتشرت بعد ذلك في الملايو وبورنيو. وقد دونت هذه اللغة التي كانت تعرف باسم لغة الملايو في القرن الثالث عشر بخط محلي، وعدل نظام الكتابة في القرن الخامس عشر إلى الخط العربي، ثم حول بعد ذلك إلى الخط اللاتيني. وعندما أعلن قيام دولة أندونيسيا سنة ١٩٤٧ أعلنت معها لغة الملايو لغة رسمية للبلاد، ثم عدل اسمها إلى اللغة الاندونيسية تمييزا لها عن الأشكال اللغوية الأخرى - القديمة والحديثة - للغة الملايو. وتستخدم اللغة نفسها في ماليزيا، يتحدث بها خمسة عشر مليون، وكانت الاندونيسية والماليزية في صور انقسام بسبب المصطلحات الجديدة التي تكون كثير منها من الهولندية في اندونيسيا والإنجليزية في ماليزيا. ولكن ثمة تعاون بدأ للتعاون في هذا المجال بين إندونيسيا وماليزيا.

(ب) المجموعة البولينيزية:

وتشمل لغات الجزر مثل لغة هاواى تاهيتي، ولغة ساموا وفيجي

٧- اللغة الكورية:

اللغة الكورية لغة غير معروفة الانتماء، لاحظ البعض أنها لغة إلصاقية مثل اليابانية، ولكن أوجه الشبه بينهما لا تكفي لجعلهما أسرة واحدة. اللغة الكورية لغة ثمانين مليونا في كوريا الجنوبية والشمالية. ودونت اللغة الكورية في القرن الخامس عشر بأربعين حرفا بسيطا ومركبا تكون ٢٣٠ مقطعا، ولا يزال هذا الخط مستخدما بصورة مبسطة. واللغة الكورية زاخرة بألفاظ دخيلة من اللغة الصينية، فقد كانت الصينية لغة الثقافة عدة قرون.

٨ـ اللغة اليابانية:

اللغة اليابانية لغة الصاقية، تشبه من هذا الجانب اللغة الكورية، ولكن ثمة غموضا فى تحديد انتماء اللغة اليابانية. وهى بعيدة فى بنيتها عن اللغة الصينية التى تعد لغة عازلة لا تعتمد بنيتها اللغوية على نظام اللواصق، كما هى الحال فى اليابانية. وعندما كانت اليابان على مدى عدة قرون فى إطار الحضارة الصينية أخذت مجموعة من الرموز الكتابية الصينية ذات الدلالة المباشرة وأصبحت ذات قيمة صوتية. وعلى هذا فالكتابة اليابانية التقليدية (كانجى) تقوم على رموز من الكتابة الصينية بمعناها ورموز أخرى مكملة (هيرجانا) ترمز إلى الأصوات المنطوقة. وهناك نظام ثالث أبجدى يستخدم لتدوين الكلمات الدخيلة (كاتاكانا) واللغة اليابانية لغة دولة اليابان. يتحدث بها ١٢٠ مليونا.

ثانيا: لغات الهنود الحمر

تستوعب الأسرات اللغوية المذكورة أكثر سكان العالم وهى أسرات قليلة العدد نسبيا بالقياس إلى الاسرات اللغوية الكثيرة الأخرى التى تصنف بداخلها لغات الهملايا ولغات استراليا الأصلية ولغات الهنود الحمر فى أمريكا واللغات الافريقية، فهذه اللغات كثيرة جدا، يزيد عددها عن عدد لغات الأسرات اللغوية الكبرى.

صنف اللغوى الأمريكى سابير Sapir لغات الهنود الحمر فى أمريكا الجنوبية الوسطى إلى ١٠٨ أسرة لغوية. وعلى الرغم من أن هذا التصنيف غير نهائى إلا أنه يشهد بالتنوع اللغوى على نحو لا يعرفه للعالم القديم. وترجع صعوبة تصنيف هذه اللغات إلى عدم وجود نصوص قديمة مدونة بها. لقد نجح الباحثون فى تصنيف اللغات الهندية ـ الأوربية ببحث الخصائص اللغوية لأقدم اللغات التى وصلت مدونة منها، واستعانوا على ذلك بمعرفة المراحل اللغوية المختلفة كما أثبتتها النصوص. أما الباحث فى لغات الهنود الحمر فعليه أن يقنع فى بالنظر فى اللغات المعاصرة، ولذا لا

يقوم تصنيف هذه اللغات على أساس القوانين التاريخية بل يقوم على أساس التشابه في البنية والمفردات.

وأهم لغات الهنود الحمر في أمريكا الجنوبية والوسطى هي لغة كيتشوا Quechua وكانت هذه اللغة ذات شأن عظيم قبل دخول الأوربيين إلى أمريكا، لأنها كانت لغة دولة الانكا. ولا تزال لغة كيتشوا تستخدم إلى الآن عند حوالى سبعة ملايين نسمة في بيرو وأكوادور وبوليفيا، وهؤلاء يتعاملون مع بعضهم البعض بهذه اللغة وكثير منهم يتعامل مع الآخرين باللغة الأسبانية.

وهناك لغات كثيرة تستخدم في أمريكا اللاتينية الوسطى في التعامل بين الهنود ومن أهم هذه اللغات في رأى الباحث الأمريكي جليسون H.Gleason وجواراني Guarani وايمارا Aymara وتوبى جوارنى Tupi Guarani. لغة جواراني هي لغة الهنود الأساسية في قسم كبير من باراجواى وفي عدة أجزاء من جنوب غرب البرازيل. وأكثر أبناء هذه اللغة يعرفون الأسبانية أو البرتغالية ويتعاملون بإحداهما مع الآخرين. أما لغة ايمارا Aymara فهي لغة كثير من الهنود في جنوب بيرو وبوليفيا. أما لغة توبى جواراني فقد كانت لغة للتعامل في منطقة الأمازون بالبرازيل، وأخذت البرتغالية تحل محلها شيئا. الحمر لغة ناواتل Nahuatl، ويتحدث بها حوالى مليون نسمة، ولها أهمية تاريخية لأنها كانت لغة دولة الأزتك Aztec، وهي إحدى اللغات القليلة التي دونها أبناؤها قبل دخول الأوربيين إلى أمريكا.

كتب أساسية مختارة فى علوم اللغة

أولاً : باللغة العربية:

١- إبراهيم انيس، **الأصوات اللغوية**، القاهرة ١٩٩٠.

٢- ابن جنى، **الخصائص**، القاهرة ١٩٥٢-١٩٥٧.

٣- برجشتراسر، **التطور النحوى للغة العربية**، القاهرة ١٩٢٩.

٤- تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، القاهرة ١٩٧٣.

٥- حسين نصار، **المعجم العربى نشأته وتطوره**، القاهرة ١٩٥٦.

٦ الخليل بن أحمد ، **كتاب العين**، جـ١، بغداد ١٩٦٧.

٧- سيبويه، **كتاب سيبويه**، ١-٥، القاهرة ١٩٦٥-١٩٧٧.

٨- عبد القادر الفاسى الفهرى، **اللسانيات واللغة العربية**، الرباط ١٩٨٢.

٩- محمود السعران ، **علم اللغة** ، الاسكندرية ١٩٦٤.

١٠- محمود فهمى حجازى، **علم اللغة العربية**، الكويت ١٩٧٣، القاهرة ١٩٩٣.

ثانيا : كتب مترجمة إلى اللغة العربية :

آبركرومبى ، ديفيد : **مبادئ علم الأصوات العام**، ترجمة وتعليق محمد فتيح، القاهرة ١٩٨٨.

أفيتش، ملكا، **اتجاهات البحث اللسانى** ، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، القاهرة ١٩٩٦.

أولمان ، ستيفن: **دور الكلماته فى اللغة**، ترجمة وتعليق كمال محمد بشر، القاهرة ١٩٨٨.

تشومسكى، نعام: **اللغة ومشكلات المعرفة**، ترجمة حمزة بن قبلان المزينى، الدار البيضاء ١٩٩٠.

دى سوسير، فريدنان: **دروس فى الألسنية العامة**، تعريب صالح القرمادى، محمد الشاوش، محمد عجينة.

ليونز، جون، **نظرية تشومسكى اللغوية**، ترجمة وتعليق حلمى خليل، الاسكندرية ١٩٨٥.

ثالثا : بلغات أجنبية

S. Al- Ani, Arabic Phonology, The Hague 1970.

L. Bloomfield, Language, Allen & Unwin 1953.

C. Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1908-1913.

N. Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, MLT 1966.

S. P. Corder, Introductory Applied Linguistics, Penguin Modern Linguisic Texts 1973.

D. Crystal, Linguistics, Penguin Books 1975.

J. A. Fodor, J. Katz, The Structure of Language, Prentice Hall 1964.

H. A. Gleason. An Introducton to Descriptive Linguistics, Holt, Rinehart and Winston, New York 1961.

J. Greenberg, Languages of Africa, Indiana University 1966.

C. F. Hocket, A Course in Modern Linguistis, New York 1958.

D. Hymes (ed.) Language in Culture and Society and Society, Harper & Row.

J. Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics, Cambridge 1968.

E. Nida, The Componential Analysis of Meaning, The Hague 1975.

E. Nida Morphology, The Descriptive Analysis of Words, Ann Arbor 1974.

F. Palmer, Grammar, Penguin Books 1975.

F. Palmer, Semantics, Cambridge 1976.

S. Saporta, Psycholinguistics, Holt, Rinehart Winston 1966.

T.A. Sebeok; Current Trends in Linguistics 1-6, The Hague 1970

B. Spuler, Handbuch der Orientalistik, Leiden 1964.

مصطلحات أساسية

acoustic	صوتى (فيزيائى)
acoustic phonetics	علم الأصوات الفيزيائى
acoustics	علم الصوت
acquired	مكتسب
acquisition	اكتساب
active	مبنى للمعلوم
adjective	صفة
adverb	ظرف
affix	زائد
affixation	زيادة = إلحاق
africate	مركب احتكاكى
agglutinative	إلصاقى
alphabet	أبجدية
allomorph	صورة صرفية
allophone	صورة صوتية
alveolar	لثوى
aveoli	لثة = مقدم الحنك
ambiguity	غموض
analogy	قياس
analysis	تحليل
analytic	تحليلى
anatomy	علم التشريح
antonymy	تخالف
anthropology	علم الانثروبولوجى
applied lingnistics	علم اللغة التطبيقى

articulation	نطق
articulator	عضو نطقى
articulatory phonetics	علم الأصوات النطقى
assimilation	مماثلة = تماثل
auditory phoneties	علم الأصوات السمعى
behaviour	سلوك
behaviourism	السلوكية
bilabial	شفوى (من الشفتين)
bilingualism	الازدواج اللغوى
breath	نفس
case	حالة إعرابية
category	فصيلة
circularity	دور
cavity	تجويف
classification	تصنيف
closure	حبس
closed sets	مجموعات مغلقة
cognate	قريب، من أصل واحد
collocation	تضام
colloquial	عامى
communication	(نظام) الاتصال
communion	تشارك
community	جماعة
comparative	مقارن
comparative linguistics	علم اللغة المقارن
comparative philology	فقة اللغات القديمة المقارن (مصطلح بائد)
competence	كفاءة لغوية = ملكة لغوية

concept	مفهوم = صورة ذهنية
concord	مطابقة
conjugation	تصريف الأفعال
conscious	واع
consiousness	وعى
contrastive	تقابلى
contrastive linguistics	علم اللغة التقابلى
convention	عرف
conventional	عرفى
convex	محدب
consonant	صامت
context	سياق
contextual meaning	المعنى السياقى
context of situation	سياق الموقف
cord	وتر
corpus	مجموع النصوص
correct	صواب
correspondenee	تطابق
data	معطيات
deep structure	البنية العميقة
dental	أسنانى
derivation	اشتقاق
descriptive	وصفى
descriptive linguistics	علم اللغة الوصفى
diachronic	تاريخى (عبر الزمن)
dialect	لهجة، مستوى لغوى
dialectology	علم اللهجات

dictionary	معجم، قاموس
diphtong	صوت مزدوج
dissimiation	مخالفة = تخالف
distinctive features	سمات مميزة
emphatic	مطبق
ethnolinguistics	علم اللغة الاثنولوجى
etymology	تأصيل = علم تأصيل المفردات
experimental phonetics	علم الأصوات التحريبى
family	أسرة
field lınguistics	علم اللغة الميدانى
form	صيغة
formal grammar	نحو شكلى
fricative	احتكاكى
function	وظيفة
genealogical classification	تصنيف أسرى
gender	جنس نحوى
generation	توليد
generative	توليدى
generative grammar	نحو توليدى
glottal stop	وقف حنجرى
grammar	نحو
grammarian	(عالم) نحوى
guttural	حلقى
hard palate	الحنك الصلب
historical linguistics	علم اللغة التاريخى
homonymy	اشتراك لفظى
hyponomy	درجة العموم

hypothesis	فرض
idioms	تراكيب ثابتة
immediate constituents	مكونات مباشرة
infix	داخلة
inflection	التصريف الإعرابى
inflectional	اعرابى
informant	راوية
inerference	تداخل
instrumental phonetics	علم الأصوات الآلى
inscription	نقش
interdental	بين أسنانى
international language	لغة دولية
intonation	تنغيم
irrelevant	غير حاسم
isolating	عازلة
kernel sentence	جملة نووية
labial	شفوى
labio-dental	شفوى أسنانى
language	لغة (من اللغات)
langage	اللغة (الانسانية)
laryngal	حنجرى
larynx	حنجرة
lateral	(صوت) منحرف
level	مستوى
lexeme	وحدة معجمية
lexical	معجمى
lexical meaning	معنى معجمى

lexicon	معجم
lexicology	علم المفردات
linguist	لغوى
linguistics	علم اللغة
masculine	مذكر
meaning	معنى
mopheme	وحدة صرفية
morphemic alterants	متغيرات صرفية
morphology	بناء الكلمة = علم الصرف
morphophonemics	علم التغيرات الصوتية الصرفية
nasal	أنفى
negation	نفى
neuter	محايد
normative	معيارى
notation	تدوين
noun	اسم
number	عدد
opposition	تقابل
onomasiology	علم التسمية = علم تسمية الأشياء
onomatopoetic	محاك للأصوات الطبيعية
oral	فمى
ostensive meaning	معنى إشارى
palatal	حنكى
palate	الحنك
paradigm	جدول تصريفات
paradigmatic	جدولى
parole	كلام

passive	مبنى للمجهول
performance	أداء
person	شخص
pharyngal	حلقى
pharynx	التجويف الحلقى
phenomenon, phenomena	ظاهرة، ظواهر
philology	علم النصوص القديمة
point of articulation	مخرج
phoneme	وحدة صوتية
phonemics	علم علم الفونولوجى = الوحدات الصوتية
phonetics	علم الأصوات
phonetic alphabet	الأبجدية الصوتية
phonetic law	قانون صوتى
phonology	علم الفونولوجى
plosive	انفجارى (= شديد)
plural	جمع (= غير المفرد)
polyglot	متحدث بعدة لغات
polysemy	تعدد المعنى
postposition	لاحقة جر
prefix	سابقة
pronoun	ضمير
psycholinguistics	علم اللغة النفسى
ready made utterances	عبارات جاهزة
reconstruction	اعادة تكوين
regular	مطرد
referent	المشار إليه
relationship	قرابة

release	إطلاق
relevant	حاسم
resonance	رنين
response	استجابة
romance languages	لغات رومانية
rules	قواعد
segmental	جزئى
semantic field	مجال دلالى
semantic overlapping	تداخل دلالى
semantic relations	علاقات دلالية
semantics	علم الدلالة
semasiology	علم تطور الدلالة
semiotic triangle	الثالوث الدلالى
sentence	جملة
sequence	تتابع
sign	علامة
sociolinguistics	علم اللغة الاجتماعى
soft palate	الحنك اللين
sound laws	قوانين صوتية
speech	كلام
speech chain	سلسلة كلامية
speech organs	أعضاء الكلام
standardisation	تنميط
standard language	لغة مقننة
stop	حبس، إيقاف
stratum	طبقة، مستوى
stress	نبر

structure	بنية
structural	بنيوى
structuralism	البنيوية
style	أسلوب
stylistics	علم الأسلوب
suffix	لاحقة
supra-segmental	فوق جزئى
surface structure	البنية السطحية
syllable	مقطع
synchonic	وصفى (تزامنى)
synonymy	ترادف
syntagmatic	أفقى
syntax	بناء الجملة
system	نظام
taboo	ممنوع، حرام
teeth	أسنان
transcription	تدوين صوتى
typological	نمطى
typological classification	تصنيف نمطى
universals	عموميات ، كليات
usage	استخدام
utterance	قول منطوق
uvula	اللهاة
uvular	لهوى
velarisation	تفخيم
velar	حنكى قصى
velum	الحنك القصى = الحنك اللين

verbal	لفظى
verbal behaviour	سلوك لغوى = سلوك لفظى
vocal cords	وتران صوتيان
voice	جهر (= صوت الجهر)
voiceless sound	صوت مهموس
voiced sound	صوت مجهور
vowel	حركة
vocalic harmony	توافق حركى
vulgar latin	اللاتينية الشعبية
wind-pipe	قصبة هوائية
word	كلمة
writing	كتابة